كتاب
قرة عيون الموحدين

تأليف
العلامة عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ

حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه
أبو البخاري سعيد بن نصر سيد محمد

مكتبة الرشد
الرياض

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران :١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء :١] .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد :

فإن كتاب "**التوحيد**" الذى صنفه الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله ورفع درجته - قد جاء فريداً فى بابه ، بديعاً فى معناه : من بيان التوحيد بأدلته من الكتاب والسنة وبيان ما ينافيه من الشرك الأكبر ، وبيان ما ينافى كماله وجماله وتمامه من الشرك الأصغر ، فأقام الله به الحجّة وبين به المحجّة ، والله نسأل أن يجزل له الأجر والثواب .

وقد تصدى لشرحه حفيده الشيخ العلاّمة عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - فوضع عليه حاشية أجاد فيها وأفاد سماه "**قرة عيون الموحدين**" فجزاه الله خير الجزاء .

ترجمة موجزة

للإمام محمد بن عبد الوهاب

اسمه ونسبه :

هو الإمام العلامة محى السنة مجدد الدعوة محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمد بن راشد التميمى .

مولده :

ولد رحمه الله سنة ١١١٥هـ فى بلده العيينة من أرض نجد وقرأ القرآن قبل بلوغه العشر .

شيوخه ورحلاته العلمية :

أخذ العلم عن والده وغيره ثم رحل للتزود من طلب العلم ، فأتى البصرة والحجاز مراراً والاحساء وغيرها ، وأخذ عن علماء تلك الأقطار ومنهم الشيخ محمد حياة السندى المدنى ، والشيخ إسماعيل العجلونى ، وعلى أفندى الداغستانى ، وعبد الله بن إبراهيم النجدى وغيرهم وأجازوه .

بدء الدعوة الإصلاحية :

فى سنة ١١٥١هـ عاد الشيخ من رحلاته إلى حريملاء من بلاد نجد ، وكان قد ساءه ما رآه فى البلاد الإسلامية من مظاهر الشرك التى ترتكب باسم الدين ، وبخاصة المدينة المنورة والبصرة وأنكر عليهم بدعهم ولم يلق الاستجابة ، وفى حريملاء أعلن دعوته صراحة وجهراً سنة ١١٥٣هـ ، فصار له أتباع وتلاميذ من بلاد نجد ، وفى هذه الفترة وضع كتابه **التوحيد** .

وبعد محاولة اغتياله فى حريملاء نقل نشاطه إلى العيينة - مسقط رأسه - فأكرمه أميرها فى بادئ الأمر ، ولما تعرض الأمير للتهديد تخلى عن الشيخ وطرده من بلدته ، ثم توجه إلى الدرعية لما عرفه عن أميرها محمد بن سعود من رجاحة عقل وأخلاق فاضلة وشجاعة ووفاء ، وفي الدرعية رحب به الأمير محمد بن سعود وتم التحالف على نصرة التوحيد والدعوة إليه ، والتحذير من الشرك وأهله .

مؤلفات الشيخ :

للشيخ مؤلفات كثيرة ، كتب وخطب ورسائل ، وجمعها المؤرخ حسين بن غنام في كتاب "تاريخ نجد" وقد كتب في علوم شتى ، في العقيدة والفقه والأصول والتفسير والتاريخ وغيره .

ومن أهم مؤلفاته - رحمه الله - :

- كتاب التوحيد .
- الأصول الثلاثة .
- كشف الشبهات .
- الكبائر .
- فضل الإسلام .
- نصيحة المسلمين .
- مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم .
- مختصر الهدي النبوي .
- مختصر الشرح الكبير .

وفاة الشيخ :

توفي الشيخ – رحمه الله – بعد هذه الحياة الطويلة وبعد مشوار طيل من الدعوة إلى الله والإصلاح والجهاد والتصنيف ، وكانت وفاته في ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ/١٧٩٢م ، وقد تجاوز عمره ٩١ عاماً – أسكنه الله فسيح جناته – آمين .

***

ترجمة موجزة

للعلامة عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ

نسبه وميلاده :

هو العلاّمة المجدد الثاني ، الشيخ أبوالحسن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب ، ولد في الدرعية الواقعة إلى الشمال من مدينة الرياض سنة ١١٩٣هـ قبل وفاة جده الإمام محمد بن عبدالوهاب بثلاثة عشرة سنة .

نشأته :

مات والده وهو صغير ، فتولى رعايته والعناية به جدّه الإمام محمد بن عبدالوهاب ، وجهه إلى طلب العلم في وقت مبكر ، فحفظ القرآن في التاسعة ، وأخذ عنه بعض (كتاب التوحيد) إلى أبواب السحر ، وجملة من كتاب (آداب المشي إلى الصلاة) ، وحضر القراءة عليه في كتب التفسير والحديث والأحكام ، ولم يزل تقلب في تلك الأفياء الوارفة الظليلة ، حتى أدرك علماً غزيراً في مدة قصيرة ، لما حباه الله من الذكاء وجودة الفهم ، والصبر على المطالعة .

شيوخه :

أخذ العلم عن طائفة من علماء عصره ، في نجد ومصر ، ومنهم :

١- جدّه الإمام ، محمد بن الوهاب (ت١٢٠٦هـ) .

٢- العلاّمة الشيخ ، عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب (ت١٢٤٣هـ) .

٣- الشيخ الجليل حمد بن ناصر بن معمر (١٢٢٥هـ) .

٤- المؤرخ الشيخ عبدالرحمن بن حسن الجبرتي (١٢٤٠هـ) .

٥- النحوي المؤرخ ، حسين بن غنام (ت١٢٢٥هـ) .

٦- الشيخ إبراهيم الباجوري (شيخ الأزهر) (ت١٢٧٧هـ) .

أعماله :

عينه الأمير سعود بن عبدالعزيز بن محمد (ت١٢٢٩هـ) في قضاء الدرعية عاصمة الدولة آنذاك ، ثم نقله الأمير عبدالله بن سعود (ت١٢٣٤هـ) إلى مكة .

ولما اجتاحت جيوش محمد علي باشا الدرعية سنة (١٢٣٣هـ) انتقل إلى مصر مع أفراد أسرته ، واستقروا هناك ، وفي سنة (١٢٤١هـ) تمكن من العودة إلى نجد ، بعد استعادة الإمام تركي بن عبدا لله بن محمد بن سعود (ت١٢٤٩هـ) الحكم ، فأعاده إلى القضاء واتخذ منه مستشاراً فيما يعرض له من الأمور الخاصة والعامة ، وساهم معه في إحياء الدعوة وتطهير البلاد مما أصابها من الشرور والفتن ، واشترك في معظم الغزوات التي خاضها الإمام تركي تحت راية التوحيد ، وما برح كذلك في ولاية الإمام فيصل (ت١٢٨٢هـ) ، وعهد الأمير عبدا لله (ت١٣٠٦هـ) حتى فارق الدنيا .

مصنفاته :

ألّف رحمه ا لله مجموعة من الكتب التي تشهد بطول باعه في التفسير والحديث والفقه ، مع أنه مشغولاً بالقضاء والتدريس والدعوة ، وغير ذلك ، وقد ذكر له ما يلي :

١- فتح المجيد .

٢- قرة عيون الموحدين ، وهو كتابنا هذا .

٣- القول الفصل النفيس .

٤- المقامات في تاريخ الدعوة .

٥- المحجة .

٦- بيان كلمة التوحيد .

٧- مختصر العقل والنقل .

٨- مختصر تفسير سورة الإخلاص .

٩- حجة التحذير في المنع من لبس الحربر .

١٠- تفسير سورة الفاتحة .

١١- الرد والردع .

١٢- المورد العذب الزلال .

١٣- ملخص منهاج السنة .

١٤- إرشاد طالب الهدى .

١٥- مجموعة كبيرة من الرسائل والفتاوى .

أخلاقه وسجاياه :

كان رحمه الله تعالى معروفاً بصدقه وإخلاصه ، وعزيمته التي لا تلين ، شهماً كريماً حازماً ، حليماً متواضعاً عطوفاً ناصحاً ، متعففاً يكتسب من الزراعة ، شديد الغيرة على حرمات الله ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، منتبهاً لدسائس أهل البدع ، منافحاً عن العقيدة بلسانه وقلمه ، شجاعاً وقف مع رجال الدرعية وقفات مشهودة في وجه عدوان إبراهيم [باشا] الغاشم .

يقول ابن عيسى : وكان رحمه الله تعالى ورعاً تقياً صالحاً ، ملازماً للتدريس مرغباً للعلم ، معيناً عليه ، كثير الإحسان للطلبة ، لين الجانب كريماً سخياً ساكناً ، وقوراً كثير العبادة ، يقول أحد تلاميذه ، في قصيدة رثائية طويلة :

فلا يبعدنك الله من شيخ طاعة ... بعيداً عن الأدناس ناءٍ عن الكبر
قوياً بأمر الله شهماً مهذباً ... أشدّ لدى هتك الحدود من النهر
ولما طغى علجُ العراق بجهله ... وغرره ما لفّقوه من الهذر
رماه كما يرمي الرجيم بثاقب ... فراح ابن جرجيس على الذل والصغر
لقد بان فينا النقص من بعد موته ... وموت أهيل العلم قاصمة الظهر

وفاته :

امتد به العمرمتمتعاً بكامل حواسه إلى أن أدركه الأجل عشية يوم السبت الحادي عشر ذوالقعدة من عام ١٢٨٥هـ ، في مدينة الرياض ، وصليّ عليه بجامعها الكبير ، ودفن في مقبرة العود ، فأصيب الناس بفقده ، وبكاه العلماء والعامة ، وأسفوا عليه وكتبت في رثائه القصائد ، رحمه الله رحمة واسعة ، وجمعنا به في مستقر رحمته .

***

طريقة عملي في هذا الكتاب :

١- اعتمدت في تحقيقي على نسخة الشيخ إسماعيل الأنصاري - رحمه الله تعالى - .

٢- عزوت الآيات القرآنية الواردة في المتن والحاشية إلى سورها مرقمة .

٣- قمت بتخريج الأحاديث الواردة في المتن والحاشية تخريجاً علمياً .

٤- حققت الأحاديث الواردة من مؤلفات فضيلة الشيخ المحدث محمد بن ناصر الدين الألباني - حفظه الله - وغيره من المشايخ من القدماء والمعاصرين ، مع الإحالة إلى المصادر .

٥- علقت على بعض المواطن إذا استدعى الأمر .

٦- كتبت مقدمة موجزة في بيان أهمية هذا الكتاب .

٧- كتبت ترجمة موجزة للماتن الإمام محمد بن عبدالوهاب والشارح عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - رحمهما الله تعالى - .

٨- قمت بترجمة بعض الأعلام الذين ذكروا في الكتاب مع العزو إلى مصادر الترجمة .

ختاماً ، أسأل الله تعالى بمنّه وكرمه أن يتقبل منا هذا العمل ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

حققه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه
أبوالبخاري سعيد نصر محمد

بسم ا لله الرحمن الرحيم[1]

كتاب التوحيد[2]

وقول ا لله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾[3] [الذاريات:٥٦] ، وقوله : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[4] الآية النحل : ٣٦] .

بسم ا لله الرحمن الرحيم

[1] قوله في كتاب التوحيد (**بسم ا لله الرحمن الرحيم**) : الكلام على البسملة بيّنٌ مذكورٌ في الشرح ، والبداءة بها سنة كما فعل البخاري وغيره من العلماء ، اتباعاً للسنة في مراسلات النبي صلى ا لله عليه وسلم للملوك وغيرهم ، وفي الأمر بالبداءة بها حديث معروف*.

[2] قوله (**كتاب التوحيد**) المراد بالتوحيد : توحيد العبادة ، وكل رسول يفتتح دعوته لقومه بهذا التوحيد ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾[المؤمنون :٣٢] ، كما في سورة الأعراف وهود غيرهما .

[3] قوله : وقول ا لله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ : دلت الآية على أن ا لله تعالى خلق الخلق لحكمة عظيمة ، وهي القيام بما وجب عليهم من عبادته وحده وترك عبادة ما سواه ، ففعل الأول وهو خلقهم ليفعلوا هم الثاني وهي العبادة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " العبادة اسم جامع لكل ما يحبه ا لله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة " ، وقال أيضاً : "والعبادة اسم يجمع كمال الحب لله ونهايته ، وكمال الذل لله ونهايته ، فالحب الخلي عن ذلّ والذلّ الخلي عن حب لا يكون عبادة ، وإنما العبادة ما يجمع كمال الأمرين " ، وقال أيضاً :" وأما ما خلقوا له من محبة ا لله تعالى ورضاه فهو إرادته الدينية فذلك مذكور في قوله تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ﴾ .

[4] قوله : وقول ا لله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا =

---

* رواه ابن ماجه في سننه وإسناده ضعيف ، انظر : ضعيف سنن ابن ماجة برقم (١٨٩٤) ، والإرواء برقم (٢) .

= الطَّاغُوتَ﴾ يخبر تعالى أنه بعث في كل قرن وطائفة من الأمم رسولاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده ، وينهاهم عن عبادة ما زينه الشيطان لهم وأوقعهم من عبادة ما سواه ، فمنهم من هدى الله ووحد الله تعالى بالعبادة وأطاع رسله ، ومنهم من حقّت عليه الضلالة فأشرك مع الله غيره بعبادته ولم يقبل هدى الله الذي جاءت به الرسل ، كما قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء :٢٥] ، وهذا التوحيد الذي خلقوا له ودعوا إليه هو توحيد الإلهية ، توحيد القصد والطلب ، وأما توحيد الربوبية وتوحيد الأسماء والصفات وتوحيد الأفعال فهو توحيد العلم والاعتقاد ، وأكثر الأمم قد أقروا به لله ، وأما توحيد الإلهية فأكثرهم قد جحدوه كما قال تعالى عن قوم هود لما قال لهم : ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ... قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ﴾[الأعراف:٦٥-٧٠] ، وقال مشركو قريش : ﴿أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص :٥] ، وهذه الآية وهي قوله : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ تبيّن معنى الآية التي قبلها وكذلك الآيات بعدها ، وأن المراد بالعبادة التي خُلقوا لها هي العبادة الخالصة التي لم يلبسها شرك بعبادة شيء سوى الله كائناً ما كان ، فلا تصح الأعمال إلا بالبراءة من عبادة كل ما يعبد من دون الله ، والله تعالى خلق الثقلين ليعبدوه ، فمنهم من فعل، ومنهم من أشرك وكفر، كما قال تعالى في هذه الآية :﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ وقال تعالى :﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ ، يبّين أن حكمة الرب في خلقه للجن والإنس لا تقتضي أن كلاً يفعل ما خلق له وأرسلت الرسل لأجله ، ولهذه الحكمة أهلك الله من لم يعبده وحده ولم يقبل ما جاءت به رسله ، وشرع قتالهم لنبيه صلى الله عليه وسلم وأتباعه، فمنهم من أطاع وهم الأقلّون، ومنهم من عصى وهم الأكثرون .

وهذا التوحيد هو دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه كما قال الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف عليهم السلام : ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ﴾[يوسف:٤٠] وهذا هو الدين الذي بعث الله به رسل ، وأنزل به كتبه ، وأمر الرسل أن يقيموه ، كما قال تعالى :﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ =

وقوله : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا..﴾[(1)] الآية [الإسراء :٢٣] .

= وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى:١٣]، وقال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ ﴾[الرعد :٣٦] فأمره أن يعبده وحده وأن يدعو الأمة إلى ذلك ، والقرآن كله في هذا التوحيد وبيانه وجزائه والرد على من جحده كما قال تعالى : ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ، يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾[المائدة : ١٥-١٦] ، وفي حديث معاذ الذي رواه أبوداود والترمذي وقال حديث حسن صحيح قال : قلت : يا رسول الله ، دلني على عمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار ، فقال : " **سألتَ عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله عليه : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة ، وتوتي الزكاة وتصوم رمضان** -وذكر الحج ثم قال- **ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه ؟** " ، قلت : بلى يا رسول الله ، قال : "**رأس الأمر الإسلام ، وعموده الصلاة ، وذروة سنامه الجهاد**"* ، فدل على أن الإسلام هو التوحيد ، والفرائض من حقوقه ، وقد أجمع الفقهاء على أن الإسلام شرط لصحة الصلاة وغيرها من الأعمال ، وهو مقتضى الشهادتين : شهادة أن لا إله إلا الله ، وشهادة أن محمداً رسول الله ، فمعنى شهادة أن لا إله إلا الله نفي الشرك والبراءة منه وممن فعله ، وإخلاص العبادة لله وحده ، والإيمان بالرسول وطاعته ، وهو معنى الآية الثالثة وهي :

(1) قوله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ﴾ أي أمر ووصّى ، فقوله : ﴿أَلاَّ تَعْبُدُوا﴾ فيه معنى "لا إله" وقوله : ﴿إِلاَّ إِيَّاهُ﴾ فيه معنى "إلا الله" ، وهذا هو ﴿وَبَيْنَكُمْ ﴾ وفسّرها بقوله ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ ﴾ فقوله ﴿أَلاَّ نَعْبُدَ﴾ فيه معنى "لا إله" وقوله ﴿ إِلاَّ اللَّهَ ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص ، فسبحان الله كيف خفي هذا - مع بيانه ووضوحه - على الأذكياء من متأخري الأمة ؟ .

---

* رواه الترمذي برقم (٢٦١٩) ، وابن ماجة برقم ٤٠٤٤ وإسناده صحيح ، انظر : والأرواء برقم ٤١٣ .

وقوله : ﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا .. ﴾ الآيات[1] [الأنعام ١٥١-١٥٣]
وقوله : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾[2] الآيات [الأنعام : ١٥١-١٥٣] .

---

[1] قال : وقول الله تعالى : ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ هذا الآية تبين العبادة التي خلقوا لها أيضاً ن فإنه تعالى قرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهي عن الشرك الذي حرمه وهو الشرك في العبادة ، فدلت الآية على أن اجتناب الشرك شرط في صحة العبادة فلا تصح بدونه أصلاً كما قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[الأنعام : ٨٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر :٦٥-٦٦] فتقديم المعمول يفيد الحصر، أي بل الله فاعبد وحده لا غيره كما في فاتحة الكتاب : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة :٥] وقرر تعالى هذا التوحيد بقوله : ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر : ١١] ، والدين هو العبادة بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه كما قال العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى :

والأَمْرُ والنهيُ الَّذِي هُوَ دِينُهُ   وَجَزَاؤُهُ يَومَ المَعَادِ الثَّانِي

وتقدم أصله وأساسه توحيد العبادة ، فلا تغفل عما تقدم .

[2] قوله : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ أي حرم عليكم الشرك الذي نهاكم عنه بقوله ﴿أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾ فالشرك أعظم ذنب عصي الله به أكبره وأصغره .

وقد وقع الأكثر من متأخري هذه الأمة في هذا الشرك الذي هو أعظم المحرمات كما وقع في الجاهلية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ، عبدوا القبور والمشاهد والأشجار والأحجار والطواغيت والجن ، كما عبد أولئك اللات والعزّى ومناة وهبل وغيرها من الأصنام والأوثان ، واتخذوا هذا الشرك ديناً ، ونفروا إذا دعوا إلى التوحيد أشد نفرة ، واشتد غضبهم لمعبوداتهم كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَإِذَا =

= ﴿ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر :٤٥] ، وقال تعالى ﴿ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء :٤٦] ، وقال ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات : ٣٥-٣٦] علموا أن "لا إله إلا الله" تنفي الشرك الذي وقعوا فيه ، وأنكروا التوحيد الذي دلّت عليه ، فصار أولئك المشركون أعلم بمعنى هذه الكلمة "لا إله إلا الله" من أكثر متأخري هذه الأمة لا سيما أهل العلم منهم الذين لهم دراية في بعض الأحكام وعلم الكلام ، فجهلوا توحيد العبادة فوقعوا في الشرك المنافي له وزينوه ، وجهلوا توحيد الأسماء والصفات وأنكروه ، فوقعوا في نفيه أيضاً وصنفوا فيه الكتب ، لاعتقادهم أن ذلك حق وهو باطل ، وقد اشتدت غربة الإسلام حتى عاد المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، فنشأ على هذا الصغير ، وهرم عليه الكبير ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : "**بدأ الإسلام غريباً ، وسيعود غريباً كما بدأ**"* ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : "**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة** " قالوا : ومن هي يا رسول الله ؟ قال : " **من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي**"** ، وهذا الحديث قد صح من طرق كما ذكره العماد ابن كثير وغيره من الحفاظ ، وهو في السنن وغيرها ، ورواه محمد بن نصر في كتاب الاعتصام ، وقد وقع ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم بعد القرون الثلاثة .

فلهذا عمّ الجهل بالتوحيد الذي هو أصل دين الإسلام ، فإن أصله أن لا يعبد إلا الله وأن لا يعبد إلا بما شرع ، وقد ترك هذا وصارت عبادة الأكثرين مشوبة بالشرك والبدع لكن الله تعالى – وله الحمد – لم يخل الأرض من قائم له بحججه ، وداع إليه على بصيرة ، لكي لا تبطل حجج الله وبيناته التي أنزلها على أنبيائه ورسله ، فله الحمد والشكر على ذلك .

---

* رواه الإمام مسلم برقم (١٤٦) عن ابن عمر ، وانظر صحيح سنن ابن ماجة برقم (٣٢٣٦) ، والسلسلة الصحيحة برقم (١٢٧٣) .

** رواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة برقم (٦٣) وقال الألباني : إسناده جيد ، انظر الصحيحة برقم (١٤٩٢) ، وصحيح سنن ابن ماجة (٤٠٦٣) .

قال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ قوله تعالى : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ** - إلى قوله - **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا**﴾[1] الآية [الأنعام :١٥٢١٥٣] .

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار ، فقال لي : " **يا معاذ ، أتدري ما حقّ الله على العباد على الله ؟** " فقلت : الله ورسوله أعلم ، قال : "**حقّ الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحقّ العباد على الله أن لا يعذّبَ من لا يشركُ به شيئاً**" ، قلت : يا رسول الله ، أفلا أبشّر الناس ؟ ، قال : " **لا تبشّرهم فيتّكلوا** ". أخرجاه في الصحيحين[2] .

---

[1] وأما قول عبدالله بن مسعود : من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ : ﴿ **قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** - إلى قوله - **وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا**﴾ الآية* ، قوله : " التي عليها خاتمه " شبّه هذه الوصية بوصية كتبت فختمت ، أي فلم تغير و لم تبدل ، أراد أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يزل يدعو الأمة من حين بعثه الله تعالى إلى أن توفاه صلوات الله وسلامه عليه ، وقد قال مفروق سيد بني شيبان في دعوته صلى الله عليه وسلم القبائل في مواسمهم : وإلى مَ تدعو أيضاً يا أخا قريش ، فتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿**قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا**﴾ الآيات ، وقد تضمنت هذه الآيات المحكمات أمراً ونهياً ، كما قال تعالى عن خليله إبراهيم عليه السلام : ﴿ **إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ * وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ**﴾ الآيات [البقرة : ١٣١-١٣٢] .

[2] قوله : وعن معاذ بن جبل** رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم =

---

* رواه الترمذي برقم (٣٠٧٠) ، وإسناده ضعيف ، انظر ضعيف سنن الترمذي للألباني برقم (٥٩٣) .

** رواه البخاري برقم (٢٨٥٦) ، ومسلم برقم (٣٠) .

. . . .

= على حمــار ، فقــال لي : **"يا معاذ ، أتدري ما حــقّ ا لله علــى العبــاد علــى ا لله ؟"** فســاقه المصنف رحمه ا لله تعالى هنا لتضمنه معنى الآيات الــتي تقدمـت، وذلـك قولـه : **"فـإن حـقّ ا لله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً"** ، قال العلاّمة ابن القيم رحمه ا لله تعالى :

حقُّ الإلهِ عبـادة بالأمـــرِ لا ... بهَوى النُّفُوسِ فذَاكَ للشّيطَان

من غير إشْـرَاكٍ بهِ شَيئاً هُمَا ... سببا النَّجَـاةِ فَحبّذَا السَبَبـــان

لم يَنْج مِن غَضَبِ الإلَهِ ونَارِهِ ... إلاّ الّذِي قَامَت بِهِ الأصْـلاَن

والنّاسُ بَعــد فَمُشْــركٌ بإلهِهِ ... أو ذُو ابتدَاعٍ أوْ لَهُ الوَصْفَان*

فمن صرف شيئاً من العبادة التي هـي حقـه سـبحانه لا يسـتحقها أحـد سـواه لغـيره كالدعـاء والاستعانة فقد آمن بالطاغوت وأشرك با لله وكفر .

قوله : **"وحق العباد أن لا يعذّب من لا يشرك به شيئاً "** ليس على ا لله حق واجب بـالعقل كما تزعم المعتزلة ، لكن هو سبحانه أحق ذلـك علـى نفسـه تفضـلاً وإحسـاناً علـى الموحديـن المخلصين الذين لم يلتفتوا في إرادتهم ومهماتهم ورغباتهم ورهبانهم إلى أحد سواه ، و لم يتقربوا بما يقولـونه ويعملونه من الطـاعات إلا إليه وحده . وا لله أعلم .

***

---

* نونية ابن القيم – الشافية الكافية .

﴿٢﴾ باب

فضل التوحيد وما يُكفر من الذنوب[1]

وقول الله تعالى :﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ﴾ الآية[2] [الأنعام:٨٢] .

---

[1] قوله : " باب **فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب** " ، الباب في اللغة هو المدخل إلى الشيء ، قوله : "وما يكفر من الذنوب" : (ما) مصدرية ، أي : وتكفيره الذنوب ، ويجوز أن تكون موصولة والعائد محذوف ، أي والذي يكفره من الذنوب . والمراد بالتوحيد توحيد العبادة ، وهو إفراد الله تعالى بأنواع العبادة الباطنة والظاهرة كالدعاء والذبح والنذر (وغير ذلك) كما قال تعالى : ﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ** ﴾ [غافر : ١٤] وقال تعالى : ﴿ **فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ**﴾ [غافر :٦٥] .

[2] قوله : "وقول الله تعالى : ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ . واللبس : الخلط ، والمراد بالظلم هنا الشرك الأكبر لما ثبت في حديث ابن مسعود وغيره مرفوعاً : " **إنما هو الشرك ، ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح** : ﴿**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ**﴾ [لقمان : ٤] " أراد من لم يجتنب الشرك لم يحصل له أمن ولا اهتداء بالكلية ، وأما من سلم منه فيحصل له من الأمن والاهتداء بحسب مقامه في الإسلام والإيمان ، فلا يحصل الأمن التام والاهتداء التام إلا لمن لم يلق الله بكبيرة مصراً عليها ، وأما إن كان للموحد ذنوب لم يتب منها حصل له من لأمن والاهتداء بحسب توحيده ، وفاته منه بقدر معصيته ، كما قال تعالى : ﴿**ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [فاطر : ٣٢] فالظالم لنفسه هو الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً ، فهو تحت مشيئة الله إن شاء غفر له وإن شاء أخذه بذنبه ونجّاه بتوحيده من الخلود في النار ، وأما المقتصد فهو الذي عمل بما أوجب الله عليه وترك ما حرّم عليه فقط ، وهذه حال الأبرار ، وأما السابق فهو الذي حصل له كمال الإيمان باستفراغه وسعه في طاعة الله علماً وعملاً*.

* انظر : طريق الهجرتين لابن القيم ص٣١٤-٣٣٥ .

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] : " **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده**

= فهذان لهما الأمن التام والاهتداء التام في الدنيا والآخرة ، فالكلّ للكلّ والحصة للحصة ؛ لأن كمال الإيمان يمنع صاحبه من المعاصي وعقوباتها فلم يلق ربه بذنب يعاقب به كما قال تعالى : ﴿ **مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ** ﴾ [النساء : ١٤٧] ، وهذا الذي ذكرته في معنى هذه الآية هو معنى ما قرره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وابن القيم رحمه الله في معناه ، وهو الذي دلّ عليه القرآن ، وهو قول أهل السنة والجماعة خلافاً لأهل البدع من الخوارج والمعتزلة ونحوهم*.

[1] قوله : عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وأن عيسى عبدا لله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، وأن الجنة حقّ ، والنار حقّ ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل "**** .

قوله : " **من شهد** " لا ريب أن الشهادة لا تكون شهادة إلا إذا كانت عن علم ويقين وصدق ، وأما مع الجهل والشك فلا تعتبر ولا تنفع ، فيكون الشاهد والحالة هذه كاذباً لجهله بمعنى الذي شهد به ، وقد تضمنت هذه الكلمة العظيمة نفياً وإثباتاً ، فنفت الإلهية عن كل ما سوى الله بقولك " لا إله " وأثبتت الإلهية لله وحده بقولك " إلا الله " قال تعالى : ﴿ **شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** ﴾ [آل عمران:١٧] فكم ضل بسبب الجهل بمعناها من ضل وهم الأكثرون ، فقلبوا حقيقة المعنى فأثبتوا الإلهية المنفية لمن نفيت عنه من المخلوقين أرباب القبور والمشاهد والطواغيت والأشجار والأحجار والجن وغير ذلك ، واتخذوا ذلك ديناً وشبهوا وزخرفوا ، واتخذوا التوحيد بدعة وأنكروه على من دعاهم إليه ، فلم يعرفوا منها ما عرف أهل الجاهلية من كفار قريش =

---

* انظر : مقالات الخوارج والمعتزلة - الفَرقُ بين الفِرَق ص(٧٣،١١٧) .

** رواه البخاري برقم (٣٤٣٥) ، ومسلم برقم (٢٨).

= ونحوهم فإنهم عرفوا معناها وأنكروا ما دلت عليه من الإخلاص كما قال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ﴾ [الصافات :٣٥-٣٦] ، والمشركون من أواخر هذه الأمة أنكروا ما أنكره أولئك على من دعاهم إلى ترك عبادة ما كانوا يعبدونه من دون الله من القبور والمشاهد والطواغيت ونحوها ، فأولئك عرفوا هذا المعنى وأنكروه ، وهؤلاء جهلوا المعنى وأنكروه ، فلهذا تجده يقول : "لا إله إلا الله" وهو يدعو مع الله غيره . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : الإله هو الذي تأله القلوب محبة وإجلالاً وإنابة وإكراماً وتعظيماً وذلاً وخضوعاً وخوفاً ورجاءً وتوكلاً .

وقال الوزير أبوالمظفر رحمه الله تعالى في الإفصاح : قوله "شهادة أن لا إله إلا الله" يقتضي أن يكون الشاهد عالماً بأن لا إله إلا الله كما قال تعالى : ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [محمد :١٩] قال : واسم الله مرتفع بعد إلا من حيث أنه الواجب له الإلهية فلا يستحقها غيره سبحانه ، قال : وجملة الفائدة في ذلك أن تعلم أن هذه الكلمة مشتملة على الكفر بالطاغوت والإيمان بالله، فإنك لما نفيت الإلهية وأثبت الإيجاب لله كنت ممن كفر بالطاغوت وآمن بالله .

وقال ابن رجب* رحمه الله تعالى : الإله هو الذي يطاع فلا يعصى هيبة له وإجلالاً ومحبة وخوفاً ورجاءً وتوكلاً عليه وسؤالاً منه ودعاء له ، ولا يصلح ذلك كله إلا لله عز وجل ، فمن أشرك مخلوقاً في شيء من هذه الأمور التي هي من خصائص الإلهية كان ذلك قدحاً في إخلاصه في قول " لا إله إلا الله " وكان فيه عبودية المخلوق بحسب ما فيه من ذلك .

وقال البقاعي : " لا إله إلا الله " أي انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبود بحق غير الملك الأعظم ، قال : وهذا العلم هو من أعظم الذكرى المنجية من أهوال الساعة ، وإنما يكون علماً إذا كان نافعاً ، وإنما يكون نافعاً إذا كان مع الإذعان والعمل بما تقتضيه ، وإلا فهو جهل صرف .

قلت : وهؤلاء المتأخرون جهلوا (لا إله إلا الله) وقلبوا حقيقة المعنى إلى معنى توحيد =

* هو الحافظ عبدالرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي ، من مؤلفاته ذيل طبقات الحنابلة وجامع العلوم والحكم ، توفي سنة ٧٩٥هـ .

= الربوبية وهو القدرة على الاختراع فأثبتوا ما نفته " لا إله إلا ا لله " من الشرك وأنكـروا مـا أثبتته من إخلاص العبادة لله جهلاً منهم ، وقد قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴾ [الزمر : ٢] .

قال محي الدين النووي* : " اعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهي عـن المنكر قد ضيع مـن أزمان متطاولة ، ولم يبق في هذه الأزمان إلا رسوم قليلة جداً ، وهو باب عظيم بـه قـوام الأمر وملاكه ، وإذا كثر الخبث عمّ العقاب الصالح والطالح " .

قوله : "في هذه الأزمان" يعني القرن الخامس والسادس ، وإذا كان كذلك فما الظن بـالقرن العاشر وما بعده وقد استحكمت فيها الغربة ، ولشيخنا محمد بـن الوهـاب رحمـه ا لله تعـالى في تفسير هذه الكلمة كلام حسن بديع واضح لم يسبق إلى مثله فليراجع لمسيس الحاجة إليه .

قوله في الحديث "وحده لا شـريك لـه" تـأكيد لمعنـى " لا إلـه إلا ا لله " الـذي دلّـت عليـه ووضعت له من باب اللف والنشر المقدم والمؤخر ، وهو بيان (لحقيقة معنى) هذه الكلمة ؛ لأنـه دلت بجملتها على التوحيد ، فلا إله تنفي الشرك في العبادة قليله وكثيره وبينه بقولـه "لا شـريك له" في إلهيته وهي العبادة ، وقوله "وحده" هو معنى "إلا ا لله" فهو الإله الحق وحده دون كل ما سواه من أهل السماوات والأرض كما دلت على ذلك الآيات المحكمات ومتواتـر الأحـاديث ، فتدبر هذا البيان يطلعك على بطلان قول من يقول بجواز دعوة غير ا لله ، وا لله تعالى يقول لنبيه : ﴿فَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء : ٢١٣] وغيرهـا مـن الآيـات الآتي ذكرها إن شاء ا لله تعالى، فقوله : "وحده" تأكيد للإثبات ، وقوله : "لا شريك" تأكيد للنفي .

(١) وقوله : "**وأن محمداً عبده ورسوله**" أي وشهد أن محمداً عبده ورسوله أي بصدق ويقـين ، وذلك يقتضي اتباعه وتعظيم أمره ونهيه ولزوم سننه صلى ا لله عليه وسلم وأن لا تعارض بقول أحد ؛ لأن غيره صلى ا لله عليه وسلـم يجوز عليه الخطـأ والنبي صلـى ا لله عليه وسلم قـد =

* هو محي الدين يحي بن شرف النووي الحوزاني الشافعي ، من مؤلفاته شرح صحيح مسلم ، رياض الصـالحين ، توفي سنة ٦٧٦هـ ، انظر : العبر ٣/٣٣٤ ، الشذرات ٥/٣٥٤ ، البداية والنهاية ١٣/٢٩٤ .

وكلمتـــــــــه ألقاهـــــــــا إلى مريـــــــــم وروح منـــــــــه[1] ،

= عصمه الله تعالى ، وأمرنا بطاعته والتأسي به والوعيد على ترك طاعته بقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب :٣٦] ، وقال : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور :٦٣] ، قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان والله تعالى يقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ، أتدري ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك . وقد وقع التفريط في المتابعة وتركها ، وتقديم أقوال من يجوز عليهم الخطأ على قوله صلى الله عليه وسلم لا سيما من العلماء كما لا يخفى .

[1] قوله : "**وأن عيسى عبدا لله ورسوله**" فيه بيان الحق الذي يجب اعتقاده كما في الآيات المحكمات وما فيها من الرد على كفار النصارى ، وهم ثلاث طوائف : طائفة قالوا إن عيسى هو الله ، وطائفة قالوا أنه ابن الله ، وطائفة قالوا إن الله ثالث ثلاثة يعنون عيسى وأمه ، فبيّن الله تعالى في كتابه الحق وأبطل الباطل فقال : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُوا ثَلاَثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾[النساء : ١٧١] والآيات بعدها ، وقال تعالى :﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ في مواضع من سورة المائدة ، وأخبر تعالى عما قاله المسيح عليه السلام وهو في المهد فقال تعالى :﴿ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا * يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا * فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا * قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاَةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلاَمُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا * ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ =

= ﴿يَمْتَرُونَ * مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * وَإِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾ [مريم : ٢٧-٣٧] فبيّن تعالى الصراط المستقيم الذي من سلكه نجا ، ومن خرج عنه هلك ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ * الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾[آل عمران : ٥٩-٦٠] فبيّن تعالى الصراط المستقيم بياناً شافياً كافياً وافياً وأقام حججه على توحيده فأحق الحق وأبطل الباطل ولو كره المشركون .

قوله : "**وكلمته ألقاها إلى مريم**" أي قوله "كن" فخلقه بكن فكان ، ففيه إثبات صفة الكلام لله تعالى خلافاً للجهمية أيضاً .

قوله : "**وروح منه**" أي من الأرواح التي استخرجها من صلب آدم عليه السلام وأخذ عليها العهد على أنه تعالى ربهم وإلههم ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾[الأعراف :١٧٢] الآيات ، وروح عيسى من تلك الأرواح التي خلقها تعالى ، وذكر ابن جرير* عن وهب بن منبه** قال : "نفخ جبريل في جيب درع مريم حتى وصلت النفخة إلى الرحم فاشتملت" ، وعن السدي أن النفخة دخلت في صدرها فحملت ، وقال ابن جريج*** : يقولون إنما نفخ في جيب درعها وكمها . انتهى مختصراً .

فجبريل نفخ وا لله خلق بقول "كن" فكان كما قال تعالى : ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[الحجر : ٢٩] فسبحان من لا يخلق غيره ولا يعبد سواه .

وقد أورد بعض النصارى على بعض علماء المسلمين قول ا لله تعالى : ﴿ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ ، =

---

* هو أبوجعفر محمد بن جرير الطبري المفسر المؤرخ الكبير ، توفي سنة ٣١٠هـ ، انظر : طبقات الشافعية ١٢٠/٣ ، وفيات الأعيان ٣٣٢/١ ، شذرات الذهب ٢٦٠/٢ .

** هو وهب بن منبه بن كامل الإمام العلامة الإخباري القصصي اليماني ، متكلم فيه ، توفي سنة ١١٤هـ ، انظر : السير ٥٤٤/٤ ، العبر ١٠٩/١-١١٣ ، الشذرات ١٥٠/١ .

*** هو أبوالوليد ويقال أبوخالد عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج الرومي الأموي ، يقال أنه أول من صنف في الإسلام ، توفي سنة ١٥٠هـ ، انظر : السير ٣٢٥/٦ ، تاريخ بغداد ٤٠٠/١٠ ، البداية ١١٠/١٠ .

وأن الجنة حقّ والنار حقّ[١] أدخله الله الجنة على ما كان من العمل"[٢] . أخرجاه .

= فقال في الجواب : هذا ليس خاصاً بعيسى عليه السلام بل المخلوقات كذلك كلها كما قال تعالى : ﴿ **وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَـوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ** ﴾[الجاثية : ١٣] ، أي خلقاً وإيجاداً ، وعيسى كذلك خلقه وأوجده كسائر مخلوقاته ، وفي هذا الحديث الرد على اليهود أعداء الله وأعداء أنبيائه ورسله ، فإنهم كانوا هم والنصارى في طرفي نقيض فنسبوه إلى أنه ولدُ بغيّ قاتلهم الله ، فأكذبهم الله تعالى في كتابه وأبطل قولهم كما أبطل قول الغلاة من النصارى فيما تقدم من الآيات ونحوها ، فالنصارى غلوا في عيسى بن مريم عليه السلام أعظم الغلو والكفر والضلال ، واليهود جفوا في حقه غاية الجفاء ، وكلاهما قد ضل ضلالاً بعيداً بيّنه الله تعالى في مواضع كثيرة من كتابه وبيّن تعالى الحق والصدق ورفع قدر المسيح عليه السلام وجعله من أولي العزم الخمسة المذكورين في سورة الأحزاب والشورى ، وأمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصبر كما صبروا فقال : ﴿ **فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ** ﴾[الأحقاف :٣٥] فهم أفضل الرسل على التحقيق والنبي صلى الله عليه وسلم أفضلهم صلوات الله وسلامه عليه وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

[١] قوله : "**وأن الجنة حق**" أعدها الله للمؤمنين يوم القيامة ما فيها من القصور والثمار والفواكه والنعيم المقيم والنظر إلى وجه الله الكريم كما قال تعالى :﴿ **عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ** ﴾[هود :١٠٨] ، وقال تعالى : ﴿ **فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** ﴾[السجدة : ١٧] .

"**والنار حق**" أعدها الله تعالى لمن كفر به وأشرك في إلهيته وربوبيته وألحد في أسمائه وصفاته ، ومن لم يؤمن بالجنة والنار فقد كفر بالقرآن والرسل والمرسل ، فإن الله تعالى بين الجنة وما أعد فيها من النعيم المقيم ، وذكر أنها دار المتقين ، وذكر النار وما فيها من العذاب وأنه أعدها لمن كفر به وأشرك .

[٢] قوله : "**أدخله الله على ما كان من العمل**" جواب من الشرطية ، أي من شهد أن لا إله إلا الله إلى آخره أدخله الله الجنة أي بإخلاصه وصدقه والإيمان برسوله وما أرسل به وخالف =

ولهما في حديث عِتبان : " **فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله** "[1][2] .

= النصارى واليهود في الغلو والجفاء في حق عيسى ، وعلم يقيناً أنه عبدالله ورسوله وآمن بالجنة والنار ، فمن كان كذلك أدخله الله الجنة وإن كان مقصراً وله ذنوب ، فهذه الحسنة العظيمة ترجح بجميع السيئات ، فتدبر هذا الحديث فإنه عظيم . والله أعلم .

[1] قوله : ولهما في حديث عتبان : "**فإن الله حرّم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**"* . قوله : "ولهما" أي البخاري ومسلم ، وهذا حديث طويل اختصره المصنف وذكر منه ما يناسب الترجمة وهو قوله : "**من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله**" ، وهذا هو حقيقة معناها الذي دلّت عليه هذه الكلمة من الإخلاص ونفي الشرك ، والصدق والإخلاص متلازمان لا يوجد أحدهما بدون الآخر ، فإن لم يكن مخلصاً فهو مشرك ، ومن لم يكن صادقاً فهو منافق ، والمخلص أن يقولها مخلصاً الإلهية لمن لا يستحقها غيره وهو الله تعالى ، وهذا التوحيد هو أساس الإسلام الذي قال فيه الخليل عليه السلام : ﴿ **رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ** ﴾[البقرة : ١٢٨] ، وقالت بلقيس : ﴿**قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [النمل : ٤٤] ، وقال الخليل عليه السلام : ﴿ **إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [الأنعام : ٧٩] ، والحنيف هو الذي ترك الشرك رأساً وتبرأ منه وفارق أهله وعاداهم وأخلص أعماله الباطنة والظاهرة لله وحده ، كما قال تعالى ﴿**وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾[لقمان :٢٢] ، فإسلام الوجه هو إخلاص العبادة المنافي للشرك والنفاق وهو معنى الآية ونحوها إجماعاً ، فهذا هو الذي ينفعه قوله : "لا إله إلا الله" ولهذا قال تعالى : ﴿ **فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ ، وهذا بخلاف من يقولها وهو يدعو غير الله ، ويستغيث به من ميت أو غائب لا ينفع ولا يضر كما ترى عليه أكثر الخلق ، فهؤلاء وإن =

---

* رواه البخاري برقم (٤٢٥) ، ومسلم برقم (٣٣) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **قال موسى : يا ربّ علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به، قال : قل يا موسى لا إله إلا**

= قالوها فقد تلبسوا بما يناقضها ، فلا تنفع قائلها إلا بالعلم بمدلولها نفياً وإثباتاً ، والجاهل بمعناها وإن قالها فإنها لا تنفعه لجهله بما وضعت له الوضع العربي الذي أريد منها من نفي الشرك ، وكذلك إذا عرف معناها بغير تيقن له ، فإذا انتفى اليقين وقع الشك ، ومما قيدت به في الحديث قوله صلى الله عليه وسلم : "**غير شاك**"* ، فلا تنفع إلا من قالها بعلم ويقين لقوله صدقاً من قلبه خالصاً من قلبه .

وكذلك من قالها غير صادق في قوله فإنها لا تنفعه لمخالفة القلب اللسان كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، وكذلك حال المشرك فلا تقبل من مشرك لمنافاة الشرك للإخلاص ، ولما دلت عليه هذه الكلمة مطابقة فإنها دلت على نفي الشرك والبراءة منه والإخلاص لله وحده لا شريك له مطابقة ، ومن يكن كذلك لم ينفعه قوله " لا إله إلا الله" كما هو حال كثير من عبدة الأوثان يقولون : لا إله إلا الله وينكرون ما دلت عليه من الإخلاص ويعادون أهله وينصرون الشرك و أهله ، وقد قال الخليل عليه السلام لأبيه وقومه : ﴿**إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِين *وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**﴾[الزخرف :٢٦-٢٨] وهي لا إله إلا الله ، وقد عبّر عنها الخليل بمعناها الذي وضعت له ودلت عليه وهو البراءة من الشرك وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما تقدم تقريره ، وكذلك من قالها و لم يقبل ما دلت عليه من الإخلاص كان قوله لهذه الكلمة كذباً منه ، بل قد عكس مدلولها فأثبت ما نفته من الشرك ، ونفى ما أثبتته من الإخلاص .

فهذا الذي ذكرناه هو حال الأكثرين من هذه الأمة بعد القرون الثلاثة ، وسبب ذلك الجهل بمعناها واتباع الهوى ، فيصدفه عن اتباع الحق وما بعث الله به رسله من توحيده الذي شرعه لعباده ورضيه لهم .

---

* رواه مسلم برقم (١٣٨).

لله ، قـال : يا ربّ كلّ عبادك يقولـون هـذا ، قـال : يـا موسـى ، لـو أنّ السـماوات السبع[1] وعامرهنّ – غـيري – والأرضـين السـبع في كِفّـة ولا إلـه إلا ا لله في كِفّـة ،

---

[1] قوله : وعن أبي سعيد الخدري رضي ا لله عنه أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قـال : " قـال موسى : يا ربّ علمني شيئاً أذكرك وأدعوك به ، قال : قل يا موسى لا إله إلا ا لله ، قـال : يا ربّ كلّ عبادك يقولون هذا ، قال : يـا موسـى ، لـو أنّ السـماوات السـبع وعـامرهنّ – غيري – والأرضين السبع في كِفّة ولا إلـه إلا ا لله في كِفّـة ، مـالت بهـن لا إلـه إلا ا لله"* .

رواه ابن حبان والحاكم وصححه . فلا نافية للجنس نفياً عاماً إلا ما استثني ، وخبرها محـذوف تقديره لا إله حق إلا ا لله ، قال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[لقمان : ٣٠] فإلهيته هي الحق وكـل مـا سـواه مـن الآلهـة فإلهيته باطلة كما في هذه الآية ونظائرها .

فهذه كلمة عظيمة هي العروة الوثقى وكلمة التقوى وكلمة الإخـلاص ، وهـي الـتي قـامت بها السماوات والأرض ، وشرعت لتكميلها السنة والفرض ، ولأجلها جردت سيوف الجهاد ، وبها ظهر الفرق بين المطيع والعاصي من العباد ، فمن قالها وعمل بها صدقاً وإخلاصاً ، وقبـولاً ومحبة وانقياداً أدخله ا لله الجنة على ما كان من العمل .

وفي الحديث الصحيح : " أفضل الدعاء يوم عرفة ، وأفضـل مـا قلت أنـا والنبييـون مـن قبلي : لا إله ا لله وحده لا شـريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير"** .

وفي حديث عبدا لله بن عمرو مرفوعاً : " يُصاح برجل مـن أمـتي علـى رؤوس الخلائـق يـوم القيامة فينشر له تسعة وتسعـون سجلاً ، كل سجل منها مدّ البصر ، ثـم يقـال لـه : أتنكـر من هذا شيئاً ؟ ، فيقول : لا يا رب . فيقال : ألك عذر أو حسنة ؟ فيهاب الرجل فيقول : لا . فيقال : بلى ، إن لك عندنا حسنة ، وإنه لا ظلم عليك . فيخـرج له بطاقة فيها =

---

* رواه ابن حبان برقم (٢٣٢٤) وإسناده ضعيف ، فيه دراج أبو السمح المصري وأحاديثه مناكير .

** رواه مالك في الموطأ برقم ٢٤٦ عن طلحة بـن عبيـد ا لله ، وقـال الألبـاني : وجملـة القـول أن الحديـث ثـابت بمجموع هذه الشواهد ، انظر الصحيحة برقم ١٥٠٣ .

مالت بهن لا إله إلا الله "[1] . رواه ابن حبان والحاكم وصححه .

= **أشهد لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله . فيقول : يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟ فيقال : إنك لا تظلم . فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"*** . رواه الترمذي وحسنه .

[1] قوله : " **لو أن السماوات السبع وعامرهن – غيري** -" أي : كل من في السماوات والأرض . وقوله : "**غيري**" استثنى ممن في السماوات نفسه لأنه العلي الأعلى تعالى وتقدس كما قال تعالى : ﴿**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**﴾[البقرة : ٢٥٥] علو القهر وعلو القدر وعلو الذات ، فالثلاثة كلها صفته ودلت على كماله كما قال تعالى : ﴿**الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى**﴾ [طه : ٥] ، ﴿ **ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ** ﴾[الفرقان :٥٩] الآية في سبعة مواضع من كتابه ، كما قال تعالى ﴿ **إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ** ﴾[فاطر : ١٠] ، وقال تعالى : ﴿ **يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ** ﴾[النحل :٥٠] ، قال تعالى : ﴿ **تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ** ﴾ [المعارج :٤] ، ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ**﴾[آل عمران :٥٥] وأمثال هذه الآيات ، فمن سلب علو الله تعالى على خلقه فقد خالف صريح الكتاب والسنة وألحد في أسمائه وصفاته ، ومعنى هذه الكلمة نفي الإلهية كل شيء سوى ما استثنى بها وهو الله تعالى ، وفيه النص على أن الأرضين سبع كالسماوات ، لكن هذه الكلمة العظيمة لا يحصل رجحانها إلا في حق من أتى بقيودها التي قيدت بها في الكتاب والسنة ، وقد ذكر سبحانه في سورة براءة وغيرها كثيراً ممن يقولها و لم ينفعهم قولها كحال أهل الكتاب والمنافقين على كثرتهم وتنوعهم في نفاقهم فلم تنفعهم مع ما قام بهم من ترك تلك القيود ، فمنهم من يقولها جاهلاً بما وضعت له وبما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه والصدق والإخلاص وغيرها كعدم القبول ممن دعا إليها علماً وعملاً ، وترك الانقياد بالعمل بما تقتضيه كحال أكثر من يقولها قديماً وحديثاً ، ولكن في أواخر هذه الأمة أكثر .

ومنهم من يمنعه من محبتها والعمل بها ما قام بقلبه من كبر أو هوى أو غير ذلك من =

---

* رواه الترمذي برقم (٢٦٤١) ، وابن ماجة برقم (٤٣٧٦) وإسناده صحيح ، انظر : الصحيحة برقم (١٣٥) .

= الأسباب وهي كثيرة ، منها قوله تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ﴾ إلى قوله ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[التوبة : ٢٤] . وأما أهل الإيمان الخلص فهم الذين أتوا بهذه الكلمة ، واجتمعت لهم قيودها التي قيدت بها علماً ويقيناً وصدقاً وإخلاصاً ومحبة وقبولاً وانقياداً ، وعادوا في الله ووالوا فيه وأحبوا وأبغضوا فيه ، وقد ذكرهم الله تعالى في مواضع من سورة براءة وغيرها وخصّهم بالثناء عليهم والعفو عنهم ، وأعدّ لهم جنته وأنجاهم من النار كما قال تعالى : **﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾**[التوبة :٧١] ، وقال :**﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾**[التوبة :١٠٠] ، فهؤلاء ومن اتبعهم بإحسان هم أهل لا إله إلا الله وغير هذه من الآيات في الثناء عليهم وما أعد لهم في الدار الآخرة ، فمن تدبر القرآن وعرف تفاوت الخلق في محبة ربهم وتوحيده والعمل بطاعته والهرب من معصيته وإيثار ما يحبه تعالى رغبة وعملاً وترك ما يكرهه خشية ورجاء واعتبر الناس بأحوالهم وأقوالهم وأعمالهم ونياتهم وإراداتهم وما هم عليه من التفاوت البعيد ، تبين له خطأ المغرورين كما في الحديث الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : " **الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع على نفسه هواها وتمنى على الله الأماني**"* .

* رواه الترمذي برقم (٢٥٩٠) عن شداد بن أوس ، وإسناده ضعيف ، انظر : ضعيف سنن الترمذي للألباني برقم (٤٣٦) ، وضعيف سنن ابن ماجه برقم (٤٢٦٠) ، وضعيف الجامع برقم (٤٣٠٥) .

وللترمذي - وحسّنه - عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **قال الله تعالى : يا ابن آدم ، لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ، ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة** "[1] .

---

[1] قوله : وللترمذي - وحسّنه - عن أنس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **قال الله تعالى : يا ابن آدم ، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ، ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً ، لأتيتك بقرابها مغفرة** "*. في هذا الحديث ما يبيّن معنى "لا إله إلا الله" التي رجحت بجميع المخلوقات وجميع السيئات ، وإن ذلك هو ترك الشرك قليله وكثيره ، وذلك يقتضي كمال التوحيد ، فلا يسلم من الشرك إلا من حقق توحيده وأتى بما تقتضيه كلمة الإخلاص من العلم واليقين والصدق والإخلاص والمحبة والقبول والانقياد وغير ذلك مما تقتضيه تلك العظيمة ، كما قال تعالى : ﴿ **يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ** ﴾[الشعراء : ٨٨- ٨٩] .

***

---

* رواه الترمذي برقم (٣٥٤٠) ، والدارمي برقم ٢٦٨٦ ، وإسناده حسن ، انظر الصحيحة برقم (١٢٧) .

﴿٣﴾ باب

من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب[1]

وقول الله تعالى : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ

---

[1] قوله : ﴿ **باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب** ﴾ :أي : ولا عذاب كما في الحديث ، وتحقيقه وتصفيته وتخليصه من شوائب الشرك والبدع والإصرار على الذنوب ، فمن كان كذلك حقق توحيده ، وتحقيق التوحيد عزيز في الأمة لا يوجد إلا في أهل الإيمان الخلص الذين أخلصهم الله واصطفاهم من خلقه كما قال تعالى في يوسف عليه السلام : ﴿ **كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ** ﴾[يوسف :٢٤] . وفي قراءة ﴿**الْمُخْلِصِينَ**﴾ وهم في صدر هذه الأمة كثيرون ، وفي آخرها هم الغرباء وقد قلوا ، وهم الأعظمون قدراً عند الله .

وقال تعالى عن خليله عليه السلام : ﴿ **قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾[الأنعام :٧٨-٧٩] ، أي أخلصت ديني وأفردت عبادتي للذي فطر السماوات والأرض أي خلقهما وابتدعهما على غير مثال سبق .

﴿**حَنِيفًا**﴾ أي : في حال كوني حنيفاً أي مائلاً عن الشرك إلى التوحيد ، ولهذا قال : ﴿**وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ ، ونظائر هذه الآية في القرآن كثير كقوله : ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً**﴾[النساء:١٢٥] ، وقال تعالى : ﴿**وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾[لقمان :٢٢] ، قال العماد ابن كثير* رحمه الله تعالى في الآية : يقول تعالى مخبراً عمن أسلم وجهه لله أي أخلص له العمل وانقاد لأوامره واتبع شرعه ولهذا قال : ﴿**وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾ -

---

* هو الحافظ عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن محمد المعروف بابن كثير القرشي الدمشقي الشافعي المحدث المتقن البارع ، توفي سنة ٧٧٤هـ ، انظر : الأعلام ٣٢٠/١ ، المستطرفة ص١٧٥ ، الدرر الكامنة ٣٩٩/١ ، البدر الطالع ١٥٣/١ .

﴿الْمُشْرِكِينَ﴾[1] [النحل : ١٢٠] .

= أي في عمله واتباع ما أمر به وترك ما عنه زجر ، فدلت هذه الآية العظيمة على أن كمال الإخلاص إنما يوجد بترك الشرك والبراءة منه وممن فعله كما تقدم في الباب قبل هذا .

(1) قوله : وقول الله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ ، قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : يمدح تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء بتبرئته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية ، والأمة : هو الإمام الذي يقتدى به ، والقانت : هو الخاشع المطيع ، والحنيف : المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد ، ولهذا قال : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ لْمُشْرِكِينَ﴾ .

وقال مجاهد* : كان إبراهيم أمة أي مؤمناً وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار .

قلت : وكلا القولين حق فقد كان الخليل عليه السلام كذلك . وقول مجاهد والله أعلم لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوته ورسالته عليه السلام فمدحه الله تعالى بتبرئته من المشركين كما قال تعالى : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً﴾[مريم : ٤١-٤٢] الآيات ، وقوله : ﴿وإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لإِبْرَاهِيم * إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾[الصافات :٨٢-٨٤] فهذا - والله أعلم - كان في ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام ، ولم يكن إذ ذاك على وجه الأرض مسلم غيره ، وبذلك جاء الحديث** .

وقوله : ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ لْمُشْرِكِينَ﴾ : فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان ، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته ، وكسّر الأصنام ، وصبر على ما أصابه في ذات الله ، وهذا هو تحقيق التوحيد ، وهو أساس الدين ورأسه كما قال تعالى :﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[البقرة : ١٣١] ، وأنت تجد أكثر من يقول " لا إله إلا =

---

* هو مجاهد بن جبر أبوالحجاج المكي ، الإمام شيخ القراء والمفسرين ، توفي سنة ١٠٣هـ ، انظر : السير ٤٤٩/٤ ، الشذرات ١٢٥/١ ، العبر ٩٤/١ .

** رواه البخاري برقم ٢٢١٧ ، ومسلم برقم ٢٣٧١ ، وفيه هجرة إبراهيم عليه السلام .

وقال : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾[1] [المؤمنون :٥٧] .

عن حصين بن عبدالرحمن[2] قال : كنت عند سعيد بن جبير[3] فقال : أيكم رأى

= الله " ويدّعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين والطواغيت والجن وغيرهم ويحبهم ويواليهم ويخافهم ويرجوهم ، وينكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه ، ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة ، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وأبغضه ، وبعضهم لا يعد التوحيد علماً ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته . فالله المستعان .

[1] وقوله : وقول الله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ﴾ إلى قوله : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾ قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : أي من إحسانهم وعملهم الصالح مشفقون من الله ، خائفون وجلون من مكره بهم ، كما قال الحسن البصري* : المؤمن من جمع إحساناً وشفقاً ، والمنافق من جمع إساءة وأمناً . ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يؤمنون بآيات الله الكونية والشرعية لقوله تعالى عن مريم : ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[التحريم :١٢] أي أيقنت أن ما كان فهو من قدر الله وقضائه ، وما شرعه الله إن كان أمراً فهو ما يحبه الله ويرضاه ، وإن كان نهياً فهو ما يكرهه ويأباه ، وإن كان خبراً فهو حق كما قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ﴾ أي لا يعبدون معه غيره ، بل يوحدونه ويعلمون أنه لا إله إلا هو الأحد الصمد الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً ، وأنه لا نظير له . اهـ .قلت : فترك الشرك يتضمن كمال التوحيد ومعرفته على الحقيقة ومحبته وقبوله والدعوة إليه كما قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[الرعد :٣٦] وتضمنت هذه الآية كما التوحيد وتحقيقه . وبالله التوفيق .

[2] قوله : " عن حصين بن عبدالرحمن " هو الحارثي من تابعي التابعين عن الشعبي .

[3] قال : "كنت عند سعيد بن جبير" هو الوالبي مولاهم الفقيه عن ابن عباس وخلق ، قال =

---

* هو أبوسعيد الحسن بن الحسن يسار البصري العابد الزاهد ، توفي سنة ١١٠هـ ، انظر : العبر ١٠٣/١ ، النهاية ٢٧٨/٩ .

الكوكب الذي انقضّ البارحة[1] ؟ فقلت : أنا . ثم قلت : أمَا إني لم أكن في صلاة[2] ولكني لُدِغت . قال : فما صنعت ؟ قال : ارتقيت . قال : فما حملك على ذلك ؟ . قلت : حديث حدثناه الشعبي[3] ، قال : وما حدّثكم ؟ . قلت : حدثنا عن بريدة بن الحُصيب أنه قال : **لا رقية إلا من عين أو حُمَة** [4] .

= اللالكائي : ثقة إمام حجة ، قتله الحجاج بن يوسف فما أمهله الله بعده .

[1] قوله : " فقال : أيكم رأى الكوكب الذي انقضّ البارحة ؟" يعني كوكباً رجم به تلك الليلة ، يقال "البارحة" لليلة الماضية إذا زالت الشمس ، وأما قبل الزوال فيقال الليلة .

[2] قوله : "فقلت : أنا " أي : أنا رأيته ، " ثم قلت : أما إني لم أكن في صلاة" قال ذلك حذراً من الشرك لئلا يظن الحاضرون أنه قام من الليل للعبادة فيكون قد ادعى لنفسه ما لم يفعله ، فما أشد حذر التابعين ومن قبلهم من الشرك دقيقه وجليله ، والحذر من أن يحمد بما لم يفعله ، فما أعز من سلم من الشرك كما سيأتي .

[3] قوله : قلت حديث حدثناه الشعبي ، قال : وما حدثكم ؟ قلت : حدثنا عن بريدة بن الحصيب أنه قال : "**لا رقية إلا من عين أو حُمَة** " .

هذا الحديث قد رُوي مرفوعاً ، والشعبي اسمه عامر بن شراحيل الحميري الشعبي الإمام ، روى عن عمر وعلي وابن مسعود ولم يسمع منهم ، وعن أبي هريرة وعائشة وجرير وابن عباس وخلق ، قال الشعبي : ما كتبت سوداء في بيضاء ، أي كلما سمع حفظه فحدّث به من حفظه ، توفي سنة ثلاث ومائة ، وبريدة هو ابن الحصيب بن عبدالله بن الحارث الأسلمي ، أسلم قبل بدر ، وعمل على اليمن في أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، صحابي مشهور .

[4] قوله : " **لا رقية إلا من عين أو حمة** " هذا والله أعلم في أول الأمر ثم رخص في الرقى إذا كانت بحق . والله أعلم .

قوله : " ولكن حدثنا ابن عباس" هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب بن هاشم ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم حبر الأمة وترجمان القرآن ، دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم =

قال : قد أحسن من انتهى إلى ما سمع[1] ، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي صلى ا لله عليه وسلم أنه قال : " **عُرضت عليّ الأمم[2] ، فرأيت النبي ومعه الرهط ، والنبي معه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد[3] ، إذ رُفع لي سواد عظيم ، فظننت أنهم**

= فقال : "**اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل**"* وصار آية في العلم والفهم وكثرة ما روى من الأحاديث ، على أنه من صغار الصحابة لكن طلب الحديث من كبار الصحابة فحفظ الأكثر مما كان عندهم ، رضي ا لله عنهم أجمعين .

[1] قوله : "قد أحسن من انتهى إلى ما سمع" فيه حسن الأدب مع العلم وأهله ، وأن من فعل شيء ، وأن من فعل شيئاً سئل عن مستنده في فعله هل كان مقتدياً أم لا ؟ ، ومن لم يكن معه حجة شرعية فلا عذر له بما فعله ، ولهذا ذكر ابن عبدالبر** إجماع أهل العلم على أن المقلد ليس من أهل العلم ، فتفطّن لهذا .

[2] قوله : أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال : "**عُرضت عليّ الأمم**" .

قلت : فا لله أعلم متى عرضت ، وعرضها أن ا لله تبارك وتعالى أراه مثالها إذا جاءت الأنبياء يوم القيامة ومن تبعهم ، فمن نجا بالإيمان با لله وما بعث به أنبياءه ورسله من دينه الذي شرعه لهم ، وهو عبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه ، والأخذ بما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه كما قال تعالى عن نوح : ﴿**قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ**﴾[نوح :٢-٣] فعبادته توحيده وطاعته بامتثال ما أمرهم به وترك ما نهاهم عنه وطاعة رسوله ، هذا هو الدين : أن لا يعبد إلا ا لله ، وأن لا يعبد إلا بما شرع فعلاً وتركاً ، وأن يقدم طاعة رسوله على ما يحبه ويهواه .

[3] قوله : "**فرأيت النبي ومعه الرهط**" الرهط العشرة فما دون ، "**والنبي ومعه الرجل والرجلان**" أي أتباعه ، "**والنبي وليس معه أحد**" أي يبعث في قومه فلا يتبعه مهم أحد كما =

---

* رواه البخاري برقم ١٤٣ ، ومسلم برقم ٢٤٧٧ ، واللفظ المذكور في المسند .

** هو أبوعمر يوسف بن عبدا لله بن محمد "ابن عبدالبر" النمري القرطبي المالكي حافظ المغرب ، توفي سنة ٤٦٣هـ ، انظر : السير ١٨/١٥٣ ، العبر ٢/٣١٦ ، دول الإسلام ١/٢٧٣

أمتي ، فقيل لي : هذا موسى وقومه[1] ، فنظرت فإذا سواد عظيم ، فقيل لي : هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب "[2] . ثم نهض

= قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ * وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[الحجر :١٠،١١] وفيه دليل على أن الناجي من الأمم هو القليل قديماً وحديثاً ، والأكثر غلبت عليهم الطباع البشرية فعصوا الرسل فهلكوا كما قال تعالى :﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[الأنعام :١١٦] وقال تعالى : ﴿ وَمَا وَجَدْنَا لأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ وَإِنْ وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ﴾[الأعراف :١٠٢] ، وقال : ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ﴾ [الروم : ٤٢] ، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير ، والناجون وإن كانوا أقل القليل فهم السواد الأعظم فإنهم الأعظمون قدراً عند الله وإن قلوا ، فليحذر المسلم أن يغتر بالكثرة ، وقد اغتر بهم كثيرون حتى بعض من يدعي العلم ، اعتقدوا في دينهم ما يعتقده الجهال الضلال ، ولم يتلفتوا إلى ما قاله الله ورسوله .

[1] قوله : " إذ رفع لي سواد عظيم فظننت أنهم أمتي ، فقيل لي هذا موسى وقومه" . فيه فضيلة أتباع موسى من بني إسرائيل ممن آمن منهم بالرسل ، والكتب التي أنزلها الله ، التوراة والإنجيل والزبور والفرقان وغيرها ، وكانت بنو إسرائيل قبل التفرق كثيرين وفيهم الأنبياء ، ثم بعد ذلك حدث ما حدث من اليهود ، وهذا الحديث يدل على أن التابع لموسى عليه السلام كثيرون جداً ، وقد قال تعالى : ﴿وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾[الجاثية :١٦] أي في زمانهم ، وذلك أن في زمانهم وقبله ممن كفر بالله خلقاً لا يحصيهم إلا الله كحزب جالوت وبختنصر وأمثالهم ، ففضل الله بني إسرائيل بالإيمان فصاروا أفضل أهل زمانهم ، وحدث فيهم ما ذكر الله في سورة البقرة وغيرها من معصيتهم لأنبيائهم ، واختلافهم في دينهم ، وقد ذكره الله تعالى محتجاً به على اليهود الذين كفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فتدبر ما ذكره الله تعالى من أحوالهم بعد الاختلاف .

[2] قوله : "فنظرت فإذا سواد عظيم" ، وفي رواية "قد سدّ الأفق" فقيل لي : هذه أمتك =

فدخل منزله فخاض الناس في أولئك[1] ، فقال بعضهم : فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال بعضهم : فلعلهم الذين وُلدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه ، فقال : " **هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون** "[2] .

= **ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**" فيه فضيلة هذه الأمة وأنهم أكثر الأمم تابعاً لنبيهم صلى الله عليه وسلم ، وقد كثروا في عهد الصحابة رضي الله عنهم ، وفي وقت الخلفاء الراشدين ومن بعدهم فملأوا القرى والأمصار والقفار ، وكثر فيهم العلم واجتمعت لهم الفنون في العلوم النافعة ، فما زالت هذه الأمة على السنة في القرون الثلاثة المفضلة ، وقد قلوا في آخر الزمان ، قال شيخنا رحمه الله تعالى في مسائله : وفيه فضيلة هذه الأمة بالكمية والكيفية ، فالكمية : كثرة العدد ، والكيفية : فضيلتهم في صفاتهم كما في هذا الحديث بقوله : "**ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**" .

[1] قوله : "ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك" أي الحاضرون له في ذكر هذ الحديث ، وفيه أيضاً فضل الصحابة رضي الله عنهم في مذاكرتهم العلم ، وحرصهم على فهم ما حدثهم به نبيهم صلى الله عليه وسلم حرصاً على العمل به ، وفيه جواز الاجتهاد فيما لم يكن فيه دليل ، لأنهم قالوا ما قالوا باجتهادهم ، ولم ينكر صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، لكن المجتهد إذا لم يكن معه دليل لا يجوز له أن يجزم بصواب نفسه ، بل يقال : لعل الحكم كذا وكذا كقول الصحابة رضي الله عنهم في هذا الحديث .

[2] قوله : فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبروه فقال : "**هم الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون**" أي لا يطلبون الرقية من أحد ، ولا يكتوون إذا كان فيهم ما يستشفى منه بالكي . "**ولا يتطيرون**" والطيرة شرك فتركوا الشرك رأساً ولم ينزلوا حوائجهم بأحد فيسألونه الرقية فما فوقها ، وتركوا الكي وإن كان يراد للشفاء ؛ والحامل لهم على ذلك قوة توكلهم على الله وتفويضهم أمورهم إليه ، وأن لا تتعلق قلوبهم بشيء سواه في ضمن ما دبره وقضاه ، فلا يرغبون إلا إلى ربهم ولا يرهبون إلا =

فقام عُكاشة بن محصن فقال : ادع الله أن يجعلني منهم[1] ، قال : "**أنت منهم**"[2] ، ثم قام رجل آخر فقال أُدعُ الله أن يجعلني منهم ، فقال : "**سبقك بها عكاشة**"[3] .

= منه ، ويعتقدون أن ما أصابهم بقدره واختياره لهم فلا يفزعون إلا إليه وحده في كشف ضرهم ، قال تعالى عن يعقوب عليه السلام : ﴿**إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ**﴾ .

[1] قوله : "فقام عكاشة بن محصن" صحابي مشهور شهد بدراً والمشاهد كلها مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو من بني أسد بن خزيمة ، قتله طليحة بن خويلد شهيداً ، وكان قد سار مع خالد بن الوليد لقتال أهل الردة فقاتل بني أسد لردتهم عن الإسلام ، وكان فيهم طليحة وقد ادعى النبوة وصدقوه فأكرم الله عكاشة على يده لما كان كافراً ، ثم بعد ذلك هداه الله إلى الإسلام وجاهد الفرس مع سعد بن أبي وقاص وصار له في الفرس وقائع معروفة في السير ، وكان ممن استشهد في قتالهم في وقعة الجسر المشهور .

قوله : "فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يجعلني منهم" فيه أن شفاعة الحي لمن سأله الدعاء إنما كانت بدعائه ، وبعد الموت قد تعذر ذلك بأمور لا تخفى على من له بصيرة ، فمن سأل ميتاً أو غائباً فقد سأله ما لا يقدر عليه ، ومن سأل أحداً ما لا يقدر عليه إلا الله ؛ فقد جعله نداً لله كما كان المشركون كذلك وقال تعالى : ﴿**فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ أنه ربكم وخالقكم ومن قبلكم وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ، فلا ترغبوا عنه إلى غيره ، بل أخلصوا له العبادة بجميع أنواعها فيما تطلبونه من قليل أو كثير .

[2] قوله : "**أنت منهم**" لما يعلمه صلى الله عليه وسلم من إيمانه وفضله وجهاده كما في الحديث : "**لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**"* .

[3] قوله :"ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم، فقال: "**سبقك بها عكاشة**"** والظاهر أنه أراد صلوات الله وسلامه عليه سد الذريعة، لئلا يتتابع الناس بسؤال ذلك فيسأله من ليس أهلاً له ، وذلك منه صلى الله عليه وسلم تعريض كما لا يخفى .

---

* رواه البخاري برقم (٣٤١٠) ، ومسلم برقم (٢٢٠) .

** رواه البخاري برقم (٣٠٠٧) ، ومسلم برقم (٢٤٩٤) .

﴿٤﴾ باب

الخوف من الشرك[1]

وقول الله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾[النساء :١١٦] ، وقال الخليل عليه السلام : ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾[3] [إبراهيم :٣٥] وفي الحديث : "**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**"

---

[1] قوله : " باب الخوف من الشرك وقول الله تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ . قال النووي رحمه الله تعالى : أما دخول المشرك النار فهو على عمومه ، فيدخلها ويخلد فيها ، ولا فرق بين الكتابي واليهودي والنصراني وبين عبدة الأوثان وسائر الكفرة ، ولا فرق عند أهل الحق بين الكافر عناداً وغيره ، ولا بين من خالف ملة الإسلام وبين من انتسب إليها ثم حكم بكفره بجحده ما يكفر بجحده ، وأما دخول من مات غير مشرك الجنة فهو مقطوع له به ، لكن إن لم يكن صاحب كبيرة ، مات مصرّاً عليها دخل الجنة أولاً ، وإن كان صاحب كبيرة .. مات مصرّاً عليها فهو تحت المشيئة فإن عفي عنه دخل الجنة أولاً وإلا عذب ثم أخرج من النار وخلد في الجنة . اهـ .

قلت : هذا قول أهل السنة والجماعة لا اختلاف بينهم في ذلك* .

وهذه الآية من أعظم ما يوجب الخوف من الشرك ، لأن الله تعالى قطع المغفرة عن المشرك ، وأوجب له الخلود في النار وأطلق ولم يقيد ، ثم قال :﴿**وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ**﴾ فخصّص وقيد فيما دون الشرك ، فهذا الذنب الذي هذا شأنه لا يأمن أن يقع فيه فلا يرجى له معه نجاة ، إن لم يتب منه قبل الوفاة .

[3] قوله : "وقال الخليل عليه السلام : ﴿**وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ**﴾" أي إبراهيم عليه السلام خليل الرحمن ، والخُلّة أخصّ من المحبة ، ولهذا اُختص بها الخليلان إبراهيم ومحمد صلى الله عليهما وسلم .

---

* انظر : شرح الطحاوية ٣٦٩-٣٧٠ .

= ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ﴾ : وهذا أيضاً يخيف العبد ، فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله ا لله أمة وحده وابتلاه بكلمات فأتمهن وقال : ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ﴾[النجم :٣٧] وأُمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه ، وكسر الأصنام واشتد نكيره على أهل الشرك ، ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا ا لله بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوته ، وما أحسن ما قال إبراهيم التيمي* : ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم ؟ فهذا أمر لا يؤمن من الوقوع فيه وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة ، فاتخذت الأوثان وعبدت، فالذي خافه عليه السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الامة بعد القرون المفضلة ، فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وصرفت لها العبادات بأنواعها واتخذ ذلك ديناً ، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة وأصنام العرب وغيرهم ، فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم ، بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الإلهية من شركهم في الربوبية مما يطول عده ، فذكر عليه السلام السبب الذي أوجب الخوف عليه وعلى ذريته بقوله : ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾[إبرهيم :٢٦] وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده ، فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث ا لله أنبياءه ورسله بالنهي عنه ، والوعيد على فعله ، والثواب على تركه ، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر ا لله به ونهى عنه ، نسأل ا لله الثبات على الإسلام والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى ا لله على التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا با لله العلي العظيم .

وقال تعالى : ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[المائدة :١١٨] ردّ أمرهم إلى ا لله كما ردّ عيسى عليه السلام ، وقد بيّن ا لله تعالى فيما أنزله على نبيه محمد صلى ا لله عليه وسلم حكمه في أهل الشرك بأنه لا يغفر لهم فلا معارضة ، وقد بيّن حكمه فيهم في هذا الكتاب العزيز الذي ﴿لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ =

* هو العابد الزاهد إبراهيم التيمي توفي في حبس الحجاج سنة ٩٢هـ ، انظر : حلية الأولياء ترجمة (٢٧٢) .

فسُئل عنه فقال : "**الرياء**"[1] . وعن عبدا لله بن مسعود[2] رضي ا لله عنه أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : "**من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار**" رواه البخاري .

= **مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**﴾[فصلت :٤٢] .

[1] وقوله "وفي الحديث : "**أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر**" فسُئل عنه ، فقال : "**الرياء**" ، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد* والطبراني والبيهقي عن محمود بن لبيد ، فإذا كان يخافه صلى ا لله عليه وسلم على أصحابه الذين وحدوا ا لله بالعبادة ورغبوا إليه وإلى ما أمرهم به من طاعته فهاجروا وجاهدوا من كفر به وعرفوا ما دعاهم إليه نبيهم ، وما أنزله ا لله في كتابه من الإخلاص والبراءة منّ الشرك ، فكيف لا يخاف من لا نسبة له إليهم في علم ولا عمل مما هو أكبر من ذلك ، وقد أخبر صلى ا لله عليه وسلم عن أمته بوقوع الشرك الأكبر فيهم بقوله في حديث ثوبان الآتي ذكره : "**حتى يلحق قبائل من أمتي المشركين ، وحتى تُعبد فئام من أمتي الأوثان**" ، وقد جرى ما أخبر به صلى ا لله عليه وسلم وعمت به البلوى في أكثر الأقطار حتى اتخذوه ديناً مع ظهور الآيات المحكمات ، والأحاديث الصحيحة في النهي عنه والتخويف منه كما قال تعالى : ﴿**إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ**﴾[المائدة :٧٢] ، وقال : ﴿**فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ**﴾[الحج :٣٠-٣١] ، وهذا هو تحقيق التوحيد كما تقدم في الباب قبله ، ثم قال تعالىمحذراً عباده من الشرك : ﴿**وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾[الحج :٣١] ، ومن لم تخوفه هذه الآيات وتزجره عن الشرك في العبادة إذا تدبرها فلا حيلة فيه .

[2] قوله : " وعن عبدا لله بن مسعود رضي ا لله عنه أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : " **من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار** " . رواه البخاري** ، وهذا الحديث فيه =

---

* رواه الإمام أحمد في المسند برقم (٢٤٣٠) وإسناده جيد ، انظر : الصحيحة برقم (٩٥١) ، وصحيح الجامع برقم (١٥٥٥) ، وصحيح الترغيب برقم (١٢٨) ، ورواه الطبراني ، انظر المجمع ١٠٢/١ ، والبيهقي في الشُعب (٤٨٣١) .

** رواه أحمد برقم (٤٤٠٦) ، والبخاري برقم (١٢٣٨).

ولمسلم عن جابر رضي ا لله عنه أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : **"من لقي ا لله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار"**[1] .

= التحذير من الشرك أيضاً والتخويف منه ، والندّ المثل والشبيه ، فمن دعا ميتاً أو غائباً وأقبل إليه بوجهه وقلبه رغبة إليه ورهبة منه سواء سأله أو لم يسأله فهذا هو الشرك الذي لا يغفره ا لله ، ولهذا حرّم ا لله تعالى اتخاذ الشفعاء وأنكره على من فعل ذلك أشد الإنكار ، لكونه ينافي الإخلاص الذي هو إقبال القلب والوجه على ا لله في كل ما يخافه العبد ويرجوه ويتقرب به ويدين به ، ومن المعلوم أنه إذا التفت للشفيع يسأله فقد أعرض بوجهه وقلبه عن ا لله تعالى إلى غيره وذلك ينافي الإخلاص ويأتي بيان ذلك في باب الشفاعة إن شاء ا لله تعالى .

[1] قوله : " ولمسلم عن جابر رضي ا لله عنه أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال : **"من لقي ا لله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار"*** .

قوله : **"من لقي ا لله لا يشرك به شيئاً "** هذا هو الإخلاص كما تقدم .

وقوله : **" ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار"** هذا هو الشرك فمن لقي ا لله بالشرك دخل النار قل أو كثر ، أما الشرك الأكبر فلا عمل معه ، ويوجب الخلود في النار كما تقدم في معنى ا لآيات ، وأما الأصغر كيسير الرياء ، وقول الرجل ما شاء ا لله وشئت ، وقوله ما لي إلا ا لله وأنت ونحو ذلك فهذا لا يكفر إلا برجحان السيئات بالحسنات .

قال بعض العلماء : اقتصر على نفي الشرك لاستدعائه التوحيد بالاقتضاء واستدعائه إثبات ا لله الرسالة باللزوم ، إذ من كذب رسل ا لله فقد كذب ا لله ، ومن كذب ا لله فهو مشرك ، فالمراد من مات حال كونه مؤمناً بجميع ما يجب الإيمان به إجمالاً في الإجمالي ، وتفصيلاً في التفصيلي . اهـ .

***

---

* روه مسلم برقم (٩٣) ، وأحمد برقم (١٤٧٦٨) .

﴿٥﴾ باب

الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله

وقول الله تعالى :﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّـهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[1] [يوسف :١٠٨] .

---

[1] قوله : باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله وقول الله تعالى :﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

قال أبوجعفر ابن جرير : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ قُلْ ﴾ يا محمد ﴿ هَذِهِ ﴾ الدعوة التي أدعو إليها والطريقة التي أنا عليها من الدعاء إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له دون الآلهة والأوثان ، والانتهاء إلى طاعته وترك معصيته ﴿ سَبِيلِي ﴾ وطريقتي ودعوتي ﴿ أَدْعُو إِلَى اللَّهِ ﴾ وحده لا شريك له ﴿ عَلَى بَصِيرَةٍ ﴾ بذلك ويقين علم مني به ﴿ أَنَا، وَ ﴾ يدعو إليه على بصيرة أيضاً ﴿ مَنِ اتَّبَعَنِي ﴾ وصدّقني وآمن بي ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره : وقل تنزيهاً وتعظيماً له من أن يكون له شريك في ملكه أو معبود سواه في سلطانه ﴿ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ يقول وأنا بريء من أهل الشرك به لست منهم ولا هم مني .اهـ .

وهذه الآية تدل على أن أتباعه هم أهل البصائر الداعون إلى الله تعالى ، ومن ليس منهم فليس من أتباعه على الحقيقة والموافقة ، وإن كان من أتباعه على الانتساب والدعوى ، قاله العلامة ابن القيم رحمه الله : وقد قال تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلاَ أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[الرعد :٣٦] وما زال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يدعون إلى ما أمر الله به من الدعوة إلى توحيده في العبادة ، والنهي عن الشرك به ، ويجاهدون على ذلك ، والآيات في الأمر بذلك كثيرة جداً كقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ ﴾[النساء :١٢٥] . وقوله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[فصلت : ٣٣] .

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : "**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله** "[1] ، وفي رواية : " **إلى أن يوحدوا الله ، فإن هم أطاعوك لذلك**

---

[1] **قوله** : عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له : "**إنك تأتي قوماً من أهل الكتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**" الحديث . وأهل الكتاب المذكورون في هذا الحديث من كان في اليمن من اليهود والنصارى إذ ذاك .

قوله : " **فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله**" وكانوا يقولونها ، لكنهم جهلوا معناها الذي دلت عليه من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه ، فكان قولهم لا إله إلا الله لا ينفعهم لجهلهم بمعنى هذه الكلمة كحال أكثر المتأخرين من هذه الأمة فإنهم كانوا يقولونها مع ما كانوا يفعلونه من الشرك بعبادة الأموات والغائبين والطواغيت والمشاهد ، فيأتون بما ينافيها فيثبتون ما نفته من الشرك باعتقادهم وقولهم وفعلهم ، وينفون ما أثبتته من الإخلاص كذلك ، وظنوا أن معناها القدرة على الاختراع تقليداً للمتكلمين من الأشاعرة* وغيرهم ، وهذا هو توحيد الربوبية الذي أقرّ به المشركون فلم يدخلهم في الإسلام كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ لِمَنِ الأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ** – إلى قوله – **فَأَنَّى تُسْحَرُونَ**﴾[المؤمنون :٨٣-٨٩] ، وقوله : ﴿ **قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ** – إلى قوله – **وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلاَ تَتَّقُونَ**﴾[يونس :٣١] ، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير .

وهذا التوحيد قد أقرّ به مشركو الأمم وأقر به أهل الجاهلية الذين بعث فيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، فلم يدخلهم في الإسلام لأنهم قد جحدوا ما دلت عليه هذه الكلمة من توحيد الإلهية وهو إخلاص العبادة ونفي الشرك والبراءة منه كما قال تعالى : ﴿ **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ** =

---

* الأشاعرة فرقة كلامية إسلامية تنسب إلى أبي الحسن الأشعري ، الذي خرج من المعتزلة ثم عاد إلى عقيدة السلف وحده دون أتباعه ، انظر : الموسوعة الميسرة ٨٧/١ ، موقف ابن تيمية من الأشاعرة .

- ﴿تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[آل عمران : ٦٤] فهذا التوحيد هو أصل الإسلام ، وقال تعالى :﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[يوسف:٤٠] ، وقال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ﴾[الروم :٤٣] ، وقال تعالى :﴿ذَلِكُمْ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾[غافر:١٢] وقال تعالى ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ* أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾[الزمر :١-٢] ، وأمثال هذه الآيات في بيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب في القرآن كثير ، وسنذكر بعض ذلك إن شاء الله في هذا التعليق .

قوله : " **فليكن أول** " منصوب على أنه خبر "يكن" مقدم و"شهادة" اسمها مؤخر ويجوز العكس ، وفيه دليل على أن توحيد العبادة هو أول واجب ؛ لأنه اساس الملة وأصل دين الإسلام ، وأما قول المتكلمين ومن تبعهم : أن أول واجب معرفة الله بالنظر والاستدلال ، فذلك أمر فطري فطر الله عليه عباده ولهذا كان مفتتح دعوة الرسل أممهم إلى توحيد العبادة : ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾[هود الآية:٦١] ، ﴿ أَنْ لاَ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ ﴾[هود :٢٦] قال تعالى : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾[الأنبياء :٢٥] ، وقال تعالى :﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[إبراهيم :١٠] ، قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : "هذا يحتمل : شيئين أحدهما : أفي وجوده شك ؟ فإن الفِطَر شاهدة بوجوده ومجبولة على الإقرار به ، فإن الاعتراف به ضروري في الفطر السليمة ، والمعنى الثاني : أفي إلهيته وتفرده بوجوب العبادة له شك ؟ وهو الخالق لجميع الموجودات فلا يستحق العبادة إلا هو وحده لا شريك له ، فإن غالب الأمم كانت مقرة بالصانع ، ولكن تعبد معه غيره من الوسائط التي يظنون أنها تنفعهم أو تقربهم من الله زلفى ". اهـ .

قلت : وهذا الاحتمال الثاني يتضمن الأول .

فأعلمهم أن ا لله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة[1] ، فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن ا لله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم[2] ،

= وروى أبوجعفر بن جرير بسنده عن عكرمة* ومجاهد وعامر أنهم قالوا : ليس أحد إلا وهو يعلم أن ا لله خلقه وخلق السماوات والأرض فهذا إيمانهم .

وعن عكرمة أيضاً : تسألهم من خلق السماوات والأرض ؟ فيقولون : ا لله . فذلك إيمانهم وهم يعبدون غيره ، وقد تقدم "أن لا إله إلا ا لله" قد قيدت في الكتاب والسنة بقيود ثقال ، منها العلم واليقين والإخلاص والصدق والمحبة والقبول والانقياد والكفر بما يعبد من دون ا لله ، فإذا اجتمعت هذه القيود لمن قالها نفعته هذه الكلمة ، وإن لم تجتمع هذه لم تنفعه ، والناس متفاوتون في العلم بها والعمل ، فمنهم من ينفعه قولها ، ومنهم من لا ينفعه كما لا يخفى .

[1] قوله : " **فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن ا لله افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة**" فيه دليل على أن المشرك لا يطالب بفعل الصلاة إلا إذا أسلم بتركه الشرك باطناً وظاهراً ؛ لأن الإسلام شرط لصحة العبادة كما قال النووي رحمه ا لله ما معناه : " إنه يدل على أن المطالبة بالفرائض في الدنيا لا تكن إلا بعد الإسلام ولا يلزم من ذلك أن لا يكونوا مخاطبين بها ، ويزاد في عذابهم في الآخرة ، والصحيح أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة المأمور به والمنهي عنه ، وهذا قول الأكثرين .

[2] قوله : " **فإن هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن ا لله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فتُرَدُّ على فقرائهم**" . فيه أن الزكاة لا تنفع إلا من وحد ا لله ، وصلى الصلوات الخمس بشروطها وأركانها وواجباتها ، والزكاة قرينة الصلاة في كتاب ا لله تعالى ، ويدل على هذه الجملة قوله تعالى : ﴿**وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ**﴾[البينة : ٥] فمن أتى بهذه الأمور أتي ببقية الأركان لقوة الداعي إلى ذلك ؛ لأن ذلك يقتضي الإتيان بها لزوماً قال تعالى : ﴿**فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا** =

---

* هو أبوعبدا لله عكرمة البربري العلامة الحافظ المفسر ، توفي سنة ١٠٧هـ ، انظر : ميزان الاعتدال ٩٣/٣ ، التذكرة ٩٥/١ ، الشذرات ١٣٠/١ .

فإن هم أطاعوك لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم[1] ، **واتّق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين ا لله حجاب"**[2] . أخرجاه .

ولهما عن سهل بن سعد رضي ا لله عنه[3] أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال يوم خيبر : "**لأعطينَّ الراية غداً لرجل يحب ا لله ورسوله ويحبه ا لله ورسوله يفتح ا لله على يديه"**[4] فبات الناس يدوكون ليلتهم ، أيّهم يعطاها فلما أصبحوا غدوا على رسول

= **الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ**﴾[التوبة :٥] قال أنس في الآية : توبتهم خلع الأوثان وعبادتهم ربهم وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، وعن ابن مسعود مرفوعاً : "أمرتم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزك فلا صلاة له " ، وقال ابن زيد : أبى ا لله أن تقبل الصلاة إلا بالزكاة وفيه بيان مصرف الزكاة .

[1] قوله : "**فإن هم أطاعوك لذلك فإيّاك وكرائم أموالهم**" تحذير له من أن يتجاوز ما شرعه ا لله ورسوله في الزكاة وهو أخذها من أوساط المال ؛ لأن ذلك سبب لإخراجها بطيب نفس ونية صحيحة ، وكل ما زاد على المشروع فلا خير فيه ، وهذا أصل لا ينبغي التفطن له .

[2] قوله : "**واتّق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين ا لله حجاب"**** : يدل على أن العامل إذا زاد على المشروع صار ظالماً لم أخذ ذلك منه ، ودعوة المظلوم مقبولة ليس بينها وبين ا لله حجاب يمنع قبولها ، وفيه التحذير من الظلم مطلقاً ، فعلى العامل أن يتحرى العدل فيما استعمل فيه ، فلا يظلم بأخذ زيادة على الحق ، ولا يحابي بترك شيء منه ، فعليه أن يقصد العدل من الطرفين . وا لله أعلم .

[3] قوله : " عن سهل بن سعد " أي ابن مالك بن خالد الأنصاري الخزرجي الساعدي أبو العباس ، صحابي شهير ، وأبوه صحابي أيضاً ، مات سنة ثمان وثمانين وقد جاوز المائة .

[4] قوله : " أن رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم قال يوم خيبر : "**لأعطينَّ الراية غداً لرجل يحب ا لله ورسوله ويحبه ا لله ورسوله يفتح ا لله على يديه"** الحديث فيه البشارة بالفتح ، وهو -

---

* رواه الطبراني في الكبير وإسناده صحيح ، انظر : المجمع ٦٢/٣ .

** رواه البخاري برقم (١٣٩٥) ، ومسلم برقم (١٩) .

الله صلى الله عليه وسلم كلّهم يرجو أن يعطاها ، فقال : "**أين علي بن أبي طالب؟**"[1] ، فقيل : هو يشتكي عينيه ، فأرسلوا إليه[2] فأتي به ، فبصق في عينه ودعا له ، فبرأ كأن لم يكن به وجع[3] ، فأعطاه الراية فقال : " **انفُذْ على رِسْلِكَ حتى**

= علم من أعلام النبوة ، وقد وقع كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قوله : " **يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله**" قال شيخ الإسلام : ليس هذا الوصف مختصاً بعلي ولا بالأئمة ، فإن الله ورسوله يحب كل مؤمن تقي يحب الله ورسوله ، لكن هذا الحديث من أحسن ما يحتج به على النواصب الذين لا يتولونه أو يكفرونه أو يفسقونه كالخوارج ، لكن هذا الاحتجاج لا يتم على قول الرافضة الذين يجعلون النصوص الدالة على فضائل الصحابة كانت قبل ردتهم ، فإن الخوارج تقول في علي مثل ذلك ، لكن هذا باطل ، فإن الله ورسوله لا يطلق مثل هذا المدح على من يعلم الله أنه يموت كافراً .

وفيه إثبات صفة المحبة لله خلافاً للجهمية ومن أخذ عنهم ، وفيه فضيلة أخرى لعلي رضي الله عنه بما خصّه به من إعطاء الراية ودعوته أهل خيبر إلى الإسلام وقتالهم إذا لم يقبلوا ، وقد جرى له رضي الله في قتالهم كرامات مذكورة في السير والمغازي .

وفيه مشروعية الدعوة إلى الإسلام الذي أساسه شهادة أن لا إله إلا الله لقوله تعالى : ﴿**وَلْتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ**﴾[آل عمران : ١٠٤] .

[1] قوله : "فقال : "**أين علي بن أبي طالب؟**" فقيل : هو يشتكي عينيه" :

قال المصنف رحمه الله تعالى : فيه الإيمان بالقدر ، لحصولها لمن لم يسع ومنعها عمن سعى .

[2] قوله : "فأرسلوا إليه" أي النبي صلى الله عليه وسلم أرسل إليه من يأتيه به ، وفي صحيح مسلم أن الذي جاء به سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وعن إياس بن سلمة عن أبيه أن الذي جاء به سلمة رضي الله عنه .

[3] قوله : "فبصق في عينيه" أي تفل . قوله : "ودعا له فبرأ" هو بفتح الراء والهمزة ، أي عوفي في الحال عافية كاملة ، وذلك بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث : فدعا =

تنزل بساحتهم[١] ، ثم ادعهم إلى الإسلام[٢] ، وأخبرهم بما يجب عليهم من حق ا لله تعالى فيه[٣] ، فوا لله لأن يهدي ا لله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر

= فاستجيب له عليه السلام ، وفيه علم من أعلام النبوة أيضاً ، وذلك كله با لله ومن ا لله وحده ، وهو الذي يملك الضر والنفع ، والعطاء والمنع ، لا إله غيره ولا رب سواه .

[١] قوله : " **انفذ**" هو بضم (الهمزة والفاء) ، قوله : "**على رِسْلِك**" أمره أن يسير إليهم بأدب وأناة "**حتى تنزل بساحتهم**" الساحة هي ما قرب من حصونهم .

[٢] قوله : " **ادعهم إلى الإسلام**" هذا هو شاهد الترجمة ، وهكذا ينبغي لأهل الإسلام أن يكون قصدهم بجهادهم هداية الخلق إلى الإسلام والدخول فيه ، وينبغي لولاة الأمر أن يكون هذا هو معتمدهم ومرادهم ونيتهم ، قال شيخ الإسلام : "دين الإسلام الذي ارتضاه ا لله وبعث به رسله هو الاستسلام لله وحده ، فأصله في القلب ، والخضوع لله وحده بعبادته دون ما سواه ، فمن عبده وعبد معه إلهاً آخر لم يكن مسلماً ، ومن استكبر عن عبادته لم يكن مسلماً ، وأما الإيمان فأصله تصديق القلب وإقراره ومعرفته " .

[٣] قوله : "**وأخبرهم بما يجب عليهم من حق ا لله تعالى فيه**" مما أمر به وشرعه من حقوق "لاإله إلا ا لله" وهذا يدل على أن الأعمال من الإيمان ، خلافاً للأشاعرة والمرجئة في قولهم إنه القول ، وزعموا أن الإيمان هو مجرد التصديق ، وتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة ، لأن الدين ما أمر ا لله به فعلاً وما نهى عنه تركاً .

وفيه الرد على المشركين المستدلين على الشرك بكرامات الأولياء لدلالتها على فضلهم ، وأمير المؤمنين علي رضي ا لله عنه وقع له من الكرامات ما لم يقع لغيره ، وله من السابقة والجهاد والفضائل ما ليس لغيره ، وقد خدّ الأخاديد وأضرمها بالنار وقذف فيها من غلا فيه أو اعتقد فيه بعض ما كان يعتقده هؤلاء المشركون مع أهل البيت وغيرهم ، فصار من أشد الصحابة رضي ا لله عنه بعداً عن الشرك وشدة على من أشرك حتى أحرقهم بالنار* ، وكذلك عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه مع ما أعطي من الكرامات صار من أبعد الصحابة عن الشرك وذرائعه =

---

* رواه البخاري برقم (٦٩٢٢) .

النَّعَم"[1] . يدوكون : أي يخوضون[2] .

= وهما أفضل أهل الكرامات فما زادهم ذلك إلا قوة في التوحيد وشدة على أهل الشرك والتنديد ، كما جرى لعمر رضي الله عنه في الاستسقاء بالعباس وتعمية قبر دانيال لما وجده الصحابة في بيت مال الهرمزان ، كما أن المعجزات إنما زادت الرسل قوة في الدعوة إلى التوحيد وشدة على أهل الشرك والإنكار عليهم وجهادهم ، لكن قد يقع من الأحوال الشيطانية لمن استحوذ عليه الشيطان فأنساه ذكر ربه قد يلتبس على الجهال الذين تلبسوا بالشرك ويظنون أن ذلك كرامات ، وهي من مكر الشيطان وإغوائه لم يعرف الحق من الباطل وقد قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ**﴾[الزخرف :٤٣] ، فكذلك يجب على كل أحد أن يطلب الحق من القرآن بتدبره فإنه الصراط المستقيم ، ولا يلتفت إلى ما زخرفته الشياطين كما اغتر به من اغتر في هذه الأمة ومن قبلهم .

(١) قوله : " **فوالله** " فيه جواز حلف المفتي على ما أفتى به .

قوله : " **لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حُمْر النَّعَم**"* بسكون الميم : الإبل الحُمْر وهي أنفس الأموال عند العرب ، وفيه الترغيب في الدعوة إلى الله وطلب الهداية لمن أراد الله هدايته ، ليحصل للداعي إلى الحق هذه الفضيلة العظيمة بهداية من اهتدى ، فلا ينبغي التفريط في هذه المطالب العالية . وبالله التوفيق .

(٢) قوله : " يدوكون ، أي يخوضون " : بيّن المصنف رحمه الله تعالى معنى هذه اللفظة بأن المراد خوض السامعين في هذا الخير وتمني حصوله . والله أعلم .

***

---

* رواه البخاري برقم (٢٩٤٣) ، ومسلم برقم (٢٤٠٦) .

﴿٦﴾ باب

تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله[1]

وقول الله تعـالى : ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ[2] أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾الآية[الإسراء : ٥٧] ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ

---

[1] قوله : "باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله " ، قوله : "وشهادة أن لا إلـه إلا الله " من عطف الدال على المدلول ؛ لأن التوحيد هو معنى هذه الكلمة العظيمة ، وذلك يتبين بما ساقه من الآيات والحديث ، لما فيها من زيادة البيان وكشف ما أشكل من ذلك وإقامة الحجة على من غالط في معنى " لا إله إلا الله " من أهل الجهل والإلحاد .

[2] قوله : وقول الله تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أي أولئك الذين يدعوهم أهل الشرك ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين كالمسيح وأمه والعزير ، فهؤلاء دينهم التوحيد وهو بخلاف من دعاهم من دون الله ووصفهم بقوله : ﴿يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر ن وترك ما نهاهم عنه .

وأعظم القرب التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله وأوجب عليهم العمل به والدعوة إليه ، وهذا الذي يقربهم إلى الله أي إلى عفوه ورضاه ، ووصف ذلك بقوله : ﴿ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾ فلا يرجون أحداً سواه ولا يخافون غيره ، وذلك هو توحيده ، لأن ذلك يمنعهم من الشرك ويوجب لهم الطمع في رحمة الله والهرب من عقابه ، والداعي لهم والحالة هذه قد عكس الأمر وطلب منهم ما كانوا ينكرون من الشرك با لله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون الله ففيه معنى قوله : ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[فاطر :١٤] ، وقوله :﴿ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾[الأحقاف :٦] .

وفيه الرد على من ادعى أن شرك المشركين إنما هو بعبادة الأصنام ، وتبيّن بهذه الآية ان الله أنكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضُّر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله ، وأن ذلك ينافي ما =

= دلّت عليه كلمة الإخلاص ، فتدبر هذه الآية العظيمة يتبيّن لك التوحيد ، وما ينافيه من الشرك والتنديد ، فإنها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه والعزير ، فهم المعنيون بقوله : ﴿ **قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلاَ يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلاَ تَحْوِيلاً**﴾[الإسراء :٥٦] .

ثم بيّن تعالى أن هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه فقال : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**﴾[الإسراء :٥٧] ، وقدم المعمول لأنه يفيد الحصر ، يعني يبتغون إلى ربهم الوسيلة لا إلى غيره ، وأعظم الوسائل إلى الله تعالى التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله ، وخلق الخلق لأجله .

ومن التوسل إليه التوسل بأسمائه وصفاته كما قال تعالى : ﴿ **وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا** ﴾ [الأعراف :١٨٠] كما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات كقوله : **"اللهم إني أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان بديع السماوات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام "*** ، وقوله : " **اللهم إني أسألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد ، الذي لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد "**** وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يَشُبهَا شرك ، فالتوسل إلى الله هو بما يحبه ويرضاه ، لا بما يكرهه ويأباه من الشرك الذي نزه نفسه عنه بقوله : ﴿**سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [الطور :٤٣] وقوله : ﴿**وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾ [يوسف :١٠٨] وقوله في الإنكار على من اتخذ الشفعاء : ﴿**قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ [يونس :١٨] وأمثال هذه الآيات في القرآن كثير ، يأمر عباده بإخلاص العبادة له ، وينهاهم عن عبادة ما سواه ، ويعظم عقوبته ، كما قد جرى على الأمم المكذبة للرسل فيما جاءوهم به من التوحيد والنهي عن الشرك فلم يقبلوا ، فأوقع الله تعالى بهم ما أوقع كقوم =

---

* رواه الترمذي برقم (١٤٩٥) ، وإسناده صحيح ، انظر : صحيح سنن الترمذي وصحيح أبي داود ٤١٠/١ .

** رواه أبوداود برقم (١٤٩٣) ، وابن ماجة برقم (٣٩٢٩) وإسناده صحيح ، انظر : صحيحي سنن أبي داود وابن ماجة .

﴿مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾الآية[1] [الزخرف :٢٧] ، وقوله : ﴿اتَّخَذُوا

= نوح وعاد وثمود ونحوهم فإنهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد وتمسكوا بالشرك وقالوا لنوح : ﴿ وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ﴾ [هود :٢٧] ، وقالوا لهود : ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [هود:٥٣] ، وقالوا لصالح :﴿قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ [هود :٦٢] ، وقالوا لشعيب : ﴿أَصَلاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا ﴾ [هود :٨٧] فتدبر ما قصّ الله تعالى في كتابه مما دعت إليه الرسل وما أوقع بمن عصاهم فإن الله تعالى أقام به الحجة على كل مشرك إلى يوم القيامة ، وأما ما ورد في معنى الآية عن ابن مسعود قال : ناس من الجن كانوا يعبدون فأسلموا ، وفي رواية : كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم .

قلت : وهذا لا يخالف ما تقدم ؛ لأن هذه الآية حجة على كل من دعا مع الله ولياً من الأولين والآخرين كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه الآية ، وهذه الأقوال كلها حق ، فإن الآية تعمّ من كان معبوده عابداً لله ، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر .

[1] وقوله : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ الآية . الكلمة هي "لا إله إلا الله" بإجماع أهل العلم ، وقد عبر عنها الخليل عليه السلام بمعناها الذي أريد بها ووضعت له ، فعبّر عن المنفي بها بقوله : ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ﴾ وعبّر عمّا أثبتته بقوله : ﴿إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ فقصر العبادة على الله وحده ونفاها عن كل ما سواه ببراءته من ذلك ، فما أحسن هذا التفسير لهذه الكلمة وما أعظمه .

قال العماد ابن كثير في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ ﴾[الزخرف :٢٨] أي هذه الكلمة ، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وخلع ما سواه من الأوثان ، وهي لا إله إلا الله جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ أي إليها ، قال عكرمة ومجاهد والضحاك وقتادة والسدي وغيرهم في قوله : =

﴿أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾الآية[1] [التوبة :٣١] وقوله :﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ

= ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ : يعني "لا إله إلا الله" لا يزال في ذريته من يقولها .

[1] وقوله : ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ الأحبار هم العلماء ، والرهبان هم العبّاد ، وهذه الآية قد فسرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لعدي بن حاتم ، وذلك أنه لما جاء مسلماً دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه هذه الآية ، قال فقلت : إنهم لم يعبدوهم ، قال : "**بلى إنهم حرّموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم**"* . رواه أحمد والترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والطبراني من طرق ، قال السدي استنصحوا الرجال ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم ، ولهذا قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة :٣١] فصار ذلك عبادتهم وصاروا به لهم أرباباً من دون الله ، وقد قال تعالى : ﴿وَلاَ يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلاَئِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران :٨٠] وقوله : ﴿وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾ أي اتخذوه رباً بعبادتهم له من دون الله وقد قال تعالى :﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ﴾ إلى قوله : ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة :١١٥-١١٦] فمن تدبر هذه الآيات تبين له معنى " لا إله إلا الله " وتبيّن له التوحيد الذي جحده أكثر من يدعي العلم في هذه القرون وما قبلها من متأخري هذه الأمة ، وقد عمّت البلوى بالجهل به بعد القرون الثلاثة المفضلة ، لما وقع الغلو في قبور أهل البيت وغيرهم وبنيت عليها المساجد ، وبنيت عليها المشاهد ، فاستع الأمر وعظمت الفتنة في الشرك المنافي للتوحيد لما حدث الغلو في الأموات وتعظيمهم بالعبادة ، فبهذه الأمور التي وقع فيها الأكثر عاد المعروف منكراً ، والمنكر معروفاً ، والبدعة سنة ، والسنة بدعة ، نشأ على هذا =

---

* رواه الترمذي برقم (٣٠٩٥) ، والطبراني في الكبير ٢١٨/١٧ ، وإسناده صحيح ، انظر : صحيح سنن الترمذي برقم (٢٤٧١) .

يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾[1] الآية[البقرة :١٦٥] .

= الصغير وهرم عليه الكبير ، وقد قال صلى الله عليه وسلم : "**بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً ، كما بدأ فطوبى للغرباء الذين يصلحون إذا فسد الناس**" وفي رواية : "**يصلحون ما أفسد الناس**"* .

[1] قوله :﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ الآية الأنداد : الأمثال والنظراء كما قال العماد ابن كثير وغيره من المفسرين ، فكل من صرف من العبادة شيئاً لغير الله رغبة إليه أو رهبة منه فقد اتخذه نداً لله لانه أشرك مع الله فيما لا يستحقه غيره .

قال العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى : فتوحيد المحبوب أن لا يعدد محبوبه ، أي مع الله بعبادته له ، وتوحيد الحب أن لا يبقى في قلبه بقية حب حتى لا يبذلها له ، فهذا الحب وإن سمي عشقاً فهو غاية صلاح العبد ونعيمه وقرة عينه ، وليس لقلبه صلاح ولا نعيم إلا بأن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن لا تكون محبته لغير الله ، فلا يحب إلا الله ، كما في الحديث الصحيح "**ثلاث من كن فيه**"** الحديث ، ومحبة رسوله هي من محبته ، ومحبة المرء إن كانت لله فهي من محبته ، وإن كانت لغير الله فهي منقصة لمحبة الله مضعفة لها ، ويصدق هذه المحبة بأن يكون كراهته لأبغض الأشياء إلى محبوبه وهو الكفر بمنزلة كراهته لإلقائه في النار أو أشد ، ولا ريب أن هذا من أعظم المحبة ، فإن الإنسان لا يقدم على محبة نفسه شيئاً ، فإذا قدم محبة الإيمان بالله على نفسه بحيث لو خير بين الكفر وإلقائه في النار لاختار أن يُلقى في النار ولا يكفر كان أحب إليه من نفسه ، وهذه المحبة هي فوق ما يجده العشاق من محبة محبوبهم ، بل لا نظير لهذه المحبة كما لا مثل لمن تعلقت به ، وهي محبة تقتضي تقديم المحبوب فيها على النفس والمال والولد ، وتقتضي كمال الذل والخضوع والتعظيم والإجلال والطاعة والانقياد ظاهراً وباطناً ، وهذا لا نظير له في محبة مخلوق ولو كان المخلوق من كان ، ولهذا من أشرك بين =

---

* رواه الآجري في الغرباء ٢/١ ، والهروي في "ذم الكلام "عن ابن مسعود ، وإسناده صحيح ، انظر : الصحيحة برقم ١٢٧٣ .

** الحديث بطوله في صحيح البخاري برقم ١٦ ، وصحيح مسلم برقم ٤٣ عن أنس .

في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **"من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُم مالُه ودمُه ، وحسابه على الله عز وجل"**[1] .

= الله وبين غيره في المحبة الخاصة كان شركاً لا يغفره الله كما قال تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ**﴾[البقرة:١٦٥] ، والصحيح أن معنى الآية أن الذين آمنوا أشد حباً لله من أصحاب الأنداد لأندادهم كما تقدم أن محبة المؤمنين لربهم لا يماثلها محبة مخلوق أصلاً كما لا يماثل محبوبهم غيره ، وكل أذى في محبة غيره فهو نعيم في محبته ، وكل مكروه في محبة غيره فهو قرة عين محبته . انتهى .

(١) قال : في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : **"من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله حَرُم مالُه ودمُه ، وحسابه على الله عز وجل "*** .

قوله : " في الصحيح " أي صحيح مسلم ، عن أبي مالك الأشجعي عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ، وأبومالك اسمه سعد بن طارق ، كوفي ثقة مات في حدود الأربعين ومائة .

قوله : " **من قال لا إله إلا الله وكفر بما يُعبد من دون الله** " اعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم علق عصمة المال والدم بأمرين في هذا الحديث :

الأول : قول لا إله إلا الله عن علم ويقين كما هو قيد في قولها في غير ما حديث .

والثاني : الكفر بما يعبد من دون الله ، لكن ذكر في هذا " **وكفر** " تأكيداً لما دلّت عليه لأن المقام عظيم يقتضي التأكيد .

قوله : " **حَرُم مالُه ودمُه ، وحسابه على الله عز وجل**" فيه دليل على أنه لا يحرم ماله ودمه إذا قال لا إله إلا الله وكفر بما يعبد من دون الله ، فإن قالها ولم يكفر بما يعبد من دون الله فدمه وماله حلال لكونه لم ينكر الشرك ويكفر به ، ولم ينفه كما نفته لا إله إلا الله ، فتأمل هذا الموضع فإنه عظيم النفع ، قال شيخنا : وهذا من أعظم ما يبين معنى لا إله إلا الله فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفة معناها مع لفظها بل ولا الإقرار =

---

* رواه مسلم برقم (٢٣)، وأحمد برقم (١٥٩٧٠) عن طارق بن أشيم الأشجعي .

....

= بذلك بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم دمه وماله حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لما يحرم ماله ودمه ، فيا لها من مسألة ما أجلّها ، ويا له من بيان ما أوضحه ، وحجة ما أقطعها للمنازع . انتهى .

قوله : "**وحسابه على الله عز وجل**" أي الله تعالى هو الذي يتولى حسابه ، فإن كان صادقاً جازاه بجنات النعيم ، وإن كان منافقاً عذبه العذاب الأليم ، وأما في الدنيا فالحكم على الظاهر .

***

وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب[1]

﴿٧﴾ باب

من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه[2]

وقول الله تعالى : ﴿**قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ**﴾ الآية[3] [الزمر :٣٨] .

---

(١) قوله : "**وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب**" . فقد ذكر فيها رحمه الله تعالى ما يبيّن التوحيد وما ينافيه ، وما يقرّب من الشرك وما يوصل إليه من الوسائل ، وبيان ما كان عليه السلف من بُعدهم عن الشرك في العبادة وشدة إنكارهم له وجهادهم على ذلك ، وقد جمع هذا الكتاب على اختصاره من بيان التوحيد ما لا يعذر أحد عن معرفته وطلبه بإقبال وتدبر ، وكذلك الرد على أهل الأهواء جميعهم ، فمن حفظه واستحضره وجد ذلك واستغنى به عن غيره في الرد على كل مبتدع ، فتدبره تجد ذلك بيّناً ، وسيأتي التنبيه على ذلك إن شاء الله تعالى .

(٢) قوله "**باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه**" أي لرفعه إذا نزل ودفعه قبل أن ينزل ، يعني إذا كان هذا هو القصد فتعلق قلبه به في دفع ضرّ مما قد نزل ومما لم ينزل قد صرحت الأحاديث بأن هذا من الشرك بالله .

(٣) قوله : وقول الله تعالى :﴿ **قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ** ﴾ قال مقاتل* : فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم فسكتوا ؛ لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها .

قلت : فإذا كانت آلهتم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده ، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده لزوماً لا محيد لهم عنه ، وذكر تعالى مثل هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجّه في =

* هو مقاتل بن حيان ، صدوق ، وهو غير مقاتل بن سليمان المجسم ، توفي سنة ١٥٠هـ ، انظر : تذكرة الحفاظ ١٧٤/١ ، ميزان الاعتدال ١٧١/٤ .

عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حَلْقة من صُفْر فقال : " ما هذه " ؟ ، قال : من الواهنة ، فقال : "**أنزعها فإنها لا**

= الله فقال : **﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾**[البقرة :٢٥٨] .

فأقام الله الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الأمثال وغير ذلك ، وهذا في القرآن كثير كقوله تعالى : **﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لاَ يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾**[الحج :٧٣] ، وقال تعالى :**﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ * إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾** [العنكبوت :٤١-٤٢] ، وقال تعالى : **﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾** [النحل :٢٠-٢١] ذكر العماد ابن كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية ما رواه ابن أبي حاتم عن قيس بن الحجاج عن حنش الصنعاني عن ابن عباس مرفوعاً : "**احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، تعرّف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك ، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك ، جفت الصحف ، ورفعت الأقلام ، واعمل لله بالشكر في اليقين ، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً ، وأن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً** "* .

---

* رواه أحمد برقم (٢٦٦٩) ، والطبراني في الكبير برقم (١٢٩٨٨) ، والترمذي برقم (٢٥١٦) ، وإسناده صحيح .

تزيدك إلا وهناً ، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً"[1] . رواه أحمد بسند لا بأس به .

---

[1] قوله : "عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم رأى رجلاً في يده حَلْقة من صُفْر فقال : "**ما هذه**" ؟ ، قال : من الواهنة ، فقال : "**أنزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً ، فإنك لو متَّ وهي عليك ما أفلحت أبداً**" . رواه أحمد بسند لا بأس به "* .

قوله : "عمران بن حصين" أي ابن عبيد بن خلف الخزاعي أبونجيد بنون وجيم مصغر ، صحابي ابن صحابي أسلم عام خيبر ومات سنة اثنتين وخمسين بالبصرة . قوله : " رأى رجلاً" في رواية الحاكم : دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عضدي حلقة صفر فقال : "**ما هذه** ؟" الحديث . فالمبهم في رواية أحمد هو عمران راوي الحديث . قوله "**ما هذه**" الظاهر أنه للإنكار عليه . قوله : "من الواهنة" قال أبوالسعادات : الواهنة عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها فيرقى منها ، وقيل هو مرض يأخذ في العضد ، وهي تأخذ الرجال دون النساء ، وإنما نهاه عنها لكونه يظن أنها تمنع عنه هذا الداء أو ترفعه ، فأمره النبي صلى الله عليه وسلم بنزعها لذلك ، وأخبر أنها لا تزيده إلا وهناً ، فإن المشرك يعامل بنقيض قصده لأنه علق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه ، فإذا كان هذا بحلقة صفر فما الظن بما هو أطمّ وأعظم ؟ ، كما وقع من عبادة القبور والمشاهد والطواغيت وغيرها كما لا يخفى على من له أدنى مسكة من عقل .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فيه شاهد لكلام بعض الصحابة أن الشرك الأصغر أكبر من الكبائر ، وأنه لم يعذر بالجهالة لقوله : "**فإنك لو متّ وهي عليك ما أفلحت أبداً**" ، والفلاح الفوز والظفر والسعادة .

قوله : "رواه أحمد بسند لا بأس به" هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني أبوعبدالله المروزي ثم البغدادي ، إمام أهل عصره وأعلمهم بالفقه والحديث =

---

*رواه أحمد برقم (٢٠٢٤٢) ، وابن ماجة برقم ٣٥٣١ عن عمران بن حصين ، وإسناده ضعيف ، انظر الضعيفة برقم (١٠٢٩) .

وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً : **"من تعلّق تميمة فلا أتمّ الله له ، ومن تعلّق وَدَعة فلا وَدَعَ الله له"**[1] . وفي رواية : **"من تعلّق تميمة فقد أشرك"** .

= وأشدهم ورعاً ، وهو الذي يقول فيه بعض أهل السنة : عن الدنيا ما كان أصبره ، وبالماضين ما كان أشبهه ، أتته الدنيا فأباها ، والشُّبه فنفاها ، روى عن الشافعي ويزيد بن هارون وعبدالرحمن بن مهدي ويحي القطان وابن عيينة وعبدالرزاق وخلق لا يحصون ، مات سنة إحدى وأربعين ومائتين وله سبع وسبعون سنة رحمه الله تعالى .

[1] قوله : وله عن عقبة بن عامر رضي الله عنه مرفوعاً : **"من تعلّق تميمة فلا أتمّ الله له ، ومن تعلّق وَدَعة فلا وَدَعَ الله له"** ، وفي رواية : **"من تعلّق تميمة فقد أشرك"*** . عقبة بن عامر صحابي مشهور فقيه فاضل ، ولي إمارة مصر لمعاوية ثلاث سنين ومات قريباً من الستين ، وهذا الحديث فيه التصريح بأن تعليق التمائم شرك لما يقصده من علقها لدفع ما يضره أو جلب ما ينفعه ، وهذا أيضاً ينافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إله إلا الله ؛ لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر من سوى الله كما تقدم في قوله تعالى : ﴿**وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ**﴾[النساء :١٢٥] .

فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك ، وإن كان من الشرك الأصغر فهو عظيم ، فإذا كان هذا قد خفي على بعض الصحابة رضي الله عنهم في عهد النبوة فكيف لا يخفى على من هو دونهم في العلم والإيمان بمراتب بعد ما حدث من البدع والشرك ، كما في الأحاديث الصحيحة وتقدمت الإشارة إلى ذلك ، وهذا مما يبيّن معنى لا إله إلا الله أيضاً فإنها نفت كل الشرك قليله وكثيره كما قال تعالى : ﴿**شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾[آل عمران :١٨] .

قوله : **"فلا أتمّ الله له"** دعاء عليه ، وكذلك قوله : **"فلا ودع الله"** أي لا جعله في دعة وسكون .

---

* رواه أحمد برقم (١٧٥٣٩) وإسناده صحيح بالرواية الثانية ، وأما بالرواية ففيها ضعف ، انظر : الصحيحة برقم (٤٩٢) .

ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحُمَّى فقطعه[1] وتلا قوله : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾[يوسف :١٠٦] .

---

[1] قوله : ولابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه أنه رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحُمَّى فقطعه وتلا قوله : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ .

ابن أبي حاتم هو الإمام أبومحمد عبدالرحمن ابن أبي حاتم محمد بن إدريس المرادي التميمي الحنظلي الحافظ صاحب الجرح والتعديل والتفسير وغيرهما، مات سنة سبع وعشرين وثلاثمائة .

وحذيفة هو ابن اليمان واسم اليمان حسيل بمهملتين مصغر ، ويقال حِسل ثم سكون ، العبسي بالموحدة ، حليف الأنصار صحابي جليل من السابقين ويقال له صاحب السر ، وأبوه صحابي أيضاً ، مات حذيفة في أول خلافة علي سنة ست وثلاثين .

قوله : رأى رجلاً في يده خيطٌ من الحُمَّى فقطعه وتلا قوله : ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾ فيه دليل على أن هذا شرك ، وأن الصحابة رضي الله عنه عنهم يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك الأكبر على الشرك الأصغر لدخوله في الشرك المنهي عنه في الآيات والأحاديث عموماً وخصوصاً ، لما قد عرفت أنه ينافي كمال الإخلاص ، إذا كان مثل هذا وقد خافه النبي صلى الله عليه وسلم على الصحابة كما تقدم في قوله : **"أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"** فإذا كان يقع مثل هذا في تلك القرون المفضلة فكيف يُؤمَن أن يقع ما هو أعظم منه ؟ ، لكن لغلبة الجهل به وقع منهم أعظم مما وقع من مشركي العرب وغيرهم في الجاهلية مما قد تقدم التنبيه عليه ؛ حتى أن كثيراً من العلماء في هذه القرون اشتد نكيرهم على من أنكر الشرك الأكبر فصاروا هم والصحابة رضي الله عنه في طرفي نقيض ، فالصحابة ينكرون القليل من الشرك ، وهؤلاء ينكرون على من أنكر الشرك الأكبر ويجعلون النهي عن هذا الشرك بدعة وضلالة .

وكذلك كانت حال الأمم مع الأنبياء والرسل جميعهم فيما بعثوا به من توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة لله وحده ، والنهي عن الشرك به ، وقد بعث الله تعالى خاتم رسله محمداً صلى الله عليه وسلم بذلك كما بعث به من قبله ، فعكس هؤلاء المتأخرون ما دعا إليه =

....

= رسول الله صلى الله عليه وسلم مشركي العرب وغيرهم ، فنصر هؤلاء ما نهى عنه من الشرك غاية النصرة ، وأنكروا التوحيد الذي بعث به غاية الإنكار ، فإنه صلى الله عليه وسلم لما قال لقريش : "**قولوا لا إله إلا الله تفلحوا**" عرفوا معناها الذي وضعت له وأريد منها فقالوا : ﴿**أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ**﴾الآيات [ص :٥] ، وقال تعالى : ﴿**إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ**﴾[الصافات:٣٥-٣٦] ، وفي صحيح البخاري وغيره في سؤال هرقل لأبي سفيان عن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : فماذا يأمركم؟ ، قلت : يقول " اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقول آباؤكم" ، ويأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف* .

***

* رواه البخاري برقم (٥١) ، ومسلم برقم (١٧٧٣) عن ابن عباس رضي الله عنه .

﴿٨﴾ باب

ما جاء في الرُقى والتّمائم(١)

في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادةٌ من وَتَر أو قلادة إلا قُطعت(٢) .

---

(١) قوله : "باب ما جاء في الرّقى والتمائم" أي من النهي عما لا يجوز من ذلك .

(٢) قوله : "في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري رضي الله عنه أنه كان مع النبي الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره فأرسل رسولاً أن لا يبقين في رقبة بعير قلادةٌ من وَتَر أو قلادة إلا قُطعت" هذا الحديث في الصحيحين* ، واسم أبي بشير قيس بن عبيد قاله ابن سعد ، وقال ابن عبدالبر لا يوقف له على اسم صحيح ، وهو صحابي شهد الخندق ومات بعد الستين ويقال إنه جاوز المائة .

قوله : "فأرسل رسولاً" هو زيد بن حارثة ، روى ذلك الحارث بن أبي أسامة في مسنده ، قاله الحافظ .

قوله : "أن لا يبقين" بفتح الياء والقاف ، ويحتمل أن يكون بضم الياء المثناة وكسر القاف ، والوتر بفتحتين واحد أوتار القوس ، وكان أهل الجاهلية إذا اخلولق الوتر أبدلوه بغيره وقلدوا به الدواب اعتقاداً منهم بهذا أنه يدفع عن الدابة العين ، ولهذا أمر صلى الله عليه وسلم بقطع الأوتار التي علقت على الإبل لما كان أهل الجاهلية يعتقدون ذلك فيها .

قوله : "أو قلادة إلا قطعت" يحتمل أن ذلك شك من الراوي ، ولأبي داود "ولا قلادة" بغير شك فعلى هذه الرواية تكون أو بمعنى الواو ، قال البغوي** في شرح السنة : تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين ، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار =

---

* رواه البخاري برقم (٣٠٠٥) ، ومسلم برقم (٢١١٥) .

** هو الإمام الحافظ الحجة أبوالقاسم عبدالله بن محمد بن عبدالعزيز البغوي ، توفي سنة ٣١٧هـ ، انظر : السير ٤٤٠/٤ ، تاريخ بغداد ١١١/١٠ ، لسان الميزان ٣٣٨/٣ .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الرّقى والتمائم والتِّوَلَة شرك" رواه أحمد وأبوداود[1] .

= والتمائم والقلائد ويعلقون عليها العوذ يظنون أنها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي صلى الله عليه وسلم عنها وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر شيئاً ، قال أبوعبيد : كانوا يقلدون الإبل أوتاراً لئلا تصيبها العين فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم بإزالتها إعلاماً لهم بأن الأوتار لا ترد شيئاً .

[1] قوله : وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الرّقى والتمائم والتِّوَلَة شرك" رواه أحمد وأبوداود* ، ولفظ أبوداود عن زينب امرأة عبدالله بن مسعود أن عبدالله رأى في عنقي خيطاً فقال : ما هذا ؟ ، قلت : خيطٌ رُقي لي فيه ، قالت : فأخذه فقطعه ثم قال : أنتم آل عبدالله لأغنياء عن الشرك ! سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن الرقى والتمائم والتولة شرك" ، قال المصنف رحمه الله تعالى : لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه** .

والمقصود بيان أن هذه الأمور الشركية وإن خفيت فقد نهى عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه لكمال علمهم بما دلت عليه "لا إله إلا الله" من نفي الشرك قليله وكثيره لتعلق القلب بغير الله في دفع ضر أو جلب نفع ، وقد عمّت البلوى بما هو أعظم من ذلك بأضعاف مضاعفة ، فمن عرف هذه الأمور الشركية المذكورة في هذين البابين عرف ما وقع مما هو أعظم من ذلك كما تقدم بيانه ، وفيه ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من التحذير من الشرك والتغليظ في إنكاره وإن كان من الشرك الأصغر فهو أكبر من الكبائر ، وقد تقدم دليله في الباب الذي قبل هذا .

* رواه أبوداود برقم ٢٨٨٣ ، وابن ماجة برقم ٣٥٣٠ وإسناده صحيح ، انظر صحيح سنن أبي داود برقم ٢٨٦١ ، والصحيحة برقم ٣٣١ ، وتخريج الإيمان لابن سلام ص٨١ .

** انظر : تيسير العزيز الحميد ص١١٣ .

وعن عبدا لله بن عُكَيم مرفوعاً : "**من تعلّق شيئاً وُكِل إليه**" رواه أحمد والترمذي[1] .

---

[1] قوله : وعن عبدا لله بن عُكَيم مرفوعاً : "**من تعلّق شيئاً وُكِل إليه**" رواه أحمد والترمذي*
وعبدا لله بن عُكيم بضم المهملة مصغر ، ويكنى أبا معبد الجهني الكوفي ، قال الخطيب سكن الكوفة وقدم المدائن في حياة حذيفة وكان ثقة .

قوله : "**من تعلّق شيئاً وُكِل إليه**" التعلق يكون بالقلب وينشأ عنه القول والفعل ، وهو التفات القلب عن ا لله إلى شيء يعتقد أنه ينفعه أو يدفع عنه كما تقدم بيانه في الأحاديث في هذا الباب والذي قبله ، وهو ينافي قوله تعالى : ﴿**بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾ [البقرة :١١٢] ، فإن كان من الشرك الأصغر فهو ينافي كمال التوحيد ، وإن كان من الشرك الأكبر كعبادة أرباب القبور والمشاهد والطواغيت ونحو ذلك فهو كفر با لله ، وخروج من دين الإسلام ، ولا يصح معه قول ولا عمل .

قوله : "**وُكِل إليه**" أي وكله ا لله إليه ، إلى ما علق قلبه به من دون ا لله ، ومن وكله ا لله إلى غيره ضلّ وهلك ، قال الإمام أحمد : حدثنا هاشم بن قاسم حدثنا أبوسعيد المؤدب حدثنا من سمع عطاء الخراساني قال : لقيت وهب بن منبه وهو يطوف بالبيت ، فقلت له : حدثني بحديث أحفظه عنك في مقامي هذا وأوجز ، قال : نعم ، أوحى ا لله تبارك وتعالى إلى داود عليه السلام : "يا داود ، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم بي عبد من عبيدي دون خلقي أعرف ذلك من نيته فتكيده السماوات السبع ومن فيهن والأرضون السبع ومن فيهن إلا جعلت له من بينهن مخرجاً ، أما وعزتي وعظمتي لا يعتصم عبد من عبيدي بمخلوق دوني أعرف ذلك من نيته إلا قطعت أسباب السماء من يده ، وأسخت الأرض من تحت قدميه ثم لا أبالي بأي وادٍ هلك " ، وشاهد هذا في القرآن كما قال تعالى :﴿ **وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ**﴾ فتدبّر .

---

* رواه أحمد برقم ١٨٩٩٣ ، والترمذي برقم ٢٠٧٣ ، وإسناده حسن ، انظر صحيح سنن الترمذي برقم ١٦٩١ .

التمائم : شي يُعلّق على الأولاد عن العين ، لكن إذا كان المعلق من القرآن فرخص فيه بعض السلف ، وبعضهم لم يرخص فيه ويجعله من المنهي عنه ، منهم ابن مسعود رضي الله عنه .

والرُّقى : هي التي تسمى العزائم ، وخصّ منه الدليل ما خلا من الشرك ، فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحُمة .

والتِّوَلَة : شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبّب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته .

وروى الإمام أحمد عن رُوَيفِع قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**يا رُوَيفع ، لعلَّ الحياة تطول بك ، فأَخبر الناسَ أنَّ من عَقَدَ لحيته ، أو تقلّد وَتَراً ، أو استنجى برَجيع دابّة أو عظم ؛ فإن محمداً بريءٌ منه**"[1] .

---

[1] قوله : وروى الإمام أحمد عن رُوَيفِع قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**يا رُوَيفع ، لعلَّ الحياة تطول بك ، فأَخبر الناسَ أنَّ من عَقَدَ لحيته ، أو تقلّد وَتَراً ، أو استنجى برَجيع دابّة أو عظم ؛ فإن محمداً بريءٌ منه**"* .

رويفع هو ابن ثابت بن السكن بن عبدي بن حارثة الأنصاري نزل مصر وولي برقة ، له ثمانية أحاديث ، قال عبدالغني : ولي طرابلس فافتتح أفريقية سنة سبع وأربعين ، وقال ابن يونس : توفي ببرقة سنة ست وخمسين .

قوله : "**لعلَّ الحياة تطول بك**" فقد طالت حياته رضي الله عنه كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم .

قوله : "**فأَخبر الناسَ أنَّ من عَقَدَ لحيته**" قال الخطابي** : أما نهيه عن عقد اللحية فيفسر على وجهين : =

---

* رواه أبوداود برقم ٣٦ ، والنسائي برقم ٥٠٨٢ ، وإسناده صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم ٧٧٨٧ ، المشكاة ٣٥١ ، صحيح سنن أبي داود برقم ٢٦ .

** هو الفقيه الأديب حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي أبوسليمان الخطابي ، توفي سنة ٣٨٨هـ ، انظر : السير ٢٣/١٧ ، العبر ١٧٤/٢ ، الشذرات ١٢٧/٣ .

= **أحدهما** : ما كانوا يفعلونه في الحرب كانوا يعقدون لحاهم وذلك من زي الأعاجم يفتلونها ويعقدونها ، قال أبوالسعادات تكبراً وعجباً .

ثانيها : أن معناه معالجة الشعر ليتعقد ويتجعد . اهـ .

قلت : ويشبه هذا ما يفعله كثير من فتل أطراف الشارب فيترك أطرافه لذلك وهي بعض ، وفي حديث زيد بن أرقم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"من لم يأخذ من شاربه فليس منا"*** رواه أحمد والنسائي والترمذي وقال صحيح ، وفي الصحيح : **"خالفوا المشركين ، احفوا الشوارب وأعفوا اللحى"**** ، وذلك يدل على الوجوب ، وذكر ابن حزم*** الإجماع على أنه فرض ، فيتعين النهي عنه لذلك .

قوله : " **أو تقلّد وَتَراً** "فيه مع ما تقدم أنه شرك لما كانوا يقصدونه بتعليقه على الدواب وغيرها .

قوله : **"أو استنجى برَجيع دابّة أو عظم ؛ فإن محمداً بريءٌ منه"** هذا دليل على أن هذا الذي قبله من الكبائر ؛ لأن قوله **"أنا بريء منه"** يدل على ذلك ، وقال النووي رحمه الله تعالى : أي بريء من فعله فهذا التأويل بعيد لعود الضمير إلى من .

وقد ورد النهي عن الاستنجاء بالروث والعظام في أحاديث صحيحة كما لا يخفى ، منها ما رواه مسلم في صحيحه عن ابن مسعود مرفوعاً : " **لا تستنجوا بالروث والعظام فإنه زاد إخوانكم من الجن"****** ، ولما روى ابن خزيمة والدارقطني عن أبي هريرة مرفوعاً : نهى أن =

* رواه الترمذي برقم (٢٧٦٢)، وأحمد برقم (١٩٤٧٧) عن زيد بن أرقم ، وإسناده صحيح ، انظر : صحيح الجامع برقم (٦٤٠٩) ، والروض النضير (١١٣) .

** رواه البخاري برقم ٥٨٩٢ ، ومسلم برقم (٢٥٩) .

*** هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم أبومحمد الأموي الأندلسي الظاهري ، توفي سنة ٤٥٦هـ ، انظر : تذكرة الحفاظ ١١٤٦/٣ ، وفيات الأعيان ١٣/٣ ، الشذرات ٢٩٩/٣ .

**** رواه مسلم برقم (٤٥٠) ، والترمذي برقم (١٨) .

وعن سعيد بن جبير قال : "**من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة**" رواه وكيع[1] وله عن إبراهيم قال : كانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن[2] .

= يستنجي بعظم أو روث وقال : "**إنهما لا يطّهران**"* ، وعنه لا يجزي الاستنجاء بهما كما هو ظاهر مذهب أحمد .

[1] قوله : وعن سعيد بن جبير قال : "**من قطع تميمةً من إنسان كان كعدل رقبة**" رواه وكيع . هذا عند أهل العلم له حكم الرفع ؛ لأن مثل ذلك لا يقال بالرأي فيكون هذا مرسلاً لأن سعيداً تابعي[1] ، فعلى هذا يجب النهي عن تعليق التمائم والترغيب في قطعها وأن ذلك مما يجب ، وفيه ما تقدم أنه شرك ، وبيان حال السلف رضي الله عنهم من تعظيم الشرك قليله وكثيره والنهي عنه ، فلما اشتدت غربة الإسلام في أواخر هذه الأمة صار إنكار هذا وما هو أعظم منه أعظم المنكرات حتى عند من ينتسب إلى العلم كما لا يخفى ، ووكيع هو ابن الجراح ابن وكيع الكوفي ، ثقة إمام صاحب تصانيف منها الجامع وغيره ، روى عنه الإمام أحمد وطبقته ، مات سنة سبع وتسعين ومائة .

[2] قوله عن إبراهيم قال : "كانوا يكرهون التمائم كلها ، من القرآن وغير القرآن" . إبراهيم هو الإمام إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفي يكنى أبا عمران ثقة من كبار الفقهاء مات سنة ست وتسعين وله خمسون سنة أو نحوها .

وقوله : "كانوا يكرهون" أراد أصحاب عبدا لله بن مسعود كعلقمة والأسود وأبي وائل والحارث بن سويد وعبيدة السلماني ومسروق والربيع بن خيثم وسويد بن غفلة وغيرهم وهم من سادات التابعين في زمانهم كانوا يطلقون الكراهة على المحرم ، وهذا القول الصحيح لأن ما كان من غير القرآن قد تقدم النهي عنه بلا ريب ، وأما إذا كان من القرآن فيتعين النهي عنه لأمور ثلاثة :

منها : دخوله في عموم المنهي عنه . =

---

* رواه الدارقطني بإسناد صحيح .

** الأثر لا يكون له حكم الرفع إلا إذا كان قائله صحابياً .

....

= ومنها : كونه ذريعة إلى تعليق ما ليس من القرآن فيفضي إلى عدم إنكارها .

الثالث : أن تعليق القرآن يكون سبباً في امتهانه ، فإنه من علقه فلابد أن يدخل به الخلاء ونحوه ، قال المصنف رحمه الله تعالى : والرقى هي التي تسمى العزائم ، وخص منه الدليل ما خلا من الشرك فقد رخص فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من العين والحمة ، والتولة شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته ، قال الحافظ : التولة بكسر المثناة وفتح الواو واللام مخففاً شيء كانت المرأة تجلب به محبة زوجها وهو ضرب من السحر . والله أعلم .

***

﴿ ٩ ﴾ باب

من تبرك بشجرة أو حجرٍ ونحوهما[1]

وقوله الله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى﴾[2] [النجم :١٩] .

---

[1] قوله : "باب من تبرك بشجرة أو حجر ونحوهما " كبقعة وقبر ومشهد ونحو ذلك ، و "من" اسم شرط والجواب محذوف تقدير فقد أشرك با لله .

[2] قوله : وقول الله تعالى ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى * وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ الآيات . هذه الأوثان الثلاثة هي أعظم أوثان أهل الجاهلية من أهل الحجاز . فاللاّت لأهل الطائف ومن حولهم من العرب ، والعزّى لقريش وبني كنانة ، ومناة لبني هلال . وقال ابن هشام : كانت لهذيل وخزاعة ، واللاّت بتخفيف التاء في قراءة الجمهور ، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبوصالح ورويس عن يعقوب بتشديد التاء ، فعلى الأولى قال الأعمش سموا اللاّت من الإله ، والعزى من العزيز ، وقال ابن كثير : اللاّت كانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف له أستار وسدنة وحوله فناء معظم عند أهل الطائف وهم ثقيف ومن تبعها يفتخرون بها على من عاداهم من أحياء العرب بعد قريش قاله ابن هشام ، وعلى الثانية قال ابن عباس : كان رجلاً يلت السويق للحاج فمات فعكفوا على قبره ، ذكره البخاري* .

قلت : ولا منافاة بين ما ذكره البخاري وغيره من عبادتهم الصخرة التي كان يلتّ السويق عليها باسمه وعبادة قبره لما مات .

وأما العزى قال ابن جرير : كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف ، كانت قريش يعظمونها كما قال أبوسفيان يوم أُحد : لنا العزى ولا عزى لكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**الله مولانا ولا مولى لكم**"** ، ومناسبة هذه الآية للترجمة أن عبادة المشركين للعزى إنما كان بالتفات القلوب رغبة إليها في حصول ما يرجونه ببركتها من نفع أو دفع ضر فصارت أوثاناً تعبد من دون الله ، وذلك من شدة ضلال أهل الكفر وفساد -

---

* صحيح البخاري برقم (٤٨٥٩) .

** رواه البخاري برقم (٣٠٣٩) ، وأحمد برقم (١٨٧٩٤) عن البراء بن عازب

عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**الله أكبر ، إنها السُّنن ، قلتم - والذي نفسي بيده - كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ، لتركبُنَّ سَنَن من كان قبلكم**" . رواه الترمذي وصححه[1] .

عقولهم كما قال تعالى : **﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾** [يونس :١٨] فصار عبادة القبور وعبادة الشجر والحجر هو شرك المشركين ، وقد جرى ذلك وما هو أعظم منه في أواخر هذه الأمة .

[1] قوله : عن أبي واقد الليثي قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حُنين ونحن حدثاء عهد بكفر ، وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم ، يقال لها ذات أنواط ، فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**الله أكبر، إنها السُّنن ، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى : ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ ، لتركبُنَّ سَنَن من كان قبلكم**". رواه الترمذي وصححه* .

قوله : "عن أبي واقد" هو صحابي مشهور مات سنة ثمان وستين وله خمس وثمانون سنة .

قوله : "خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم " يشير إلى أهل مكة ممن إسلامه قريب إذا ذاك .

قوله : " إلى حنين " هو اسم واد بشرقيّ مكة معروف ، قاتل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم هوازن كما قال تعالى : **﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ =**

---

* رواه الترمذي برقم (٢١٨١) ، وأحمد برقم (٢٢٢٤٢) ، وإسناده حسن ، انظر ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني برقم (٧٦) .

= **عَنْكُمْ شَيْئًا﴾** [التوبة :٢٥] والواقعة مشهورة عند أهل المغازي والسير وغيرهم وما جرى فيها من النصر وأخذ أموالهم وسبي ذراريهم ونسائهم كما في الآية الكريمة : **﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾** [التوبة :٢٦] .

قوله : "ونحن حدثاء عهد بكفر" يشير إلى أهل مكة الذين أسلموا قريباً ، فلذلك خفي عليهم هذا الشرك المذكور في الحديث ، بخلاف من تقدم إسلامه .

قوله : "وللمشركين سدرة يعكفون عندها" عبادة لها وتعظيماً وتبركاً ، لما كانوا يعتقدون فيها من البركة .

قوله : "يقال لها ذات أنواط" هو برفع التاء كما لا يخفى .

قوله : "ينوطون بها أسلحتهم" أي يعلقونها .

قوله : "فمررنا بسدرة فقلنا : يا رسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم – أي للمشركين – ذات أنواط" ، ظنوا أن النبي صلى الله عليه وسلم لو قال لهم ذلك لجاز اتخاذها لحصول البركة لمن اعتقدها فيها ، وأنواط جمع نوط وهو مصدر سمي به المنوط .

قوله : "فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **الله أكبر** " تعظيماً لله تعالى عن أن يجعل له شريك في عبادته التي هي حقه على عباده كما قال تعالى : **﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** [يونس :١٠٥] ، وقال تعالى : **﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾** [الروم :٤٣] وهو الإخلاص ، والشرك ينافي ذلك ، وتقدم معنى الحنيف ، وتضمنت هاتان الآيتان وما في معناهما التوحيد الذي دلت عليه "لا إله إلا الله" نفياً وإثباتاً كما تقدم بيانه ، فمن التفت قلبه لغير الله لطلب نفع أو دفع ضر فقد أشرك ، والقرآن كله في تقرير هذا الأصل العظيم الذي هو أصل دين الإسلام الذي لا يقبل الله من أحد ديناً سواه .

قوله : "**السُنن**" بضم السين أي : الطُرق ، يشير إلى الطرق التي تخالف دينه الذي شرعه تعالى لعباده .

قوله : "**قلتم والذي نفسي بيده**" حلف النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك تأكيداً لهذا =

....

- الخبر وتعظيماً له كما قالت بنو إسرائيل لموسى : **﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** وإن لم يسموها آلهة ، أخبر أن التبرك بالأشجار يجعلها آلهة ، وإن لم يسموها آلهة ، ولذلك شبه قولهم هذا بقول بني إسرائيل لموسى : **﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾** فظهر بهذا الحديث أن التعلق على الأشجار والأحجار وغيرها لطلب البركة بها شرك في العبادة كشرك عبادة الأصنام .

قوله : "**لتركبُنَّ سَنَن من كان قبلكم**" أي اليهود والنصارى ، وقد وقع كما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الأمة ، فركبوا طريق من كان قبلهم ممن ذكرنا ، كما هو مذكور في الأحاديث الصحيحة كحديث " **لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه** " قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ ، قال : "**فمن ؟**" ، وهو في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه ، وفي رواية : " **ومن الناس إلا أولئك ؟**"* .

***

* سيأتي تخريجه إن شاء الله .

﴿١٠﴾ باب

ما جاء في الذبح لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّـهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾الآية[1] [الأنعام :١٦٣-١٦٤] .

---

[1] قوله : باب ما جاء في الذبح لغير الله وقول الله تعالى : ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لاَ شَرِيكَ لَهُ﴾الآية ، قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يأمره تعالى أن يخبر المشركين الذين يعبدون غير الله ويذبحون له أنه أخلص لله صلاته وذبيحته لأن المشركين يعبدون الأصنام ويذبحون لها فأمر الله تعالى بمخالفتهم والانحراف عما هم فيه والإقبال بالقصد والنية والعزم على الإخلاص لله تعالى. انتهى . فالصلوات الخمس هي أعظم فرائض الإسلام بعد الشهادتين .

وقوله : ﴿صَلاَتِي﴾ يشمل الفرائض والنوافل ، والصلوات كلها عبادة ، وقد اشتملت على نوعي الدعاء - دعاء المسألة ودعاء العبادة - فما كان فيها من السؤال والطلب فهو دعاء مسألة ، وما كان فيها من الحمد والثناء والتسبيح والركوع والسجود وغير ذلك من الأركان والواجبات فهو دعاء عبادة ، وهذا هو التحقيق في تسميتها صلاة لأنها اشتملت على نوعي الدعاء الذي هو صلاة لغة وشرعاً، قرره شيخ الإسلام وابن القيم رحمهما الله تعالى بهذا المعنى .

قوله : ﴿وَنُسُكِي﴾ قال الثوري* عن السدي عن سعيد بن جبير** : "نسكي" ذبحي ، وكذلك قال الضحاك*** . =

---

* هو شيخ الإسلام وسيد الحفاظ سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري ، توفي سنة ١٦١هـ ، انظر : السير ٢٢٩/٧ ، والنهاية ١٣٧/١٠ ، العبر ١٨/١ .

** هو سعيد بن جبير بن هشام الحافظ المقريء المفسر ، قتله الحجاج صبراً سنة ٩٤هـ ، انظر : تهذيب التهذيب ١١/٤ ، الشذرات ١٠٨/١ ، النهاية ١٠١/٩ .

*** هو الضحاك بن مزاحم الهلالي صاحب التفسير ، كان من أوعية العلم ، توفي سنة ١٠٥هـ ، وقيل سنة ١٠٦هـ ، انظر : السير ٥٩٨/٤ ، الشذرات ، ميزان الاعتدال ٣٢٥/٢ .

وقوله : ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾[1] [الكوثر :٢] .

عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات : " **لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى مُحْدِثاً ، لعن الله من غيّر منار الأض**" . رواه مسلم[2] .

= قوله : **﴿وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي﴾** أي ما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الإيمان والعلم الصالح ، **﴿لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾** خالصاً لوجهه ، **﴿لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾** أي من هذه الأمة ، وهذا قول أئمة التفسير ، والمقصود أن هذه الآية دلت على أن أقوال العبد وأعماله الباطنة والظاهرة لا يجوز أن يصرف منها شيء لغير الله كائناً من كان فمن صرف منها شيئاً لغير الله فقد وقع فيما نفاه تعالى من الشرك بقوله : **﴿وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** ، والقرآن كله في تقرير هذا التوحيد في العبادة وبيانه ونفي الشرك والبراءة منه .

[1] قوله : **﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾** قال شيخ الإسلام : أمره أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته ، عكس أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله ، الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر ، ولهذا جمع بينهما في قوله : **﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي﴾** الآية .اهـ . وقد قال تعالى :**﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ﴾** الآية [المائدة :٣] .

[2] قوله : عن علي رضي الله عنه قال : حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم باربع كلمات : " **لعن الله من ذبح لغير الله ، لعن الله من لعن والديه ، لعن الله من آوى محدثاً ، لعن الله من غيّر منار الأض**" . رواه مسلم* . وعلي بن أبي طالب هو الإمام أبوالحسن الهاشمي ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوج ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنهما ، كان من أسبق السابقين الأولين من أهل بدر وبيعة الرضوان وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة ورابع الخلفاء =

---

* رواه مسلم برقم (١٩٧٨) .

= الراشدين ومناقبه مشهورة رضي الله عنه ، قتله ابن ملجم الخارجي في رمضان سنة أربعين ، قال أبوالسعادات : أصل اللعن الطرد والإبعاد من الله .

قوله : "**من ذبح لغير الله**" قال شيخ الإسلام : قوله ﴿**وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ**﴾ ظاهره أنه ما ذبح لغير الله مثل أن يقال هذا ذبيحة لكذا ، وإذا كان هذا هو المقصود فسواء لفظ به أو لم يلفظ ، وتحريم هذا أظهر من تحريم ما ذبح للحم وقال فيه باسم المسيح ونحوه ، كما أن ما ذبحناه متقربين به إلى الله كان أزكى وأعظم مما ذبحناه للحم وقلنا عليه باسم الله ، فإذا حرم ما قيل فيه باسم المسيح والزهرة فلأن يحرم ما قيل فيه لأجل المسيح أو الزهرة أو قصد به ذلك أولى ، فإن العبادة لغير الله أعظم كفراً من الاستعانة بغير الله ، فعلى هذا لو ذبح لغير الله متقرباً إليه يحرم وإن قال فيه بسم الله كما قد يفعله طائفة من منافقي هذه الأمة الذين يتقربون إلى الكواكب بالذبح والبخور ونحو ذلك وإن كان هؤلاء مرتدين لا تباح ذبيحتهم بحال الخ ، قلت : ومن ذلك الذبح للجن .

قوله : "**لعن الله من لعن والديه**" يعني أباه وأمه وإن علوا ، وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **من الكبائر شتم الرجل والديه** " ، قالوا : يا رسول الله ، وهل يشتم الرجل والديه ؟ ، قال : " **نعم ، يسبُّ أبا الرجل فيسب أباهم ، ويسبُّ أمه فيسب أمه**"* .

قوله : "**لعن الله من آوى محدثاً**" وهو بفتح الهمزة ممدودة أي ضمه إليه وحماه ، وأما محدثاً فقال أبوالسعادات يروى بكسر الدال وفتحها على الفاعل والمفعول ، فمعنى الكسر من نصر جانياً وآواه وأجاره من خصمه وحال بينه وبين أن يقتص منه ، والفتح هو الأمر المبتدع نفسه ، ويكون معنى الإيواء فيه الرضى به والنصر ، فإنه إذا ارتضى بالبدعة وأقر فاعلها و لم ينكر عليه فقد آواه ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : هذه الكبيرة تختلف مراتبها باختلاف مراتب الحدث في نفسه ، فكلما كان الحدث في نفسه أكبر كانت الكبيرة أعظم .

قوله : "**لعن الله من غيّر منار الأرض**" بفتح الميم علامات حدودها ، وهي التي توضع =

---

* رواه البخاري (٥٩٧٣) ، وأبوداود برقم (٥١٤١) عن عبدالله بن عمرو .

وعن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب** "[1] ، قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ ،

= لتمييز حق الشركاء إذا اقتسموا ما بينهم في الأرض والدور ، قال في النهاية أي معالمها وحدودها .

قلت : وذلك بأن يرفع ما جعل علامة على تميز حقه من حق شريكه فيأخذ من حق شريكه بعضه فهذا ظلم عظيم ، وفي الحديث "**من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة**"* ، فما أجهل أكثر الخلق حتى وقعوا بجهلهم وظلمهم فيما يضرهم في دنياهم وأخراهم ، وذلك لضعف الإيمان بالمعاد والحساب على الأعمال والجنة والنار ، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة .

[1] عن طارق بن شهاب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**دخل الجنة رجل في ذباب ، ودخل النار رجل في ذباب**" قالوا : وكيف ذلك يا رسول الله ؟ قال : "**مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحدٌ حتى يقرِّب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرِّب ، قال : ليس عند شيء أَقرِّب ، قالوا له : قرِّب ولو ذباباً ، فقرّب ذباباً ، فخلوا سبيله ، فدخل النار ، وقالوا للآخر : قرّب ، فقال : ما كنت لأقرِّب لأحدٍ شيئاً دون الله عزّ وجلّ ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة**" . رواه أحمد .

قوله : "عن طارق بن شهاب" البجلي الأحمسي أبوعبدالله ، قال أبوداود : رأى النبي صلى الله عليه وسلم ولم يسمع منه شيئاً ، قال الحافظ : إذا ثبت أنه لقي النبي صلى الله عليه وسلم فهو صحابي ، وإذا ثبت أنه لم يسمع منه شيئاً فروايته عنه مرسل صحابي وهو مقبول على الراجح ، وكانت وفاته على ما جزم به ابن حبان ثلاث وثمانين ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى : حدثنا أبو معاوية حدثنا الأعمش عن سليمان بن ميسرة عن طارق بن شهاب يرفعه قال : "**دخل الجنة رجل في ذباب**" الحديث .

---

* رواه البخاري برقم (٢٤٥٣) ، ومسلم برقم (١٦١٠) .

قال : "**مرّ رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحدٌ حتى يقرِّب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرِّب ، قال : ليس عند شيء أَقرِّب ، قالوا له : قرِّب ولو ذباباً ، فقرّب ذباباً ، فخلوا سبيله ، فدخل النار** [١] ، **وقالوا للآخر : قرّب ، فقال : ما كنت لأقرِّب لأحدٍ شيئاً دون ا لله عزّ وجلّ ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة**"[٢] . رواه أحمد .

قوله : "**في ذباب**" أي من أجله .

قوله : "قالوا : وكيف ذلك يا رسول ا لله ؟" كأنهم وا لله أعلم تقالوا هذا العمل وهو تقريب الذباب للصنم ، فبيّن لهم النبي صلى ا لله عليه وسلم أن من فعل هذا وما هو أعظم منه وجبت له النار .

[١] قوله : " **مر رجلان على قوم لهم صنم لا يجوزه أحدٌ حتى يقرِّب له شيئاً ، فقالوا لأحدهما : قرِّب ، قال : ليس عند شيء أَقرِّب ، قالوا له : قرِّب ولو ذباباً ، فقرّب ذباباً ، فخلوا سبيله ، فدخل النار**" لأنه قصد غير ا لله بقلبه وانقاد بعمله فوجبت له النار ، ففيه معنى حديث مسلم الذي تقدم في باب الخوف من الشرك عن جابر مرفوعاً : "**من لقي ا لله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة ، ومن لقيه يشرك به شيئاً دخل النار**"* ، فإذا كان هذا فيمن قرّب للصنم ذباباً فكيف بمن يستسمن الإبل والبقر والغنم ليتقرّب بنحرها وذبحها لمن كان يعبده من دون ا لله من ميت أو طاغوت أو مشهد أو شجر أو حجر أو غير ذلك ؟ ، وكان هؤلاء المشركون في أواخر هذه الأمة يعدون ذلك أفضل من الأضحية في وقتها الذي شرعت فيه ، وربما اكتفى بعضهم بذلك عن أن يضحي لشدة رغبته وتعظيمه ورجائه لمن كان يعبده من دون ا لله ، وقد عمّت البلوى بهذا وما أعظم منه .

[٢] قوله : "**وقالوا للآخر : قرّب ، فقال : ما كنت لأقرِّب لأحدٍ شيئاً دون ا لله عزّ وجلّ ، فضربوا عنقه ، فدخل الجنة**"* ، ففيه معرفة قدر الشرك في قلوب أهل الإيمان ونفرتهم عنه =

---

* تقدم تخريجه ص : .

** رواه أحمد في الزهد ٨٤ ، وابن أبي شيبة ٣٥٨/١٢ من حديث سلمان الفارسي موقوفاً .

....

وصلابتهم في الإخلاص كما في حديث أنس الذي في البخاري وغيره الآتي إن شاء ا لله تعالى : "**ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان**" وفيه "**وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقـذه ا لله منه كما يكره أن يقذف في النار**" ، وفيه تفاوت الناس في الإيمان ؛ لأن هذا الرجل الذي قرّب الذباب لم يكن له عمل يستحق به دخول النار قبـل مـا فعلـه مـع هـذا الصنـم كمـا هـو ظـاهر الحديث . وا لله أعلم .

***

﴿١١﴾ باب

لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله[1]

وقول الله تعالى : ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية[2] [التوبة :١٠٨] .

---

[1] قوله : "باب لا ينبح لله بمكان يذبح فيه لغيرالله" ، أشار رحمه الله تعالى إلى ما كان الناس يفعلونه في نجد وغيرها قبل دعوتهم إلى التوحيد من ذبحهم للجن لطلب الشفاء منهم لمرضاهم ويتخذون للذبح لهم مكاناً مخصوصاً في دورهم ، فنفى الله سبحانه الشرك بهذه الدعوة الإسلامية ، فلله الحمد على زوال الشرك والبدع والفساد بطلعة الداعي إلى توحيد رب العباد .

[2] قوله : "وقول الله تعالى : ﴿لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ الآية" أي مسجد الضرار المذكور في قوله : ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ * لاَ تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ﴾ [التوبة :١٠٧-١٠٨] وهو مسجد قباء فقد أسس على التقوى من أول يوم قدم فيه صلى الله عليه وسلم المدينة مهاجراً وكان أهل مسجد الضرار قد بنوه قبل خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى غزوة تبوك فأتوه فسألوه أن يصلي فيه وذكروا له أنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية فقال : "**إنا على سفر ، ولكن إذا رجعنا إن شاء الله** " فلما قفل عليه السلام راجعاً إلى المدينة و لم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعضه نزل الوحي بخبر المسجد ، فبعث إليه وهدمه قبل قدومه إلى المدينة صلوات الله وسلامه عليه ، وأنزل الله فيه هذه الآيات* .

ووجه مطابقة الآية للترجمة أن هذا المسجد لما أسس على معصية الله والكفر به صار محل غضب فنهى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقوم فيه لوجود العلة المانعة وخرج لوجود العلة المانعة مخرج الخصوص والنهي عام وما كان مثله من الأمكنة ، مما أعد للمعصية وخص بفعلها فيه فإنه يعطى حكمه ؛ لأن المعصية صيرته محلاً خبيثاً وأثرت فيه بالنهي عن العبادة فيه ، =

---

* انظر قصة مسجد الضرار في زاد المعاد ٣٩٨/٣ .

عن ثابت بن الضّحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟** " قالوا : لا[1] ، قال : "**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟** " قالوا : لا ، فقال رَسول الله صلى الله

= ويقابل ذلك المساجد فإن الله شرفها لما بنيت لطاعته والصلاة فيها جمعة وجماعة ، وهي أشرف بقاع الأرض قال تعالى :﴿ **فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ**﴾ الآية [النور :٣٧] فما أحسن هذا القياس ، ويأتي تقريره في الحديث في الباب إن شاء الله تعالى .

[1] قوله : عن ثابت بن الضّحاك رضي الله عنه قال : نذر رجل أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "**هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ؟** " قالوا : لا ، قال : "**فهل كان فيها عيدٌ من أعيادهم؟** " قالوا : لا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم**" . رواه أبوداود ، وإسناده على شرطهما .

قوله : "عن ثابت بن الضحاك" أي ابن خليفة الأشهلي صحابي مشهور روى عنه أبوقلابة وغيره ، مات سنة أربع وستين .

قوله : "ببوانة " بضم الباء وقيل بفتحها ، قال البغوي موضع في أسفل مكة دون يلملم ، قال أبوالسعادات هضبة من وراء ينبع .

قوله : "**فهل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟**" فيه المنع من الوفاء بالنذر إذا كان في المكان وثن ولو بعد زواله قال المصنف رحمه الله تعالى : وهو شاهد الترجمة .

قوله : "**فهل كان فيها عيد من أعيادهم؟**" قال شيخ الإسلام : "العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائد إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر ونحوه ، والمراد هنا الاجتماع المعتاد من اجتماع أهل الجاهلية . فالعيد يجمع أموراً : منها يوم عائد كيوم الفطر ويوم الجمعة ، ومنها اجتماع فيه ، ومنها أعمال تتبع ذلك من العبادات أو العادات ، وقد يختص العيد بمكان بعينه ، وقد يكون مطلقاً ، وكل من هذه الأمور قد يسمى عيداً ، =

- **فالزمان** : كقول النبي صلى الله عليه وسلم في يوم الجمعة : " **إن هذا اليوم جعله الله للمسلمين عيداً** "* والاجتماع والأعمال كقول ابن عباس رضي الله عنهما : شهدت العيد مع رسول صلى الله عليه وسلم** ، **والمكان** : كقول النبي صلى الله عليه وسلم : "**لا تتخذوا قبري عيداً** "*** ، وقد يكون لفظ العيد اسماً لمجموع اليوم والعمل فيه ، وهو الغالب كقول النبي صلى الله عليه وسلم : "**دعهما يا أبابكر ، فإن لكل قوم عيداً**"**** . انتهى .

وقد أحدث هؤلاء المشركون أعياداً عند القبور التي تعبد من دون الله ويسمونها عيداً كمولد البدوي في مصر وغيره ، بل هي أعظم لما يوجد فيها من الشرك والمعاصي العظيمة ، قال المصنف رحمه الله تعالى وفيه استفصال المفتي والمنع من الوفاء بالنذر بمكان عيد الجاهلية ولو بعد زواله .

قلت : وفيه المنع من اتخاذ آثار المشركين محلاً للعبادة لكونها صارت محلاً لما حرم الله من الشرك والمعاصي ، والحديث وإن كان في النذر فيشمل كل ما كان عبادة لله إذ لا فرق ، فلا تفعل في هذه الأماكن الخبيثة التي اتخذت محلاً لما يسخط الله تعالى ، فبهذا صار الحديث شاهداً للترجمة ، والمصنف رحمه تعالى لم يرد التخصيص بالذبح وإنما ذكر الذبح كمثال ، وقد استشكل جعل محل اللات بالطائف مسجداً ، والجواب والله أعلم : أنه لو ترك هذا المحل في هذه البلدة لكان يخشى أن تفتتن به قلوب الجهال فيرجع إلى جعله وثناً كما كان يفعل فيه أولاً ، فجعله مسجداً والحالة هذه ينسي ما كان يفعل فيه ويذهب فيه أثر الشرك بالكلية فاختص هذا المحل لهذه العلة وهي قوة المعارض . والله أعلم .

---

* رواه ابن ماجة برقم (١١٠٨) عن ابن عباس وإسناده حسن ، انظر : صحيح سنن ابن ماجة برقم (١١٠٨) .

** رواه البخاري برقم (٩٨) ، وأبوداود برقم (١١٤٦) .

*** رواه أبوداود برقم (٢٠٤٢) ، وإسماعيل بن إسحاق في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم برقم (١١٤)

**** رواه البخاري برقم (٩٤٩) ، ومسلم برقم (٨٩٢) .

عليه وسلم : "**أوف بنذرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ، ولا فيما لا يملك ابن آدم**" . رواه أبوداود ، وإسناده على شرطهما[1] .

---

[1] قوله : "**أوف بنذرك**" وذلك لعدم المانع .

قوله : "**فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله**" فالحديث دلّ على أن اتخاذ أماكن الشرك والمعاصي لا يجوز أن يعبد الله فيها ، ونذر ذلك معصية لا يجوز الوفاء به .

قوله : "**ولا فيما لا يملك** ابن آدم" قال في شرح المصابيح : يعني إذا أضاف النذر إلى معين لا يملكه بأن قال إن شفى الله مريضي فلله عليّ أن أعتق عبد فلان ونحو ذلك ، فأما إذا التزم في الذمة شيئاً بأن قال : إن شفى الله مريضي فلله عليّ أن أعتق رقبة ، وهو في تلك الحال لا يملكها ولا قيمتها ، فإذا شفى الله مريضه ثبت ذلك في ذمته .

قوله : "رواه أبوداود وإسناده على شرطهما"* . أي : البخاري ومسلم ، وأبوداود اسمه سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد الأزدي السجستاني صاحب الإمام أحمد بن حنبل ومصنف السنن والمراسيل وغيرها ، ثقة إمام حافظ من كبار العلماء ، مات سنة خمس وسبعين ومائتين رحمه الله تعالى .

***

---

* رواه أبوداود برقم (٣٣١٣) وإسناده صحيح ، انظر صحيح الجامع برقم (٢٥٥١) ، والمشكاة برقم (٤٣٧) .

﴿١٢﴾ باب

من الشرك النّذر لغير الله

وقول الله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾[1] [الإنسان :٧] ، وقوله : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾[2] [البقرة :٢٧٠] .

---

[1] قوله : "باب من الشرك النّذر لغير الله وقول الله تعالى : ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ الآية " . قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : أي يتعبدون الله تعالى فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر .

[2] قوله : ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾ . قال ابن كثير يخبر تعالىبأنه عالم بجميع ما يعمله العاملون من النفقات والمنذورات ، وتضمن ذلك مجازاته على ذلك أوفر الجزاء للعاملين به ابتغاء وجه الله ، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وأما النذر لغير الله – كالنذر للأصنام والشمس والقمر والقبور ونحو ذلك – فهو شرك . وقال فيمن نذر للقبور ونحوها دهناً لتنوّر به ويقول إنها تقبل النذر كما يقوله بعض المشركين : فهذا النذر معصية باتفاق المسلمين لا يجوز الوفاء به ، وكذلك إذا نذر مالاً للسدنة أو المجاورين العاكفين بتلك البقعة فإن فيهم شبهاً من السدنة التي كانت عند العزّى ومناة يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والمجاورون هناك فيهم شبه من الذين قال فيهم الخليل عليه السلام : ﴿مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ﴾[الأنبياء :٥٢] ، فالنذر لأولئك السدنة والمجاورين في هذه البقاع نذر معصية ، وفيه شبه من النذر لسدنة الصلبان والمجاورين عندها . انتهى . وذلك لأن الناذر لله وحده قد علق رغبته به وحده لعلمه بأنه تعالى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع ، فتوحيد القصد هو توحيد العبادة ، ولهذا ترتب عليه وجوب الوفاء فيما نذره طاعة لله ، والعبادة إذا صرفت لغير الله صار ذلك شركاً بالله لالتفاته إلى غيره تعالى فيما يرغب فيه أو يرهب ، فقد جعله شريكاً لله في العبادة فيكون قد أثبت ما نفته "لا إله إلا الله" من إلهية غير الله ولم يثبت ما أثبتته من الإخلاص ، وكل هذه الأبواب التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى تدل على أن من أشرك مع الله غيره بالقصد =

= والطلب فقد خالف ما نفته "لا إله إلا الله" فعكس مدلولها فأثبت ما نفته ونفى ما أثبتته من التوحيد ، وهذا معنى قول شيخنا رحمه الله : وشرح هذه الترجمة ما بعدها من الأبواب ، فكل شرك وقع أو قد يقع فهو ينافي كلمة الإخلاص وما تضمنته من التوحيد ، **قال الرافعي في شرح المنهاج** : وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ ، أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك وهو الغالب أو الواقع من قصود العامة تعظيم البقعة أو المشهد أو الزاوية ، أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنيت على اسمه ، فهذا النذر باطل غير منعقد ، فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ، ويرون أنها مما يدفع به البلاء ، ويستجلب به النعماء ، ويستشفى بالنذر لها من الأدواء ، حتى إنهم لينذرون لبعض الأحجار لما قيل لهم إنه استند إليها عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السرج والشموع والزيت ويقولون : القبر الفلاني يقبل النذر ، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض ، أو قدوم غائب وسلامة مال ، وغير ذلك من أنواع نذر المجازاة ، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لا شك فيه ، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً ، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر إبراهيم الخليل عليه السلام ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء فإن الناذر لا يقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركاً وتعظيماً ظاناً أن ذلك قربة ، فهذا مما لا ريب في بطلانه ، والإيقاد المذكور محرّم سواء انتفع به منتفع أم لا ، وقال الشيخ قاسم الحنفي في شرح درر البحار : النذر الذي ينذره أكثر العوام على ما هو مشاهد ، كأن يكون لإنسان غائب أو مريض أو له حاجة فيأتي إلى بعض الصلحاء ويجعل على رأسه سترة ويقول : يا سيدي فلان إن رد الله غائبي أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا أو من الفضة كذا أو من الطعام كذا أو من الماء كذا ، أو من الشمع والزيت كذا ، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه : منها أنه نذر لمخلوق ، والنذر للمخلوق لا يجوز لأنه عبادة ، والعبادة لا تكون لمخلوق ، ومنها أن المنذور له ميت والميت لا يملك شيئاً ، ومنها أنه ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله عز وجل واعتقاد ذلك كفر – إلى أن قال – إذا علمت هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت وغيرها وينقل إلى ضرائح الأولياء تقرباً إليهم فحرام =

وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"(1) .

= بإجماع المسلمين نقله عنه ابن نجيم في البحر الرائق ونقله المرشدي في تذكرته وغيرهما عنه وزاد : وقد ابتلى الناس بهذا لا سيما في مولد البدوي ، وقال الشيخ صنع الله الحلبي الحنفي رحمه الله في الرد على من أجاز الذبح والنذر للأولياء ، فهذا الذبح والنذر إن كان على اسم فلان فهو لغير الله تعالى فيكون باطلاً ، وفي التنزيل : ﴿وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ﴾ ﴿قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأنعام :163] والنذر لغيرا لله إشراك مع الله كالذبح لغير الله . انتهى .

(1) قوله : وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"* .

قوله : "في الصحيح" أي صحيح البخاري ، قوله : "عن عائشة" هي أم المؤمنين زوج النبي صلى الله عليه وسلم وابنة الصديق رضي الله عنها وأعلم النساء بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم وهي بنت سبع ، ودخل بها وهي ابنة تسع ، وأفضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم إلا خديجة ففيها خلاف ، بل لا يقال خديجة أفضل ولا عائشة أفضل ، والتحقيق أن لخديجة من الفضائل في بدء الوحي ما ليس لعائشة من سبقها إلى الإيمان بالنبي صلى الله عليه وسلم وتأييده في تلك الحال التي بديء بالوحي فيها كما في صحيح البخاري وغيره فما زالت كذلك حتى توفيت رضي الله عنها قبل الهجرة ، ولعائشة من العلم بالأحاديث والأحكام ما ليس لخديجة ، لعلمها بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم ونزول القرآن بالأحكام وبيان الحلال والحرام ، وكان الصحابة رضي الله عنهم بعد وفاته صلى الله عليه وسلم يرجعون إليها فيما أشكل عليهم من أحوال النبي صلى الله عليه وسلم وحديثه صلوات الله وسلامه عليه ورضي عن أصحابه وأزواجه ، وتوفيت سنة سبع =

---

* رواه البخاري برقم (6696 ، وأبوداود برقم (3289) .

= وخمسين رضي الله عنها .

قوله : "**من نذر أن يطيع الله فليطعه**" لأنه نذره لله خالصاً فوجب عليه الوفاء به فصار عبادة ، وقد أجمع العلماء على أن من نذر طاعة لشرط يرجوه كإن شفى الله مريضي فعليّ أن أتصدق بكذا ونحو ذلك ، وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله ، إلا أن أبا حنيفة قال : لا يلزمه الوفاء إلا بما جنسه واجب بأصل الشرع كالصوم ، ونحوه وأما ما ليس كذلك فلا يوجب عليه الوفاء به .

قوله :"**ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه**" زاد الطحاوي "**وليكفّر عن يمينه**" ، وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الوفاء بنذر المعصية ، واختلفوا هل تجب فيه كفارة يمين ؟ على قولين هما روايتان عن أحمد إحداهما : تجب وهو المذهب ، وروي عن ابن مسعود وابن عباس ، وبه قال أبوحنيفة وأصحابه .

***

﴿١٣﴾ باب

من الشرك الاستعاذة بغير الله[(١)]

وقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾[(٢)] [الجن :٦] .

---

(١) قوله : "**باب من الشرك الاستعاذة بغير الله**" ، الاستعاذة الالتجاء والاعتصام ، فالعائذ قد هرب إلى ربه والتجأ إليه مما يخافه عموماً وخصوصاً ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وما يقوم بالقلب من الالتجاء إلى الله والاعتصام به والانطراح بين يدي الرب والافتقار إليه والتذلل له أمر لا تحيط به العبارة . انتهى .

وقد أمر الله عباده في كتابه بالاستعاذة به في مواضع كقوله : ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف :٢٠٠] ، وقال : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [النحل :٩٨] وفي المعوذتين وغير ذلك ، فهي عبادة لا يجوز أن تصرف لغير الله كغيرها من أنواع العبادة .

(٢) قوله : وقول الله تعالى : ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الإِنْسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ وقال أبوجعفر بن جرير رحمه الله تعالى في تفسيره : هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنه قال : كان رجال من الإنس يبيت أحدهم بالوادي في الجاهلية فيقول : أعوذ بعزيز هذا الوادي ، فزادهم ذلك إثماً . وقال بعضهم : فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بعزيزهم جرأة عليهم ، وازدادوا هم بذلك إثماً . وقال مجاهد : فازداد الكفار طغياناً . وقال ابن زيد : وزادهم الجن خوفاً . وقد أجمع العلماء على أنه لا تجوز الاستعاذة بغيرا لله ، وقال ملا علي قاري الحنفي رحمه الله : لا تجوز الاستعاذة بالجن ، فقد ذمّ الله الكافرين على ذلك وذكر الآية ، وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ﴾ الآية . فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره وإخباره بشيء من المغيبات ، واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه =

وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**" . رواه مسلم[1] .

= إياه واستعاذته به وخضوعه له . انتهى ملخصاً .

قال المصنف رحمه الله تعالى : " وفيه أن كون الشيء به منفعة دنيوية لا يدل على أنه ليس من الشرك" .

[1] وعن خولة بنت حكيم رضي الله عنها قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامّات من شر ما خلق ، لم يضره شيء حتى يرحل من منزله ذلك**" . رواه مسلم* . خولة بنت حكيم بن أمية السلمية يقال لها أم شريك ، ويقال أنها هي الواهبة ، وكانت قبل تحت عثمان بن مظعون ، قال ابن عبدالبر : وكانت صالحة فاضلة .

قوله : "**أعوذ بكلمات الله التامات**" شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به بدلاً عما يفعله أهل الجاهلية من الاستعاذة بالجن . فشرع الله تعالى للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته ، قال القرطبي رحمه الله تعالى : قيل معناه الكاملات التي لا يلحقها نقص ولا عيب كما يلحق كلام البشر ، وقيل معناه الكافية الشافية ، وقيل الكلمات هنا هي القرآن فإن الله أخبر عنه أنه هدى وشفاء ، وهذا الأمر على جهة الإرشاد إلى ما يدفع به الأذى ، وعلى هذا فحق المستعيذ بالله تعالى وبأسمائه وصفاته أن يصدق الله في التجائه إليه ، ويتوكل في ذلك عليه ، ويحضر ذلك في قلبه ، فمتى فعل ذلك وصل إلى منتهى طلبه ومغفرة ذنبه ، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وقد نصّ الأئمة كأحمد وغيره على أنه لا يجوز الاستعاذة بمخلوق ، وهذا مما استدلوا به على أن كلام الله ليس بمخلوق قالوا لأنه ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استعاذ بكلمات الله وأمر بذلك ، ولهذا نهى العلماء عن التعازيم والتعاويذ التي لا =

---

* رواه مسلم برقم (٢٧٠٨) ، والترمذي برقم (٣٤٣٣) .

= يعرف معناها خشية أن يكون فيها شرك .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن ذبح للشيطان ودعاه واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب فقد عبده ، وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداماً ، وصدق هو استخدام من الشيطان له فيصير من خدم الشيطان وعابديه ، ولذلك يخدمه الشيطان ، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما هو يفعل به .

قوله :"**من شر ما خلق** " قال ابن القيم : من كل شر ، في أي مخلوق قام به الشر من حيوان أو غيره إنسياً كان ، أو جنياً ، أو هامة ، أو دابة ، أو ريحاً ، أو صاعقة ، أو أي نوع كان من أنواع البلاء في الدنيا والآخرة ، و"ما" ههنا موصولة ليس إلا ، وليس المراد بها العموم الإطلاقي ، بل المراد التقييدي الوصفي ، والمعنى : من شر كل مخلوق فيه شر ، لا من شر كل ما خلقه ، فإن الجنة والأنبياء والملائكة ليس فيهم شر ، والشرّ يقال على شيئين : على الألم ، وعلى ما يفضي إليه .

***

﴿١٤﴾ باب

من الشرك أن يستغيث بغيرالله أو يدعو غيره[1]

وقول الله تعالى : ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ[2] * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾[3][يونس:١٠٦-١٠٧] .

---

[1] قوله : "**باب من الشرك أن يستغيث بغيرالله أو يدعو غيره**" . قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : الاستغاثة هي طلب الغوث ، وهو إزالة الشدة ، كالاستنصار طلب النصر ، والاستعانة طلب العون . اهـ .

قلت : فبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق : يجتمعان في مادة وهو دعاء المستغيث ، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب والسؤال من غير المستغيث ، وقد نهى تعالى عن دعاء غيره الأخص منه والأعم في كتابه كما يأتي بيانه قال تعالى : ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ ، فكل ما قصد به غير الله مما لا يقدر عليه إلا الله كدعوة الأموات والغائبين فهو من الشرك الذي لا يغفره الله ، والأدلة على ذلك من القرآن والسنة أكثر من أن تحصر .

[2] قوله : ﴿وَلاَ تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَالاَ يَنْفَعُكَ وَلاَ يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ في هذه الآية النهي عن أن يدعى أحد من دونه تعالى ، وأخبر تعالى أن غيره لا يضر ولا ينفع ، قوله : ﴿فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، والظلم في هذه الآية هو الشرك كما قال تعالى عن لقمان : ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ .

[3] قوله : ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلاَ كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ﴾ هذا في حق المستغيث ، أخبر تعالى أنه لا يكشف ضره إلا الله وحده دون ما سواه مطلقاً وقوله ﴿وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلاَ رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾ وهذا في حق كل طالب وراغب أخبر تعالى أنه هو الذي يتفضل على من سأله ، ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئاً من فضل الله عليه ، فهو المعطي والمانع ، لا مانع لما أعطى ، =

وقوله : ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ ﴾الآية [العنكبوت:١٧] ، وقوله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾[1] الآيتين [الأحقاف :٥-٦] ، وقوله : ﴿ أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ

= ولا معطي لما منع ، وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عباس وفيه : "**واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**"* .

فمن تدبر هذه الآية وما في معناها علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم ، والشرك الذي لا يغفره الله ، وانهم قد أثبتوا ما نفته لا إله إلا الله من الشرك في الإلهية ، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص كما قال تعالى : ﴿ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ* أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر :٢-٣] والدين هو طاعة الله فيما أمر به وشرعه ونهى عنه وحرّمه ، وأعظم ما أمر به التوحيد والإخلاص وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته ، وأرسل بذلك رسله ، وأنزل به كتبه :﴿ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ وأعظم ما نهى عنه الشرك به في ربوبيته وإلهيته .

[1] قوله : ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لاَ يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ فهذه الآية تبين وتوضح ما تقرر في الآية قبلها ن فأخبر تعالى أنه لا أضل ممن يدعو أحداً من دونه كائناً من كان ، وأخبر أن المدعو لا يستجيب لما طلب منه من ميت أو غائب ، أو ممن لا يقدر على الاستجابة مطلقاً من طاغوت ووثن ، فليس لمن دعا غير الله إلا الخيبة والخسران ، ثم قال تعالى : ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ كما قال تعالى في آية يونس : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ - إلى قوله - فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس :٢٨-٢٩] ، ثم قال : ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا =

* مضى تخريجه .

السُّوءَ﴾(1) [النمل :٦٢] .

لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ ، وقال تعالى :﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاَءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [النحل :٨٦] فلا يحصل للمشرك يوم القيامة إلا نقيض قصده فيتبرأ منه المدعو ومن عبادته ، وينكر ذلك عليه أشد الإنكار ، وقد صار المدعو للداعي عدواً ، ثم أخبر تعالى أن ذلك الدعاء عبادة بقوله : ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ فدلت أيضاً على أن دعاء غيرا الله عبادة له ، وأن الداعي له في غاية الضلال ، وقد وقع من هذا الشرك في آخر هذه الأمة ما عمّ وطمّ ، حتى أظهر الله من يبيّنه بعد أن كان مجهولاً عند الخاصة والعامة ، إلا من شاء الله تعالى ، وهو في الكتاب والسنة في غاية البيان ، لكن القلوب انصرفت إلى ما زين لها الشيطان ، كما جرى للأمم مع الأنبياء والمرسلين لما دعوهم إلى توحيد الله ، جرى لهم من شدة العداوة ما ذكره الله تعالى كما قال تعالى :﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ* أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات :٥٢-٥٣] ، ويشبه هذه الآية في المعنى قوله ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ* إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر :١٣-١٤] ، أخبر تعالى أن ذلك الدعاء شرك با لله ، وأنه لا يغفره لمن لقيه به ، فتدبر هذه الآيات وما في معناها كقوله ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا * قُلْ إِنَّمَا أَدْعُو رَبِّي وَلاَ أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا﴾ [الجن :١٨،٢٠] وهو في القرآن أكثر من أن يستقصى .

(1) قوله : ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ وهذا مما أقر به مشركو العرب وغيرهم في جاهليتهم كما قال تعالى ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾ [العنكبوت :٦٥] أخبر تعالى أنهم يخلصون الدعاء له إذا وقعوا في شدة ، قال أبوجعفر بن جرير رحمه الله تعالى : يقول تعالى ﴿أَءِلَهٌ مَعَ اللَّهِ﴾ يفعل هذه الأشياء بكم ، وينعم بهذه النعم عليكم ؟ وقوله : ﴿قَلِيلاً مَا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تذكراً قليلاً من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون ، وتعتبرون =

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**إنه لا يُستغاثُ بي ، وإنما يُستغَاثُ بالله**"[1] .

= حجج الله عليكم يسيراً ، فلذلك أشركتم بالله غيره في عبادته .

[1] قوله : وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**إنه لا يُستغاثُ بي ، وإنما يُستغَاثُ بالله**"* . الطبراني هو الإمام الحافظ سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني ، صاحب المعاجم الثلاثة وغيرها ، روى عن النسائي وإسحاق بن إبراهيم الدبري وخلق كثير ، مات سنة ستين وثلاثمائة ، روى هذا الحديث عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه . قوله : "فقال بعضهم : قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق " قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدر أن يغيثهم منه . قلت : فلعله أراد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يترك المنافقين أن يفعل بهم ما يستحقونه مخافة أن يفتتن بعض المؤمنين من قبيلة المنافق ، وفي السنة ما يدل على ذلك كما فعل مع ابن أبيّ وغيره ، وقيل : إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقدر أن يغيثهم من ذلك المنافق ، فيكون نهيه صلى الله عليه وسلم عن الاستغاثة به حماية لجناب التوحيد ، وسداً لذرائع الشرك كنظائره مما للمستغاث به قدرة عليه مما كان يستعمل لغة وشرعاً مخافة أن يقع من أمته الاستغاثة بمن لا يضر ولا ينفع ، ولا يسمع ولا يستجيب ، من الأموات والغائبين والطواغيت والشياطين والأصنام وغير ذلك ، وقد وقع من هذا الشرك العظيم ما عمت به البلوى كما تقدم ذكره ، حتى أنهم أشركوهم مع الله في ربوبيته وتدبير أمر خلقه ، كما أشركوهم معه في إلهيته وعبوديته ، والوسائل لها حكم الغايات في النهي عنها . والله أعلم

---

* رواه الطبراني في الكبير وإسناده ضعيف ، انظر : المجمع ١٠/١٥٩ ، ورواه أحمد(٢٠٣ ٨٢) وفيه ابن لهيعة ورجل لم يسمّ .

﴿١٥﴾ باب[1]

قوله الله تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الأعراف :١٩١-١٩٢] .

وقوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾الآية[2] [فاطر :١٣] .

---

[1] قوله : باب قول الله تعالى : ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لاَ يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ ، وهذا مما احتج به تعالى على المشركين لما وقع منهم من اتخاذ الشفعاء والشركاء في العبادة لأنهم مخلوقون فلا يصح أن يكونوا هم شركاء لمن هم خلقه وعبيده ، وأخبر أنهم مع ذلك لا يستطيعون لهم نصراً أي لمن سألهم النصرة ﴿وَلاَ أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ فإذا كان المدعو لا يقدر أن ينصر نفسه فلأنْ لا ينصر غيره من باب الأولى ، فبطل تعلق المشرك بغير الله بهذين الدليلين العظيمين ، **وهو** كونهم عبيداً لمن خلقهم لعبادته والعبد لا يكون معبوداً . **الدليل الثاني** : أنه لا قدرة لهم على نفع أنفسهم ، فكيف يرجى منهم أن ينفعوا غيرهم فتدبر هذه الآية وأمثالها في القرآن العظيم .

[2] قوله : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ * إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ - إلى قوله - وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ ابتدأ تعالى هذه الآيات بقوله ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ﴾ يخبر الخبير أن الملك لله وحده ، والملوك وجميع الخلق تحت تصرفه وتدبيره ، ولهذا قال : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ فإن من كانت هذه صفته لا يجوز أن يرغب في طلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سواه تعالى وتقدس ، بل يجب إخلاص الدعاء له الذي هو من أعظم أنواع العبادة .

وأخبر تعالى أن ما يدعوه أهل الشرك لا يملك شيئاً ، وأنهم لا يسمعون دعاء من دعاهم ، ولو فرض أنهم يسمعون فلا يستجيبون لداعيهم ، وأنهم يوم القيامة يكفرون بشركهم ، أي ينكرونه ويتبرأون ممن فعله معهم ، فهذا الذي أخبر به الخبير الذي ﴿لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ وأخبر أن ذلك الدعاء شرك به ، وأنه لا يغفره لمن لقيه به . =

وفي الصحيح عن أنس قال : شُجّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وكُسرت رباعيته فقال : " **كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم** " فنزلت : ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل عمران : ١٥٤] .

وفيه عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : "**اللهم العن فلاناً وفلاناً** " بعد ما يقول : " **سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد** " فأنزل الله : :﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ الآية ، وفيه في رواية : يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾[1] .

= فأهل الشرك ما صدقوا الخبير ولا أطاعوه فيما حكم به وشرع ، بل قالوا إن الميت يسمع ، ومع سماعه ينفع ، فتركوا الإسلام والإيمان رأساً كما ترى عليه الأكثرين من جهلة الأمة .

[1] قوله : وفي الصحيح عن أنس قال : شُجّ النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحد وكُسرت رباعيته فقال : " **كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم** " فنزلت :﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾* [آل عمران :١٥٤] . وفيه عن ابن عمر أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الأخيرة من الفجر : "**اللهم العن فلاناً وفلاناً** " بعد ما يقول : " **سمع الله لمن حمده ، ربنا ولك الحمد** " فأنزل الله تعالى : ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ الآية ، وفيه في رواية : يدعو على صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو والحارث بن هشام ، فنزلت : ﴿ **لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾** . وأسلم هؤلاء وحسن إسلامهم .

قوله : "في الصحيح" أي الصحيحين ، علقه البخاري عن حميد وثابت عن أنس ، ووصله أحمد والترمذي والشافعي عن حميد عن أنس ، وقد قال تعالى : ﴿**قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ**﴾ [آل عمران :١٥٤] ، وقال تعالى : ﴿**أَلاَ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ**﴾[الأعراف :٥٤] .

---

* رواه البخاري معلقاً ٣٦٥/٧ ، ورواه غيره موصولاً عن أنس .

** رواه البخاري برقم (٤٠٦٩) عن ابن عمر .

وفيه عن أبي هـريرة رضي الله عنه قال : قـام رسـول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ ﴾ ، فقال : "**يا معشر قريش** – أو كلمة نحوها – **اشتروا أنفسكم**[1] **لا أغني عنكم من الله**

= والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والمقصود أن الذي له الأمر كله والملك كله لا يستحق غيره شيئاً من العبادة ، ولهذا المعنى قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : **﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾** [القصص:٥٦] ، فالذي قال الله تعالى في حقه صلوات الله وسلامه عليه **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾** وهو خيرة الله من خلقه ما زال يدعو الناس أن يخلصوا العبادة للذي له الأمر كله وهو الله تعالى ، فهذا دينه صلى الله عليه وسلم الذي بعث به وأمر أن يبلغه أمته ويدعوهم إليه كما تقدم في باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله، فإياك أن تتبع سبيلاً غير سبيل المؤمنين الذي شرعه الله ورسوله لهم وخصهم به .

[1] قوله : وفيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل عليه : **﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء :٢١٤] ، فقال : "**يا معشر قريش** – أو كلمة نحوها – **اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً ، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أُغني عنكِ من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتِ ، لا أُغني عنكِ من الله شيئاً** "* .

قوله : "فيه" أي في صحيح البخاري ، واختلف في اسم أبي هريرة وصحح النووي أن اسمه عبدالرحمن بن صخر ، وهو دوسي من حفاظ الصحابة ، حفظ من الحديث ما لم يحفظه غيره ، كما في صحيح البخاري عن وهب بن منبه عن أخيه سمعت أبا هريرة رضي الله عنه يقول : ما من أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثاً عنه مني ، إلا ما كان من عبدالله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب ، مات سنة سبع – أو ثمان أو تسع – وخمسين وهو ابن ثمان وسبعين سنة ، وهذا الحديث له طرق كثيرة في الصحيحين =

* رواه البخاري برقم (٢٧٥٣) ، ومسلم برقم (٢٠٦) .

شيئاً[1] ، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً ، يا صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغني عنكِ من الله شيئاً ، ويا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئتِ لا أغني عنكِ من الله شيئاً "[2] .

= والمسند والسنن وغيرها . قوله : "**يا معشر قريش** - أو كلمة نحوها - **اشتروا أنفسكم**" أي بالإيمان بالله ورسوله واتباعه فيما جاءكم به مما أنزل عليه من توحيد الله في العبادة وترك ما كنتم تعبدونه من دونه من الأوثان والأصنام ، فإنهم بذلك الشرك صاروا عبيداً لمن لا يضر ولا ينفع ، ولا يستجيب ولا يسمع إلا هو ، وهم قد عرفوا أن ما كانوا يفعلونه من عبادة غير الله شرك بالله، فإنهم كانوا يقولون في تلبيتهم : لبيك لا شريك لك ، إلا شريكاً هو لك ، تملكه وما ملك ، فسبحان الله كيف جاز في عقولهم أن يكون شريكاً لمالكه ، وقد قال تعالى : **﴿ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَنْ يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾**[الروم : ٢٨-٢٩] .

[1] قوله : "**لا أغني عنكم من الله شيئاً**" هذا هو معنى ما تقدم من أنه تعالى هو المتصرف في خلقه بما شاء مما اقتضته حكمته في خلقه وعلمه بهم ، والعبد لا يعلم إلا ما علمه الله ، ولا ينجو أحد من عذابه وعقابه إلا بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، والبراءة من عبادة ما سواه كما قال تعالى : **﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾** [المائدة :٧٢] ، والنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث أنذر الأقربين نذارة خاصة ، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً ، وبلغهم ، وأعذر إليهم ، فإنذر قريشاً ببطونها ، وقبائل العرب في مواسمها ، وأنذر عمه وعمته وابنته وهم أقرب الناس إليه ، وأخبر أنه لا يغني عنهم من الله شيئاً إذا لم يؤمنوا به ويقبلوا ما جاء به من التوحيد وترك الشرك به .

[2] قوله : "**سليني من مالي ما شئتِ**" لأن هذا هو الذي يقدر عليه صلى الله عليه وسلم وما =

....

كان أمره إلى الله سبحانه فلا قدرة لأحد عليه كما في هذا الحديث ، ولما مات أبوطالب - وكان يحوط رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحميه - ولم ينكر ملة عبدالمطلب من الشرك بالله وقال صلى الله عليه وسلم **"لأستغفرن لك ما لم أُنه عنك"** فأنزل الله تعالى :﴿ **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ**﴾ [التوبة :١١٣] فأخبر أن أبا طالب من أصحاب النار لما مات على غير شهادة أن لا إله إلا الله ، فلم تنفعه حمايته النبي صلى الله عليه وسلم من أن يكون من المشركين ، ولا الاعتراف بأن النبي صلى الله عليه وسلم على الحق بدون البراءة من الشرك ، لأنه لم يبرأ من ملة أبيه ، فكل تعلق على غير الله من طلب شفاعة أو غيرها شرك بالله يكون عليه وبالاً في الدنيا والآخرة ، والشفاعة لا تكون إلا لأهل الإخلاص خاصة كما قال تعالى : ﴿**وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ**﴾ [الأنعام :٥١] ، والآيات في هذا المعنى كثيرة ، وكذلك الأحاديث . والله أعلم . وستأتي في باب الشفاعة إن شاء الله تعالى .

***

﴿١٦﴾ باب

قول الله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾[1] [سبأ :٢٣] .

---

[1] قوله : باب قول الله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ . قوله : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ أي زال عنها الفزع ، قال ابن عباس وغيره ، ذكر تعالى هذه الآية في سياق قوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ [سبأ :٢٢] ، وقال ابن جرير قال بعضهم الذين فزع عن قلوبهم الملائكة ، قالوا وإنما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله عز وجل بالوحي ، قال ابن كثير : وهو الحق الذي لا مرية فيه ؛ لصحة الأحاديث فيه والآثار ، وقال أبوحيان : تظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قوله : ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل وأمر الله تعالى به سمعت كجرس سلسلة الحديد على الصفوان فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة ، قال : وبهذا المعنى من ذكر الملائكة في صدر الآيات تتسق هذه الآية على الأولى ، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها .

وهذه الآيات تقطع عروق الشرك بأمور أربعة :

الأول : أنهم لا يملكون مثقال ذرة مع الله ، والذي لا يملك مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض لا ينفع ولا يضر ، فالله تعالى هو الذي يملكهم ويدبرهم ويتصرف فيهم وحده .

الثاني : قوله ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ﴾ أي في السماوات والأرض ، أي وما لهم شرك مثقال ذرة من السماوات والأرض .

الثالث : قوله ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ﴾ والظهير المعين ، فليس لله معين من خلقه ، بل هو الذي يعينهم على ما ينفعهم ويدفع عنهم ما يضرهم لكمال غناه عنهم ، وضرورتهم إلى ربهم فيما قلّ وكثر من أمور دنياهم وأخراهم . =

في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان ينفذهم ذلك ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض - وصف سفيان بكفّه فحرفها وبدّد بين أصابعه - فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال : أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا ؟ ، فيصدّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء"[1] .

= الرابع : قوله ﴿وَلاَ تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ :٢٣] فلا يشفع عنده أحد إلا إذا أذن له كما قال تعالى : ﴿مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾ [يونس :٣] ، وأخبر تعالى أن من اتخذ شفيعاً من دونه حرم من شفاعة الشفعاء ، قال تعالى ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [يونس :١٨] لأن اتخاذ الشفعاء شرك لقوله تعالى في حقهم ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ والمشرك منفية الشفاعة في حقه كما قال تعالى ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾[المدثر :٤] ، وقال : ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام :٩٤] ، وذلك أن متخذ الشفيع لا بد أن يرغب إليه ويدعوه ويرجوه ويخافه ويحبه لما يؤمّله منه ، وهذه من أنواع العبادة التي لا يصرف منها شيء لغير الله ، وذلك هو الشرك الذي ينافي الإخلاص .

[1] في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله ، كأنه سلسلة على صفوان =

....

= **ينفذهم ذلك ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ فيسمعها مسترق السمع ، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض** - وصف سفيان بكفّه فحرفها وبدّد بين أصابعه - **فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن ، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه ، فيكذب معها مائة كذبة ، فيقال** : **أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا** : **كذا وكذا ؟ ، فيصدّق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**"* .

قوله : "في الصحيح" أي صحيح البخاري ، ففي هذا الحديث أن من عرف الله تعالى ذلّ له تعظيماً ومهابة وخوفاً ، لا سيما عند سماع كلامه تعالى ، لأن قوله "إذا قضى الله الأمر" أي بكلامه ووحيه إلى جبريل . وقوله : "في السماء" يدل على العلو ، ففيه إثبات كلام الله وعلوه على خلقه على ما يليق بجلاله وعظمته إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، وهذا الحديث ونحوه مما احتج به أهل السنة على الجهمية والأشاعرة والكلابية وغيرهم من أهل البدع ممن أحلد بالتعطيل في أسماء الله وصفاته . قوله :"خضعاناً" هو مصدر خضع . قوله :" لقوله" صريح في انهم سمعوا قوله وأنه بصوت أن ذلك ينفذ جميع الملائكة أي يسمعونه كلهم . قوله : **﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ﴾** أي زال عنها الفزع . قوله :"**فيسمعها مسترق السمع**" أي الكلمة التي سمعتها الملائكة وتحدثوا بها .

قوله "**ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض ، وصفه سفيان** " يعني مسترق السمع . "**فيلقيها إلى من تحته من الشياطين ، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته ، حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن**" الحديث .

قوله : "**فيكذّب معها**" أي الساحر أو الكاهن . "**مائة كذبة ، فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء** " لقبول النفوس للباطل .

---

* رواه البخاري برقم ٤٧٠١ .

وعن(1) النوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة – أو

---

(1) قوله : وعن النوّاس بن سمعان رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
" إذا أراد الله تعالى أن يوحي بالأمر تكلم بالوحي أخذت السماوات منه رجفة – أو قال رعدة شديدة ، خوفاً من الله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخرّوا لله سجّداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره الله عز وجل"* . رواه ابن أبي حاتم بسنده عن النواس بن سِمعان – بكسر السين – ابن خالد الكلابي ويقال الأنصاري ، صحابي ، ويقال إن أباه صحابي أيضاً .

قوله : **"إذا أراد الله تعالى"** فالإرادة صفة من صفات الله عز وجل ، وهي نوعان : شرعية وقدرية ، كما قال تعالى **﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾**الآية [الإسراء :١٦] ، وقال : **﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا﴾**[الكهف :٨٢] ، وقال : **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** [يس : ٨٢] ونحو هذه الآيات .

قوله : **"أن يوحي بالأمر"** فيه بيان معنى ما تقدم في الحديث قبله من قوله **"إذا قضى الله الأمر"** . قوله : **"تكلم بالوحي"** فيه التصريح بأنه يتكلم بالوحي فيوحيه إلى جبريل عليه السلام ، ففيه الرد على الأشاعرة في قوله إن القرآن عبارة عن كلام الله** .

قوله : **"أخذت السماوات منه رجفة** – أو قال رعدة – **شديدة خوفاً من الله عز وجل"** في هذا معرفة عظمة الله ويوجب للعبد شدة الخوف منه تعالى ، وفيه إثبات العلو . =

---

* رواه ابن أبي عاصم في السنة (٥١٥) ، وابن أبي حاتم ٥٣٧/٣ ، وابن كثير وابن خزيمة في التوحيد وإسناده ضعيف .

** أثبت الأشاعرة لله كلاماً ، وأنه متكلم على الحقيقة ولكن بطريقة لم يسبقوا إليها ؛ فذكروا بأنه معنى قائم بالذات وليس متعلقاً بالمشيئة والإرادة ، واتفقوا على أنه ليس بحرف ولا صوت وجمهورهم على أنه معنى واحد .

قال رعدة شديدة ، خوفاً من ا لله عز وجل ، فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخرّوا لله سجّداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل على الملائكة كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها : ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره ا لله عز وجل " .

= قوله : "**فإذا سمع ذلك أهل السماوات صعقوا وخرّوا سجّداً** " هيبة وتعظيماً لربهم ، وخشية لما سمعوا من كلامه تعالى وتقدس . قوله : "**فيكون أول من يرفع رأسه جبريل**" لأنه ملك الوحي عليه السلام . قوله "**فيكلمه ا لله من وحيه بما أراد** " فيه التصريح بأنه تعالى يوحي إلى جبريل بما أراده من أمره كما تقدم في أول الحديث ، قوله : " **ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مرّ بسماء سأله ملائكتها** " وهذا أيضاً من أدلة علو الرب تعالى وتقدس .

قوله : "**ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل : قال الحق وهو العلي الكبير ، فيقولون كلهم مثل ما قال جبريل ، فينتهي جبريل بالوحي إلى حيث أمره ا لله عز وجل**" وهذا دليل بأنه تعالىقال ويقول ، وأهل البدع من الجهمية ومن تلقى عنهم كالأشاعرة جحدوا ما أثبته ا لله تعالى في كتابه وأثبته رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم في سنته من علوه وكلامه وغير ذلك من صفات كماله التي أثبتها لنفسه وأثبتها له رسوله والمؤمنون من الصحابة والتابعين وتابعيهم من أهل السنة والجماعة على ما يليق بجلال ا لله وعظمته ، تشبيهات اختلقوها ما أنزل ا لله بها من سلطان .

***

﴿١٧﴾ باب

الشفـــاعــــة[1]

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَـــرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ

---

[1] قوله : "**باب الشفاعة**" . الشفاعة نوعان : **شفاعة منفية في القـرآن** ، وهـي الشـفاعة للكـافر والمشرك . قال تعالى :﴿**مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لاَ بَيْعٌ فِيهِ وَلاَ خُلَّةٌ وَلاَ شَفَاعَةٌ**﴾[البقرة :٢٥٤] ، وقال تعالى : ﴿ **فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ**﴾ [المدثر :٤٨] ، وقال : ﴿**وَاتَّقُوا يَوْمًا لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلاَ يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلاَ يُؤْخَذُ مِنْهَـا عَـدْلٌ وَلاَ هُـمْ يُنْصَـرُونَ**﴾ [البقـرة :٤٨] ونحو ذلك هذه الآيات كقولـه ﴿**وَيَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِ اللَّـهِ مَـا لاَ يَضُرُّهُـمْ وَلاَ يَنْفَعُهُـمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاَءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ**﴾ [يونس :١٨] يخبر تعالى أن من اتخذ هؤلاء شفعاء عند الله أنه لا يعلم أنهم يشفعون له بذلك ، وما لا يعلمه لا وجود له ، فنفـى وقـوع هـذه الشـفاعة ، وأخـبر أنهـا شـرك بقولـه ﴿**سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ**﴾ ، وقال تعـالى : ﴿**وَالَّذِيـنَ اتَّخَـذُوا مِـنْ دُونِـهِ أَوْلِيَـاءَ مَـا نَعْبُدُهُـمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى**﴾ إلى قوله : ﴿**إِنَّ اللَّـهَ لاَ يَهْـدِي مَـنْ هُـوَ كَـاذِبٌ كَفَّـارٌ**﴾[الزمر :٣] فأبطل شفاعة من اتخذ شفيعاً يزعم أنه يقربه إلى الله وهو يبعده عنه وعن رحمته ومغفرته ؛ لأنـه جعل لله شريكاً يرغب إليه ويرجوه ويتوكل عليه ويحبه كما يحب الله تعالى أو أعظم .

النوع الثاني : **الشفاعة التي أثبتها القرآن** ، وهي خالصـة لأهـل الإخـلاص وقيدهـا تعـالى بأمرين : **الأول** : إذنه للشافع أن يشفع ، كمـا قـال تعـالى : ﴿**مَـنْ ذَا الَّـذِي يَشْـفَعُ عِنْـدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة :٢٥٥] وإذنه تعالى لا يصدر إلا إذا رحم عبده الموحد المذنب ، فإذا رحمه تعالى أذن للشافع أن يشفع له .

الأمر الثاني : رضاه عمن أذن للشافع أن يشفع فيـه كمـا قـال تعـالى :﴿ **وَلاَ يَشْـفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى**﴾ [الأنبياء :١٢٨] ، فالإذن بالشـفاعة لـه بعـد الرضـا كمـا في هـذه الآيـة ، وهـو سبحانه لا يرضى إلا بالتوحيد .

﴿دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾[1]

وقوله : **﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾**[2] ، وقوله : **﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ**

---

[1] قوله : وقول الله تعالى **﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾** . الإنذار هو الإعلام بأسباب المخالفة والتحذير منها . قوله **﴿بِهِ﴾** أي القرآن **﴿الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَى رَبِّهِمْ﴾** وهم أهل الإخلاص الذين لم يتخذوا لهم شفيعاً بل أخلصوا قصدهم وطلبهم وجميع أعمالهم لله وحده ، و لم يلتفتوا إلى أحد سواه فيما يرجون نفعه ويخافون ضره ، قال الفضيل بن عياض ليس كل خلقه عاتب ، إنما عاتب الذين يعقلون . قوله **﴿لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلاَ شَفِيعٌ﴾** قال الزجاج موضع ليس نصب على الحال كأنه قال متخلين من ولي وشفيع والعامل فيه يخافون . قوله **﴿لَعَلَّهُم يَتَّقُون﴾** أي فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذاب يوم القيامة ، وتركوا التعلق على الشفعاء وغيرهم لأنه ينافي الإخلاص الذي لا يقبل الله من أحد عملاً بدونه لأنه طلب وسؤال من غير الله .

[2] قوله : **﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعاً﴾** دلت الآية على أن الشفاعة له سبحانه ، لأنها لا تقع إلا لأهل التوحيد بإذنه سبحانه وتعالى كما قال تعالى في الآية السابقة وقال تعالى : **﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلاَّ مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ﴾** [يونس :٣] الآية فلا شفاعة إلا لمن هي له سبحانه ، ولا تقع إلا ممن أذن له فيها ، فتدبر هذه الآيات العظيمة في اتخاذ الشفعاء ، وقوله :**﴿ لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾** يبطل التعلق على غيره سبحانه لأنه الذي انفرد بملك كل شيء فليس لأحد في ملكه مثقال ذرة دونه سبحانه وبحمده ، والإسلام هو أن تسلم قلبك ووجهك لله بالإخلاص ، كما في المسند عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : فبالذي بعثك بالحق ما بعثك به ؟ ، قال : "**الإسلام**" ، قال : وما الإسلام ؟ ، قال : "**أن تسلم قلبك وأن توجه وجهك إلى الله ، وأن تصلي الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة**"* ، والآيات في بيان الإخلاص كثيرة ، وهو أن لا يتلفت القلب ولا الوجه في =

---

* رواه أحمد في المسند برقم (٢٠٢٧١) ، وإسناده حسن .

بِإِذْنِهِ﴾[1] ، وقوله : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾[2] ، وقوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾الآيتين[3] .

= جميع الأعمال كلها إلا لله وحده كما قال تعالى :﴿ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [غافر :١٤] ، فأمره تعالى بإخلاص الدعاء له وحده ، وأخبر أنه الدين الذي تصح معه الأعمال وتقبل ، قال شيخ الإسلام : الإخلاص محبة الله ، وإرادة وجهه .

[1] قوله : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ تقدم معنى هذه الآية .

[2] قوله : ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾ فإذا كان هذا في حق الملائكة الذين وصفهم تعالى بقوله : ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ * لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ * يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ * وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء :٢٧-٢٩] فظهر من هذه الآيات المحكمات ما يبين حقيقة الشفاعة المثبتة في القرآن التي هي ملك لله لا يملكها غيره ، وقيد حصلوها بقيدين كما في هذه الآية وغيرها كما تقدم قريباً إذنه للشافع أن يشفع كما قال تعالى : ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة :٢٥٥] ورضاه عمن أراد رحمته ممن أذنب من الموحدين ، فاختصت الشفاعة بأهل الإخلاص خاصة ، وأن اتخاذ الشفعاء من دين المشركين قد أنكره الله عليهم فيما تقدم من الآيات .

[3] قوله : ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ الآيتين . قال أبوالعباس : نفى الله عما سواه كل ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الرب كما قال ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾[الأنبياء :٢٨] فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي صلى الله عليه =

قال أبوالعباس : نفى الله عما سواه كلّ ما يتعلق به المشركون ، فنفى أن يكون لغيره ملك أو قسط منه ، أو يكون عوناً لله ، ولم يبق إلا الشفاعة فبيّن أنها لا تنفع إلا لمن أذن له الربّ كما قال تعالى :﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَى﴾ فهذه الشفاعة التي يظنها المشركون هي منتفية يوم القيامة كما نفاها القرآن ، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم أنه : "يأتي فيسجد لربه ويحمده - لا يبدأ بالشفاعة أولاً - ثم يقال له : "**ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطَ ، واشفع تشفّع**" ، وقال له أبوهريرة : من أسعد الناس بشفاعتك ؟ قال : "**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**" ، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ، ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضّل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود ، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ، ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص . انتهى كلامه .

= وسلم أنه يأتي فيسجد لربه ويحمده لا يبدأ بالشفاعة أولاً ، ثم يقال له "**ارفع رأسك ، وقل يسمع ، وسل تعطه ، واشفع تشفع**"* ، وقال له أبوهريرة رضي الله عنه : من أسعد الناس بشفاعتك؟ ، قال : "**من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه**"** ، فتلك الشفاعة لأهل الإخلاص بإذن الله ولا تكون لمن أشرك بالله ، وحقيقته أن الله سبحانه هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه وينال المقام المحمود .

فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك ولهذا أثبت الشفاعة بإذنه في مواضع ، وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد والإخلاص ، انتهى كلامه رحمه . وفيه تحقيق لأمر الشفاعة وجمع للأدلة . والله أعلم .

---

* رواه البخاري برقم (٣٣٤٠) ، ومسلم برقم (١٩٤) .

** رواه البخاري برقم (٦٥٧٠) .

﴿١٨﴾ باب

قول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ الآية[1] [القصص :٥٦] .

في الصحيح[2] عن ابن المسيّب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عبدالله بن أميّة وأبوجهل ، فقال له : **"يا عم ، قل لا**

---

[1] قوله : باب قول الله تعالى : ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ . قال ابن كثير رحمه الله تعالى : يقول الله تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم : إنك يا محمد لا تهدي من أحببت أي ليس إليك ذلك ، إنما عليك البلاغ والله يهدي من يشاء ، وله الحكمة البالغة والحجة الدامغة ، كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [البقرة : ٢٧٢] ، وقال : ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف :١٠٣] .

قلت : والمنفي ههنا هداية التوفيق والقبول ، فإن أمر ذلك إلى الله وحده وهو القادر عليه ، وأما الهداية المذكورة في قول الله تعالى : ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[الشورى :٥٢] فإنها هداية الدلالة والبيان ، فهو المبيّن عن الله والدالّ على دينه وشرعه .

[2] قوله : في الصحيح عن ابن المسيّب عن أبيه قال : لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعنده عبدالله بن أبي أميّة وأبوجهل ، فقال له : **"يا عمّ ، قل لا إله إلا الله ، كلمة أحَاجُّ لك بها عند الله"** ، فقالا له : **أترغب عن ملّة عبدالمطلب؟** فأعاد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعادا ، فكان آخر ما قال هو على ملّة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **"لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك"** ، فأنزل الله عز وجل : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ وأنزل في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾* . قوله "في الصحيح" أي الصحيحين . وابن المسيب هو سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم القرشي المخزومي ، أحد العلماء والفقهاء الكبار السبعة من =

---

* رواه البخاري برقم (١٣٦٠) ، ومسلم برقم (٢٤) .

= التابعين ، اتفق أهل الحديث أن مراسيله أصح المراسيل ، وقال ابن المديني : لا أعلم في التابعين أوسع علماً منه ، مات بعد التسعين وقد ناهز الثمانين ، وأبوه المسيب صحابي بقي إلى خلافة عثمان رضي الله عنه ، وكذلك جده حزن صحابي استشهد باليمامة .

قوله : "لما حضرت أبا طالب الوفاة" أي علاماتها ومقدماتها . قوله : "جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم" يحتمل أن يكون المسيب حضر مع الاثنين فإنهما من بني مخزوم وهو أيضاً مخزومي ، وكان الثلاثة إذ ذاك كفاراً ، فقتل أبوجهل على كفره وأسلم الآخران .

قوله : "**يا عم ، قل لا إله إلا الله**" أمره بقولها لعلم أبي طالب بأنها دلت على نفي الشرك بالله وإخلاص العبادة له وحده ، فإن من قالها عن علم ويقين وقبول فقد أنكر الشرك وتبرأ منه ، وكذلك الحاضرون يعلمون بما دلت عليه من نفي الشرك والبراءة منه ، ولهذا عارضوا قول النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : أترغب عن ملة عبدالمطلب ؟ ؛ لأن ملة عبدالمطلب الشرك بعبادة الأوثان كما كانت قريش وغيرهم في جاهليتهم كذلك .

قوله : "**كلمة**" قال القرطبي بالنصب على أنه بدل من لا إله إلا الله ، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف . قوله : "**أحاجّ لك بها عند الله**" لأنه لو قالها في تلك الحال لقبلت منه ودخل بها في الإسلام . قوله : " فقالا له : أترغب عن ملة عبدالمطلب؟" ذكّراه الحجة الملعونة التي يحتج بها المشركون على المرسلين ، كقول فرعون لموسى : **﴿قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى﴾** [طه :٥١] ، وكقوله تعالى : **﴿وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾** [الزخرف:٢٣].

قوله : " فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم فأعادا" فيه مضرة أصحاب السوء ، والحذر من قربهم والاستماع لهم ، ففيه بمعنى قول الناظم :

إِذَا مَا صَحِبتَ القَومَ فاصْحَبْ خِيَارَهُم وَلاَ تَصْحَبْ الأَردَى فَتردَى مَع الرّدِي

قوله : "فكان آخر ما قال هو على ملة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله" قال الحافظ : هو تأكيد من الراوي في نفي وقوع ذلك من أبي طالب ، قال المصنف رحمه الله تعالى : وفيه الرد على من زعم إسلام عبدالمطلب وأسلافه . =

إله إلا الله ، **كلمة أحَاجُّ لك بها عند الله"** ، فقالا له : أترغب عن ملّة عبدالمطلب؟ فأعاد عليه النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعادا ، فكان آخر ما قال هو على ملّة عبدالمطلب ، وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **"لأستغفرن لك ما لم أُنْهَ عنك"** ، فأنزل الله عز وجل : **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾** وأنزل في في أبي طالب : **﴿إِنَّكَ لاَ تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾** .

= قوله : "فقال النبي صلى الله عليه وسلم **"لأستغفرن لك ما لم أنه عنك"** اللام لام القسم . قال النووي : فيه جواز الحلف من غير استحلاف . قال ابن فارس : مات أبوطالب ولرسول الله صلى الله عليه وسلم تسع وأربعون سنة وثمانية أشهر وأحد عشر يوماً ، وتوفيت خديجة أم المؤمنين رضي الله عنه بعد موت أبي طالب بثمانية أيام .

قوله : فأنزل الله عز وجل : **﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾** هو خبر بمعنى النهي والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب ، فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله " فأنزل الله" بعد قوله : **"لأستغفرن لك ما لم أنه عنك"** يفيد ذلك ، وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسباباً أخرى فلا منافاة ؛ لأن الآية الواحدة قد يتعدد نزولها ، وفيه تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم .

***

﴿١٩﴾ باب

ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين[(١)]

وقول الله عزّ وجل : ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾[(٢)] [النساء : ١٧١] .

---

(١) قوله : "**باب ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين**" . قد أنذر صلى الله عليه وسلم أمته من الغلو ، وأبلغ في الإنذار تحذيراً عما وقع من جهلة هذه الأمة كما سيأتي ذكره .

(٢) قوله : ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ**﴾ الآية ، الغلو هو الإفراط في التعظيم بالقول والاعتقاد ، أي لا ترفعوا المخلوق عن منزلته التي أنزله الله ، والخطاب وإن كان لأهل الكتاب فهو تحذير لهذه الأمة أن يفعلوا مع نبيهم صلى الله عليه وسلم كما فعلت النصارى مع المسيح وأمه واليهود مع العزير ، وقد وقع ذلك الشرك في العبادة في هذالأمة نظماً ونثراً كما في كلام البوصيري والبرعي وغيرهما ، وفيما فعلوه من الغلو والشرك محادة لله ولكتابه ولرسوله صلى الله عليه وسلم ، فأين ما وقع فيه هؤلاء الجهلة من قول من قال للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت سيدنا وابن سيدنا وخيرنا وابن خيرنا* ، فكره ذلك النبي صلى الله عليه وسلم أشد الكراهة ؟ كما سيأتي في الكلام على هذا الحديث إن شاء الله تعالى ، وقول القائل : ما شاء الله وشئت . فقال : " **أجعلتني لله نداً ؟ بل ما شاء الله وحده**"** ، قال شيخ الإسلام : ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط فقد شابههم ، قال : وعلي رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة فأمر بأخاديد خدت لهم عند باب كندة فقذفهم فيها ، واتفق الصحابة على قتلهم ، لكن ابن عباس مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق وهو قول أكثر العلماء .

---

* سيأتي تخريجه في الباب رقم (٦٦) .

** سيأتي تخريجه في الباب رقم (٤٤) .

في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى :﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، و لم تُعبد ، حتى إذا هلك أُولئك ونُسي العلم ، عُبدت[1] .

---

[1] في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى :﴿وَقَالُوا لاَ تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلاَ تَذَرُنَّ وَدًّا وَلاَ سُوَاعًا وَلاَ يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ قال : هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسمّوها بأسمائهم ، ففعلوا ، و لم تُعبد ، حتى إذا هلك أُولئك ونُسي العلم ، عُبدت* .

قوله : "في الصحيح" أي صحيح البخاري ، وهذا الأثر اختصره المصنف رحمه الله ، والذي في البخاري عن ابن عباس : صارت الأوثان التي في قوم نوح في العرب بعد ، أما وَدّ فكانت لكلب بدومة الجندل ، وأما سواع فكانت لهذيل ، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف بالجرف عند سبأ ، وأما يعوق فكانت لهمدان وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ، أسماء رجال صالحين في قوم نوح ..الخ .

قوله "أن انصبوا" هو بكسر المهملة . قوله :"أنصاباً" جمع نصب وهي الأصنام التي صوروها على صور الصالحين . قوله "ففعلوا و لم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك ونُسي العلم عُبدت" الذي البخاري "ونسخ العلم" فلعل الذي هنا رواية فصات هذه الأصنام بهذا التصوير على صور الصالحين سلماً إلى عبادتها ، وكل ما عبد من دون الله من قبر أو مشهد أو صنم أو طاغوت فالأصل في عبادته هو الغلو فيه كما لا يخفى على ذور البصائر ، كما جرى لأهل مصر وغيرهم ، فإن أعظم آلهتهم أحمد البدوي وهو لا يعرف له أصل ولا فضل ولا علم ولا عبادة ، ومع هذا فصار أعظم آلهتهم ، مع أنه لا يعرف إلا أنه دخل المسجد يوم الجمعة فبال فيه ثم =

---

* رواه البخاري برقم (٤٩٤٠) .

وقال ابن القيم : قال غير واحد من السلف : لم ماتوا عكفوا على قبورهم ، ثم صوّروا تماثيلهم ، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم* .

= خرج و لم يصل** . ذكره السخاوي عن أبي حيان ، فزين لهم الشيطان عبادته فاعتقدوا أنه يتصرف في الكون ، ويطفئ الحريق ، وينجي الغريق ، وصرفوا له الإلهية والربوبية وعلم الغيب ، وكانوا يعتقدون أنه يسمعهم ويستجيب لهم من الديار البعيدة ، وفيهم من يسجد على عتبة حضرته ، وكان أهل العراق ومن حولهم كأهل عمان يعتقدون في عبدالقادر الجيلاني*** ، كما يعتقد أهل مصر في البدوي ، وعبدالقادر من متأخري الحنابلة وله كتاب الغنية ، وغيره ممن قبله وبعده من الحنابلة من هو أفضل منه في العلم والزهد ، لكن في زهد وعبادة ، وفتنوا به أعظم فتنة كما جرى من الرافضة مع أهل البيت ، وسبب ذلك الغلو دعوى أن له كرامات ، وقد جرت الكرامات لمن هو خير منه وأفضل كبعض الصحابة والتابعين ، وهكذا حال أهل الشرك مع من فتنوا به ، وأعظم من هذا عبادة أهل الشام لابن عربي**** ، وهو إمام أهل الوحدة الذين هم أكفر أهل الأرض ، وأكثر من يعتقد فيه هؤلاء لا فضل له ولا دين كأناس بمصر وغيرها ، وجرى في نجد قبل هذه الدعوة مثل هذا وفي الحجاز واليمن وغيرهما من عبادة الطواغيت والأشجار والأحجار والقبور ما عمت به البلوى كعبادتهم للجن وطلبهم الشفاعة منهم ، والأصل في ذلك الغلو تزيين الشيطان ، وذكر أهل السير أن التلبية من عهد إبراهيم عليه السلام "لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك" حتى كان عمرو بن لحي الخزاعي فبينما هو يلبي تمثل له الشيطان في صورة شيخ يلبي معه فقال : لبيك لا شريك لك ، =

---

* انظر : إغاثة اللهفان ، ط دار ابن زيدون ، ص٥٥٢-٥٥٣ .

** انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ٩/١٥٠ .

*** هو الشيخ عبدالقادر بن موسى الجيلاني مؤسس الطريقة القادرية ، ألفت في سيرته كتب كثيرة ، ومن كتبه "الغنية" وهومطبوع ، توفي سنة ٥٦١هـ ، انظر : الشذرات ٤/١٩٨ ، السير ٢/٤٣٩ ، النهاية ١٢/٢٧٠ .

**** هو محي الدين أبو عبدالله محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي صاحب فكر وحدة الوجود ، توفي سنة ٦٣٨هـ ، انظر : العبر ٣/٢٣٣ ، النهاية ١٣/١٦٧ ، السير ٢٣/٤٨ .

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لا تطروني كما أطرت النصاري ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولوا عبد الله ورسوله"**[1] . أخرجاه .

وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"إياكم والغلّو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلّو"**[2] .

= فقال الشيخ : إلا شريكاً هو لك . فأنكر ذلك عمرو وقال : ما هذا؟ فقال الشيخ : تملكه وما ملك . فإنه لا بأس بهذا . فقال عمرو ، فدانت بها العرب .

[1] وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لا تطروني كما أطرت النصاري ابن مريم ، إنما أنا عبد ، فقولّوا عبد الله ورسوله"*** . أخرجاه .

قوله "عن عمر" هو ابن الخطاب بن نفيل بنون وفاء مصغر العدوي أمير المؤمنين وأفضل الصحابة بعد الصديق رضي الله عنه ، ولي الخلافة عشر سنين ونصفاً فامتلأت الدنيا عدلاً ، وفتحت في أيامه ممالك كسرى وقيصر ، واستشهد في ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة . قوله **"لا تطروني"** الإطراء هو الغلو ، **"كما أطرت النصارى ابن مريم"**كما قال تعالى : **﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُوا عَلَى اللّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ﴾** [النساء : ١٧٠] .

قوله : **"إنما أنا عبد ، فقولوا : عبدا لله ورسوله"** أمرهم صلى الله عليه وسلم أن لا يتجاوزا هذا القول في الخطاب ، وقد أمر الله عباده بالصلاة والسلام عليه لأن أشرف مقامات الأنبياء العبودية الخاصة والرسالة .

[2] وقال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"إياكم والغلّو ، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلّو"**** . هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى بدون ذكر راويه ، وقد رواه =

---

* رواه البخاري برقم (٣٤٤٥) ، والدارمي برقم (٢٧٨٧) ، وأحمد برقم (١٥٤) ، ولم يروه مسلم كما ذكر .

** رواه أحمد برقم (١٨٥١) ، وابن ماجة برقم (٣٠٢٩) ، وقال صحيح على شرط مسلم ، انظر الصحيحة برقم (١٢٨٣) ، وصحيح سنن ابن ماجة برقم (٢٤٧٣) ، وظلال الجنة برقم (٩٨) .

ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**هلك المتنطعون**" قالها ثلاثاً[1] .

= الإمام أحمد والترمذي وابن ماجة من حديث ابن عباس ، وهذا لفظ رواية أحمد عن ابن عباس ، قال شيخ الإسلام : هذا عام في جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال .

[1] قوله : ولمسلم عن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**هلك المتنطعون**" قالها ثلاثاً*. قال الخطابي : المتنطع المتعمق في الشيء المتكلف في البحث عنه على مذهب أهل الكلام الداخلين فيما لا يعنيهم ، الخائضين فيما لا تبلغه عقولهم . وقال أبوالسعادات : المتعمقون الغالون في الكلام المتكلمون بأقصى حلوقهم . وقال النووي : فيه كراهة التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم .

قوله : "قالها ثلاثاً" أي قال هذه الكلمة ثلاث مرات مبالغة في التعليم والإبلاغ ، فقد بلغ البلاغ المبين صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ، ووجه مناسبة هذا الحديث للترجمة أن الغلو من التنطع والزيادة لما فيه من الخروج إلى ما يوصل الشرك بالله .

***

---

* رواه مسلم برقم (٢٦٧٠) ، وأحمد برقم (٣٦٥٥) .

﴿٢٠﴾ باب

ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده ![1]

في الصحيح عن عائشة رضي الله عنه أنّ أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور فقال : "**أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح – أو العبد الصالح – بنوا على قبره مسجداً وصوروا فيه تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله**" فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور وفتنة التماثيل[2] .

---

[1] قوله : **باب ما جاء من التغليظ فيمن عبد الله عند قبر رجل صالح فكيف إذا عبده** " فكل ما كان وسيلة إلى الشرك فهو حرام لكونه يوقع في الشرك با لله وعبادة ما سواه كما في الأحاديث .

[2] قوله : "في الصحيح عن عائشة رضي الله عنه أنّ أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور .. الحديث* . قوله " في الصحيح" أي الصحيحين . قوله "أن أم سلمة" هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشية المخزومية ، تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أبي سلمة سنة أربع – وقيل ثلاث – وكانت قد هاجرت مع أبي سلمة إلى الحبشة ، توفيت سنة اثنتين وستين . قوله "ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم " وفي الصحيحين أن أم حبيبة وأم سلمة ذكرتا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والكنيسة بفتح الكاف وكسر النون : معبد النصارى . قوله " رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور" لأن أم سلمة هاجرت مع زوجها أبي سلمة إلى الحبشة ثم رجعا إلى مكة فهاجرا منها إلى المدينة ، والحبشة دينهم النصرانية وفيهم من أسلم .

قوله "**فقال أولئك**" بكسر الكاف خطاب للمرأة . قوله "**إذا مات فيهم الرجل الصالح أو العبد الصالح** " هذا – والله أعلم – شك من الراوي . قوله "**أولئك شرار الخلق عند الله**" ولم تذكرا غير بناء المساجد والتصوير لكونه ذريعة إلى عبادة من بنوا عليه المسجد وصوروا صورته ، فبذلك صاروا شرار الخلق ، فانظر إلى ما وقع في هذه الأمة من ذرائع الشرك =

---

* رواه البخاري برقم (٤٢٧) ، ومسلم برقم (٥٢٨) .

ولهما عنهما قالت : لما نُزِل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفِق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتمّ بها كشفها ، فقال وهو كذلك : **"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** يحذّر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأُبرز قبره ، غير أنه خشي أن يُتّخذ مسجداً . أخرجاه[1] .

= والوقوع فيه مما هو أعظم من هذا ، ومع ذلك يعتقدونه ديناً وهو الشرك الذي حرمه الله ، وأرسل الرسل وأنزل الكتب بالنهي عنه . قوله "فهؤلاء جمعوا بين الفتنتين : فتنة القبور وفتنة التماثيل" ، هذا من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، لم يذكره المصنف لأن ذلك معلوم عند من يقرأ هذا الكتاب .

[1] قوله : ولهما عنها قالت : لما نُزِل برسول الله صلى الله عليه وسلم طَفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها ، فقال وهو كذلك : **"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** يحذّر ما صنعوا ، ولولا ذلك لأُبرز قبره ، غير أنه خشي أن يُتّخذ مسجداً . أخرجاه* . الخميصة : كساء له أعلام ، والشاهد للترجمة قوله صلى الله عليه وسلم : **"لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"** فلعنهم صلى الله عليه وسلم على تحري الصلاة عندها ، وإن كان المصلي إنما يصلي لله ، فمن كان يصلي عند القبور ويتخذها مساجد فهو ملعون ، لأنه ذريعة إلى عبادتها ، فكيف إذا عبد أهل القبور والغائبين بأنواع العبادة وسألهم ما لا قدرة لهم عليه ؟ وهذا هو الغاية التي يكون اتخاذ القبور مساجد ذريعة إليها ، واللعنة ليست مختصة باليهود والنصارى ، بل تعمّ من فعل فعلهم وما هو أعظم منه ، وهذا هو الذي أراده صلى الله عليه وسلم من لعنة اليهود والنصارى على هذا الفعل ، تحذيراً لأمته أن يفعلوا ما فعلته اليهود والنصارى ، فيقع بهم من اللعنة ما وقع بهم .

قوله : **"ولولا ذلك"** أي ما كان يحذر من اتخاذ قبر النبي صلى الله عليه وسلم مسجداً لأُبرز قبره مع قبور أصحابه بالبقيع .قوله : "غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً" . رُوي بفتح =

* رواه البخاري برقم (٤٣٥) ، ومسلم برقم (٥٣١) .

ولمسلم[1] عن جندب بن عبدالله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يموت بخمس وهو يقول : "**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد**

= الخاء وضمها ، فعلى الفتح يكون هو الذي خشي ذلك صلى الله عليه وسلم وأمرهم أن يدفنوه في المكان الذي قبض فيه ، وعلى رواية الضم يحتمل أن يكون الصحابة هم الذين خافوا أن يقع ذلك من بعض الأمة فلم يبرزوا قبره خشية أن يقع ذلك من بعض الأمة غلواً وتعظيماً لما أبدى وأعاد من النهي والتحذير ولعن فاعله ، قال القرطبي : ولهذا بالغ المسلمون في سد الذريعة في قبر النبي صلى الله عليه وسلم فأعلوا حيطات تربته ، وسدوا المداخل إليها وجعلوها محدقة بقبره صلى الله عليه وسلم ، ثم خافوا أن يتخذ موضع قبره قبلة إذا كان مستقبل المصلين فتصور الصلاة إليه بصورة العبادة ، فبنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا على زاوية مثلثة من ناحية الشمال حتى لا يتمكن أحد من استقبال قبره . اهـ .

قلت : فبذلك صان الله قبره وقبل دعوته بقوله : "**اللهم لا تجعل قبري وثناً يُعبد ، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**" .

[1] ولمسلم عن جندب بن عبدالله قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قبل أنيموت بخمس وهو يقول : "**إني أبرأ إلى الله أن يكون لي منكم خليل ، فإن الله قد اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً ، ولو كنت متخذاً من أمتي خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً ، وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك**"* . قوله " عن جندب بن عبدالله" أي ابن سفيان البجلي وينسب إلى جده ، صحابي مشهور مات بعد الستين ، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : أما بناء المساجد على القبور فقد صرح عامة الطوائف بالنهي عنه للأحاديث الصحيحة** ، وصرح أصحابنا وغيرهم من أصحاب مالك والشافعي بتحريمه ، قال : ولا ريب في القطع بتحريمه ، ثم ذكر =

---

* رواه مسلم برقم (٥٣٢) .

** انظر رسالة "تحذير الساجد من اتخاذ القبور مساجد " لفضيلة الشيخ الألباني .

اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليــلاً ، ولو كنــت متخــذاً مـن أمـتي خليـلاً لاتخـذت أبابكر خليلاً ، ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيــائهم مسـاجد ، ألا فـلا تتخذوا القبور مساجد ، فإني أنهاكم عن ذلك " . فقد نهى عنه فيَ آخـر حياته ثـم إنـه لعن - وهو في السياق - من فعله . والصلاة عندها من ذلك ، وإن لم يبنَ مسجد ، وهو معنى قوله "خشي أن يتخذ مسجداً" ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مســجداً ، وكل موضع قصداً الصلاة فيه فقد اتخـذ مسجــداً ، بـل كـل موضـع يصلى فيـه يسـمى مسجداً ، كما قال صلى الله عليه وسلم : "**جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً**" .

ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً : "**إن من شـرار النـاس مـن تدركهم الساعة وهـم أحيـاء ، والذيـن يتخـذون القبـور مسـاجد**" . ورواه أبوحـاتم في صحيحه[2] .

= الأحاديث في ذلك إلى أن قال : وهذا المساجد المبنية على قبور الأنبيـاء والصـالحين والملـوك وغيرهم تتعين إزالتها بهدم أو غيره ، هذا مما لا أعلم فيه خلافاً بين العلماء المعروفين* .

قوله "فقد نهى عنه في آخر حياته ، ثم إنه لعن - وهـو في السـياق - مـن فعلـه ، والصـلاة عندها من ذلك وإن لم يبن مسجد ، وهو معنى قولها خشي أن يتخذ مسجداً ، فإن الصحابة لم يكونوا ليبنوا حول قبره مسجداً ، وكل موضع قصدت الصلاة فيه فقد اتخذ مسجداً ، بـل كـل موضع يصلي فيه يسمى مسجداً كما قال صلى الله عليه وسلم : "**جُعلت لي الأرض مسـجداً وطهوراً** "** هذا ذكره شيخنا وهو من تقرير شيخ الإسلام ابن تيمية رحمهما الله تعـالى علـى هذه الأحاديث .

[2] قوله "ولأحمد بسند جيد عن ابن مسعـود رضي الله عنه مرفوعــاً : "**إن من شرار الناس** =

---

* انظر فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١/١١٩) الفتاوى الكبرى .

** رواه البخاري برقم (٣٣٥) ، ومسلم برقم (٥٢١) .

....

= **من تدركهم الساعة وهم أحياء ، والذين يتخذون القبور مساجد"** . ورواه أبوحاتم في صحيحه"* . قلت : وقد وقع هذا في الأمة كثيراً كما وقع في أهل الجاهلية قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم كما لا يخفى على ذوي البصائر ، وقد زاد هؤلاء المتأخرون من هذه الأمة على ما وقع من أهل الجاهلية من هذا الشرك بأمور : منها : أنهم يخلصون عند الاضطرار لغير الله ، وينسون الله ، ومنها : أنهم يعتقدون أن آلهتهم من الأموات يتصرفون في الكون دون الله ، وجمعوا بين نوعي الشرك في الإلهية والربوبية ، وقد سمعنا ذلك منهم مشافهة ، ومن ذلك قول ابن كمال من أهل عمان وأمثاله : إن عبدالقادر الجيلاني يسمع من دعاه ، ومع سماعه ينفع ، فزعم أنه يعلم الغيب وهو ميت ، فلقد ذهب عقل هذا وضل فكفر بما أنزله الله في كتابه كقوله : ﴿**إِنْ تَدْعُوهُمْ لاَ يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلاَ يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ**﴾ [فاطر : ١٤] فما صدقوا الخبير فيما أخبر به عن آلهتهم التي كانوا يعبدونها من دون الله ، ولا آمنوا بما أنزله الله في كتابه ، بل بالغوا وعاندوا في رده ، وكذبوا وألحدوا وكابروا المعقول والمنقول . فالله المستعان .

***

* ورواه الإمام أحمد في المسند برقم (٤١٤٣) .

(٢١) باب

ما جاء أن الغلوّ في قبور الصالحين يصيّرها أوثاناً تعبد من دون الله

روى مالك في الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"**[١] .

ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى**﴾ ، قال : كان يلُتُّ لهم السّويق فمات ، فعكفوا على قبره ، وكذا قال أبوالجوزاء عن ابن عباس : كان يلُتّ السويق للحاج[٢] .

---

[١] قوله : "**باب ما جاء أن الغلوّ في قبور الصالحين يصيّرها أوثاناً تعبد من دون الله** روى مالك في الموطأ : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد ، اشتدّ غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**"* . وذلك أنه صلى الله عليه وسلم خاف أن يقع من أمته في حقه كما وقع من اليهود والنصارى في حق أنبيائهم من عبادتهم من دون الله ، وسبب ذلك الغلو فيهم كما قال تعالى : ﴿**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ**﴾ [المائدة :٧٧] ، وكذلك رغب صلى الله عليه وسلم إلى ربه أن لا يجعل قبره وثناً يُعبد ، وقد عبدت القبور بأنواع العبادة كما لا يخفى ، وتقدم في حديث عائشة رضي الله عنها "ولولا ذلك لأبرز قبره ، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً" وقد استجاب الله دعوة نبيه صلى الله عليه وسلم وصان قبره وأحاطه بثلاثة جدران كما قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

فأجَابَ ربُّ العَالمين دُعَاءَه ... وَأَحَاطَه بثَلاثَةِ الجُدرَانِ

[٢] قوله : "ولابن جرير بسنده عن سفيان عن منصور عن مجاهد ﴿**أَفَرَأَيْتُمُ اللاَّتَ وَالْعُزَّى**﴾ [النجم :١٩] ، قال :كان يلُتُّ لهم السّويق فمات ، فعكفوا على قبره ، وكذا قال أبوالجوزاء -

---

* رواه مالك في الموطأ برقم (١٨٤) ، ط. دار الغرب الإسلامي ، وعبدالرزاق ٤٠٦/١ ، وابن أبي شيبة ٣٤٥/٣ وإسناده صحيح .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج . رواه أهل السنن[1] .

= عن ابن عباس : كان يلّت السويق للحاج "* . ابن جرير هو أبوجعفر محمد بن جرير صاحب التفسير الكبير ، وهو أجلّ التفاسير وأحسنها ، وهو من أئمة المسلمين المجتهدين وله كتاب الأحكام رحمه الله تعالى . قوله :" كان يلّت لهم السويق فمات ، فعكفوا على قبره" فيه شاهد للترجمة ، فإنهم غلوا فيه لأجل صلاحه واتخذوه وثناً بتعظيمه وعبادته وصار من أكبر أوثان أهل الجاهلية .

[1] قوله : وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسُّرُج . رواه أهل السنن** . هذا الحديث صحيح صححه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : ويكفيك في الاحتجاج به رواية أهل السنن له ، ولم يذكر أحد منهم له علة ولا معارض له .

***

---

* انظر : تفسير ابن كثير ٤/٢٥٤ ، تفسير آية النجم .

** رواه أبو داود برقم (٣٢٣٦) ، والترمذي برقم (٣٢٠) ، وابن ماجة برقم (١٥٧٥) ، والحديث صحيح بشواهده إلا الشطر الأخير ففيه ضعف .

(٢٢) باب

ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسدّه كل طريقٍ يوصل إلي الشرك[١]

وقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ﴾[٢] الآية .

عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلُّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**" . رواه أبوداود بإسنادٍ حسن ورواته ثقات[٣] .

---

[١] قوله : **باب ما جاء في حماية المصطفى صلى الله عليه وسلم جناب التوحيد وسدّه كل طريقٍ يوصل إلي الشرك** " قد تقدم فيما سلف من الأبواب قبل هذا .

[٢] قوله : وقول الله تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالمؤمِنِينَ رَءوفٌ رحِيمٌ﴾ [التوبة :١٢٨] . وجه الدلالة من الآية أنه صلى الله عليه وسلم يعز عليه كل ما يؤثم الأمة ويشق عليهم ، وأعظم ما يؤثم الأمة ويشق عليهم الشرك بالله قليله وكثيره ، ووسائله وما يقرب منه من كبائر الذنوب ، وقد بالغ صلى الله عليه وسلم في النهي عن الشرك وأسبابه أعظم مبالغة كما لا يخفى ، وقد كانت هذه حال أصحابه رضي الله عنهم في قطعهم الخيوط التي رقي للمريض فيها ونحو ذلك من تعليق التمائم .

[٣] قوله : عن أبي هريرة رضي الله عنه عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً ، وصلُّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم**" . رواه أبوداود بإسناد حسن ورواته ثقات* . قال الحافظ محمد بن عبدالهادي** : هو حديث ـ

---

* رواه أبوداود برقم (٢٠٤٠) ، وأحمد في المسند برقم (٨٧٩٠) .

** هو شمس الدين محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن عبدالحميد بن عبدالهادي المقدسي الحنبلي الحافظ الحاذق ذي الفنون ، توفي سنة ٧٢٤هـ ، انظر :

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلّوا عليّ فإن تسليمكم يبلُغني أين كنتم"** . رواه في المختارة[1] .

= حسن جيد الإسناد ، وله شواهد يرتقي بها إلى درجة الصحة ، نهاهم صلى الله عليه وسلم أن يهجروا بيوتهم عن الصلاة فيها كما تهجر القبور عن الصلاة إليها مخافة الفتنة بها وما يفضي إلى عبادتهم من دون الله ؛ لأن النهي عن ذلك قد تقرر عندهم فنهاهم أن يجعلوا بيوتهم كذلك . قوله "ولا تجعلوا قبري عيداً" فيه شاهد للترجمة ، قال شيخ الإسلام : العيد اسم لما يعود من الاجتماع على وجه معتاد عائداً إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك ، وقال ابن القيم رحمه الله : العيد ما يعتاد مجيئه وقصده من زمان ومكان ، مأخوذ من المعاودة والاعتياد ، فإذا كان اسماً للمكان فهو الذي يقصد فيه الاجتماع وانتيابه للعبادة أو لغيرها ، كما أن المسجد الحرام ومنى وعرفة والمشاعر جعلها الله أعياداً للحنفاء ومثابة ، كما جعل أيام العيد فيها عيداً ، وكان للمشركين أعياد زمانية ومكانية ، فلما جاء الله بالإسلام أبطلها وعوّض الحنفاء منها عيد الفطر وعيد النحر وأيام منى ، كما عوّضهم عن أعياد المشركين المكانية بالكعبة ومنى ومزدلفة وعرفة والمشاعر .

[1] قوله : وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه وقال : ألا أحدثكم حديثاً سمعته من أبي عن جدّي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا بيوتكم قبوراً ، وصلّوا عليّ فإن تسليمكم يبلُغني أين كنتم"***. رواه في المختارة . هذا الحديث رواه أبويعلي والقاضي إسماعيل والحافظ الضياء** في المختارة . قال شيخ الإسلام : فانظر هذه السنة كيف مخرجها =

---

* رواه البخاري في التاريخ الكبير ١٨٦/٢ ، والضياء في المختارة (٤٢٨) .

** هو الشيخ الضياء أبوعبدالله محمد بن عبدالواحد بن أحمد المقدسي الحافظ الحنبلي ، توفي سنة ٦٤٣هـ ، انظر الدول ١٤٩/٢ ، السير ١٢٦/٢٣ ، العبر ٢٤٨/٣ .

= من أهل المدينة وأهل البيت الذين لهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب النسب وقرب الدار ؛ لأنهم إلى ذلك أحوج من غيرهم فكانوا له أضبط . انتهى .

قوله : "عن علي بن الحسين" أي ابن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين رضي الله عنهم ، أفضل التابعين من أهل بيته وأعلمهم ، قال الزهري : ما رأيت قرشياً أفضل منه . مات سنة ثلاث وتسعين على الصحيح .

قوله : "أنه رأى رجلاً يجيء إلى فُرجة" بضم الفاء وسكون الراء وهي الكوّة في الجدار والخوخة ونحوهما . قوله "فيدخل فيها فيدعو ، فنهاه" وهذا يدل على النهي عن قصد القبور والمشاهد لأجل الدعاء والصلاة عندها . قال شيخ الإسلام : ما علمت أحداً رخص فيه ؛ لأن ذلك نوع من اتخاذه عيداً ، ويدل أيضاً على أن قصد القبر للسلام إذا دخل المسجد ليصلي منهي عنه ؛ لأن ذلك لم يشرع ، وكره مالك لأهل المدينة كلما دخل إنسان المسجد أن يأتي قبر النبي صلى الله عليه وسلم ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك ، قال : ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها ، وكان الصحابة والتابعون رضي الله عنهم يأتون إلى مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فيصلون ، فإذا قضوا الصلاة قعدوا وخرجوا ، ولم يكونوا يأتون القبر للسلام لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل ، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم ، بل نهاهم عنه في قوله "**لا تتخذوا قبري عيداً ، وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني**" فبيّن أن الصلاة تصل إليه من بعد وكذلك السلام ، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد ، وكانت الحجرة في زمانهم يدخل إليها من الباب لما كانت عائشة رضي الله عنها فيها وبعد ذلك إلى أن بني الحائط الأخر ، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون إليه لا لسلام ولا لصلاة ولا لدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم ولا لسؤال عن حديث أو علم ، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم وبيّن لهم الأحاديث ، وأنه قد رد عليهم السلام بصوت يسمع من خارج ، كما طمع الشيطان في غيرهم فأضلهم عند قبره وقبر غيره حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم ويحدثهم في الظاهر ، وأنه يخرج من القبر ويرونه خارجاً من =

= القبر ، ويظنون أن نفس أبدان الموتي خرجت تكلمهم ، وأن أرواح الموتى تجسدت لهم فرأوها ، والمقصود أن الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما كان يفعل من بعدهم من الخلوف .

قال سعيد بن منصور في سننه : حدثنا عبدالعزيز بن محمد أخبرني سهيل بن أبي سهيل قال : رآني الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فناداني وهو في بيت فاطمة يتعشى فقال : هلم إلى العشاء ، قلت : لا أريده ، قال : ما لي رأيتك عند القبر ؟ فقلت : سلّمت على النبي صلى الله عليه وسلم . فقال : إذا دخلت المسجد فسلّم ، ثم قال لي : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لا تتخذوا قبري عيداً ، ولا تتخذوا بيوتكم مقابر ، وصلّوا عليّ فإن صلاتكم تبغلني حينما كنتم ، لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"*** ما أنتم ومن بالأندلس سواء .

قلت : وهذا أيضاً له قرب النسب وقرب الدار فنهى عن المجيء إلى القبر للدعاء عنده ، فالمجيء إلى القبر للسلام عليه وتحري إجابة الدعاء ليس مما شرعه الله ورسوله لهذه الأمة ، ولو كان مشروعاً لما تركه الخلفاء والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان من سادات أهل البيت وأئمة التابعين ولما أنكروا على من فعله ، وقولهم هو الحجة ، وهو الذي دلت عليه الأحاديث كحديث عائشة وحديث الباب وغيرهما ، لعلم السلف بما أراده النبي صلى الله عليه وسلم بنهيه عن الغلّو وخوفه مما وقع ممن غلا في الدين واتبع غير سبيل المؤمنين كما قال تعالى : **﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾** [النساء :١١٥] ولما حدث الشرك بأرباب القبور في هذه الأمة وتعظيمها وعبادتها صارت تشد الرحال إليها لقصد دعائها والاستغاثة بها ، وبذل نفيس المال تقرباً إليها وتعظيم سدنتها ، فيا لها مصيبة ما أعظمها ، نسأل الله السلامة من هذا الشرك وما يقرب منه أو يوصل إليه .

---

* رواه سعيد بن منصور في سننه .

﴿٢٣﴾ باب[1]

ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان

وقول الله تعالى :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء :٥١] ، وقوله تعالى : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾[2] [المائدة:٦٠] .

---

[1] قوله : **باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان وقول الله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾** [النساء :٥١] الوثن يطلق على كل من قصد بنوع من أنواع العبادة من دون الله من صنم أو قبر أو غيره لقول الخليل عليه السلام ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ [العنكبوت :١٧] مع قوله : ﴿قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ﴾ [الشعراء :٧١] .

قوله : وقول الله تعالى :﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال : جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا : أنتم أهل الكتاب وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد . فقالوا : ما أنتم ومحمد ؛ فقالوا : نحن نصل الأرحام ، وننحر الكوماء ، ونسقي الماء على اللبن ، ونفك العناة ونسقي الحجيج ، ومحمد صنبور ، قطع أرحامنا ، واتبعه سرّاق الحجيج من غفار ، فنحن خير أم هو؟ فقالوا : أنتم خيرٌ وأهدى سبيلاً ، فأنزل الله تعالى : :﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ - إلى قوله - هَؤُلَاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً﴾* .

[2] قوله : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ قال البغوي في تفسيره : ﴿قُلْ﴾ يا محمد ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ﴾ أخبركم ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ﴾ يعني قولهم : لم نر أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم ، ولا ديناً شراً من دينكم ، فذكر الجواب بلفظ الابتداء كقوله : ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ =

---

* انظر تفسير ابن كثير ١/٥١٣-٥١٤ .

وقوله : ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف :٢١] .

عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه**" ، قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : "**فمن؟**" أخرجاه[1] .

= ﴿بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ النَّار﴾ ، وقوله ﴿مَثُوبَةً﴾ ثواباً وجزاء نصب على التفسير ، ﴿عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ﴾ فالقردة أصحاب السبت ، والخنازير كفار مائدة عيسى ، وعن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أن المسخين كلاهما من أصحاب السبت ، فشبابهم مسخوا قردة ، ومشايخهم مسخوا خنازير ، ﴿وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ﴾ أي وجعل منهم من عبد الطاغوت أي أطاع الشيطان فيما سول له ، وفيه تفسير الطبري : قرأ حمزة ﴿وعُبد الطاغوتِ﴾ وقرأ ابن عباس وابن مسعود وإبراهيم النخعي والأعمش وأبان بن تغلب وعبد الطاغوت بضم العين والباء وفتح الدال وخفض التاء . قوله : ﴿أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا﴾ مما تظنون بنا ، ﴿وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس في الطرف الآخر مشارك كقوله : ﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلاً﴾ قاله ابن كثير .

[1] قوله : عن أبي سعيد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لتتبعنّ سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذّة ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه**" قالوا : يا رسول الله ، اليهود والنصارى ؟ قال : "**فمن؟**" أخرجاه* . وهذا سياق مسلم ، فبيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذ الحديث أن كل ما وقع من أهل الكتاب مما ذمهم الله به في هذه الآيات وغيرها لابد أن يقع جميعه في هذه الأمة وهو الشاهد للترجمة .

قوله : "**سَنَن**" بفتح المهملة أي طريق من كان قبلكم . قوله : "**حَذو القُذّة**" بنصب حذو على المصدر ، والقذّة بضم القاف واحدة القذذ وهو ريش السهم ، أي لتتبعن طريقهم في كل ما فعلوه وتشبهوهم في ذلك كما تشبه قذة السهم القذة الأخرى ، فوقع كما أخبر صلى الله =

* رواه البخاري برقم (٣٤٥٦) ، ومسلم برقم (٢٦٦٩) .

ولمسلم عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامّة ، وأن لا يسلّط عليهم من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد ، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُردّ ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة ، وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً**"[1] .

= عليه وسلم . قال سفيان بن عيينة* : من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى . انتهى .

[1] قوله : عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها ، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زُوي لي منها ، وأعطيت الكنزين : الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامّة ، وأن لا يسلّط عليهم من سوى أنفسهم ، فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد ، إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُردّ ، وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكها بسنة بعامة ، وأن لا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها ، حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً**"** .

ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد : "**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون ،** =

---

* هو أبومحمد سفيان بن عيينة بن أبي عمران الهلالي ، حافظ ثقة إمام فقيه إلا أنه تغير حفظه في آخره ، وكان ربما دلّس عن الثقات ، توفي سنة ١٩٨هـ ، انظر : التقريب ٣١٢/١ ، الشذرات ٣٥٤/١ ، النهاية ٢٥٥/١ .

** رواه مسلم برقم (٢٨٨٩) .

= **كلهم يزعم أنه نبيّ ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبيّ بعدي ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى"*** . هذا الحديث رواه أبوداود في سننه ، وابن ماجة بالزيادة التي ذكرها المصنف رحمه الله تعالى ، قوله : "عن ثوبان" هومولى النبي صلى الله عليه وسلم ولازمه ونزل بعده الشام ومات بحمص سنة أربع وخمسين، قوله : **"زوى لي الأرض"** قال التوربشتي : زويت الشيء جمعته وقبضته ، يريد تقريب البعيد منها حتى اطلع عليه اطلاعه على القريب صلى الله عليه وسلم ، وحاصله أنه طوى له الأرض وجعلها مجموعة كهيئة كف في مرآة ينظر إليها ، قال الطيبي : جمعها لي حتى أبصرت ما تملكه أمتي من أقصى المشارق والمغارب منها . قوله **"وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها"** قال القرطبي** : هذا الخبر وجده مخبره كما قال ، وكان ذلك من دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن ملك أمته اتسع إلى أن بلغ أقصى طنجة بالنون والجيم الذي هو منتهى عمارة المغرب ، إلى أقصى المشرق مما وراء خراسان والنهر وكثير من بلاد الهند والسند والصغد ، ولم يتسع ذلك الاتساع من جهة الجنوب والشمال ، ولذلك لم يذكر عليه السلام أنه أريه ولا أخبر أن ملك أمته يبلغه ، قوله : **"زوى لي منها"** يحتمل أن يكون مبنياً للفاعل للفاعل وأن يكون مبنياً للمفعول . قوله **"وأعطيت الكنزين الأحمر والأبيض"** قال القرطبي : يعني بهما كنز كسرى وهو ملك الفرس وكنز قيصر وهو ملك الروم وقصورهما وبلادهما ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :**"والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله"** وعبر بالأحمر عن كنز قيصر لأن الغالب عندهم كان الذهب ، وبالأبيض عن كنز كسرى لأن الغالب عندهم كان الجوهر والفضة ، ووجد ذلك في خلافة عمر ، قوله **"وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة بعامة"** هكذا ثبت في أصل المصنف بالباء وهي رواية صحيحة في صحيح مسلم ، وفي بعضها بحذفها ، قال القرطبي : وكأنها زائدة لأن عامة صفة السنة ، والسنة الجدب الذي -

---

* رواه البرقاني في صحيحه .

** هو أبوالعباس القرطبي أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري من الأئمة ، توفي سنة العبر ٢٧٨/٣ ، الشذرات ٢٧٣/٥ .

= يكون به الهلاك العام . قوله " **من سوى أنفسهم**" أي من غيرهم من الكفار من إهلاك بعضهم بعضاً وسبي بعضهم بعضاً كما هو مبسوط في التاريخ . قوله "**فيستبيح بيضتهم**" قال الجوهري* : بيضة كل شيء حوزته ، وبيضة القوم ساحتهم ، وعلى هذا فيكون معنى الحديث أن الله لا يسلط العدو على كافة المسلمين حتى يستبيح جميع ما حازوه من البلاد والأرض ، ولو اجتمع عليهم من بأقطار الأرض وهي جوانبها ، وقيل بيضتهم معظمهم وجماعتهم وإن قلوا قوله "**حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ، ويسبي بعضهم بعضاً**" الظاهر أن "**حتى**" هنا لانتهاء الغاية ، أي أن أمر أمته ينتهي إلى أن يكون بعضهم يهلك بعضاً . قوله "**وإن ربي قال : يا محمد ، إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُرد**" هذا كما في الحديث "**ولا راد لما قضيت**" . قوله "ورواه البرقاني في صحيحه" هو الحافظ أبوبكر أحمد بن محمد بن غالب الخوارزمي الشافعي ، ولد سنة ستة وثلاثين وثلاثمائة ، ومات سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، قال الخطيب : كان ثبتاً ورعاً لم نر في شيوخنا أثبت منه ، عارفاً بالفقه كثير التصانيف ، صنف مسنداً ضمنه ما اشتمل عليه الصحيحان ، وجمع حديث الثوري وحديث شعبة وطائفة .

قوله "**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين**" أي الأمراء والعلماء والعباد فيحكمون فيهم بغير علم فيضلونهم كما قال تعالى : ﴿**وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ**﴾[الأنعام :١١٩] ، وقال : ﴿**وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ**﴾[الصافات :٧١] وأمثال هذه الآيات كثيرة في القرآن ، وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الإسلام ؟ قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين . رواه الدارمي** .

قوله "**وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة**" وقد وقع ذلك ، وما زالت الأمة كذلك ، نسأل الله العفو والعافية في الدنيا والآخرة ، وفيها ما هو حق كقتال أهل التوحيد =

* هو أبو نصر الجوهري إسماعيل بن حماد التركي اللغوي ، توفي سنة ٣٩٣هـ ، انظر : السير ١٧/٨٠ ، العبر ٢/١٨٤ ، لسان الميزان ١/٤٠٠ .

** رواه الدارمي برقم (٢١٨) ، وإسناده ضعيف .

= لأهل الشرك وجهادهم على تركهم الشرك ، وقد منّ الله بذلك على من أقامهم في آخر هذا الزمان بالدعوة إلى توحيده ، لكن أهل الشرك بدأوهم بالقتال وأظهرهم الله عليهم كما لا يخفى على من تدبر آيات هذا الدين في هذه الأزمنة .

قوله **"ولا تقوم الساعة حتى يلحق حي من أمتي بالمشركين"** الحي واحد الأحياء وهي القبائل ، وفي رواية أبي داود **"حتى يلحق قبائل من أمتي بالمشركين"** ، وكم وكم .

قوله **"وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان"** والفئام مهموز : الجماعات الكثيرة قاله أبوالسعادات . وهذا هو شاهد الترجمة ، وقد استحكمت الفتنة بعبادة الأوثان حتى إنه لا يعرف أحد في هذه القرون المتأخرة أنكر ما وقع من ذلك ، حتى أقام الله شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى الذي أنكره ونهى عنه ودعا الناس إلى تركه ، وإلى أن يعبدوا الله وحده لا شريك له في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته فرماه الملوك وأتباعهم بقوس العداوة ، فأظهره الله بالحجة وأعز أنصاره على من ناوأهم ، وبلغت دعوته مشارق الأرض ومغاربها ، ولكن من الناس من عرف ومنهم من أنكر ، فانتفع بدعوته الكثير من أهل نجد والحجاز وعمان وغيرهم ، فلله الحمد على هذه النعمة العظيمة جعلنا الله لها شاكرين ذاكرين .

قوله **"وأنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي"** قال القرطبي : قد جاء عددهم معيناً فى حديث حذيفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم **" يكون فى أمتى كذابون دجالون سبع وعشرون منهم أربع نسوة "*** . أخرجه أبو نعيم وقال : هذا حديث غريب ، وحديث ثوبان أصح من هذا . قال القاضي عياض : عدّ من تنبأ من زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الآن ممن اشتهر بذلك وعرف واتبعه جماعة على ضلالته فوجد هذا العدد فيهم ، ومن طالع كتب الأخبار والتاريخ عرف صحة هذا ، وآخر الدجال الأكبر .

قوله **"وأنا خاتم النبيين لا نبي بعدي"** . قال الحسن : الختم الذي ختم به ، يعني أنه آخر النبيين كما قال تعالى **﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾** [الأحزاب : ٤٠] ، وإنما ينزل عيسى عليه السلام في آخر الزمان حاكماً بشريعة محمد -

---

* رواه أحمد برقم (٢٣٧٥٠) ، وانظر مجمع الزوائد ٣٣٢/٧ ، والطبراني في "الكبير والأوسط" وإسناده صحيح .

ورواه البرقاني في صحيحه ، وزاد : "**وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وقع عليهم السيف لم يرفع إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق حيٌّ من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد فئام من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذّابون ثلاثون ، كلهم يزعم أنه نبيّ ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبيّ بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم ، حتى يأتي أمر الله تبارك وتعالى**"[1] .

= صلى الله عليه وسلم مصلياً إلى قبلته فهو كآحاد أمته ، بل هو أفضل هذه الأمة .

(1) قوله "**ولا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة ، لا يضرهم من خذلهم لا من خالفهم**" قال النووي : يجوز أن تكون الطائفة جماعة متعددة من أنواع المؤمنين ما بين شجاع وبصير بالحرب ، وفقيه ومحدث ومفسر ، وقائم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وزاهد وعابد ، ولا يلزم أن يكونوا مجتمعين في بلد واحد ، بل يجوز اجتماعهم في قطر واحد وافتراقهم في أقطار الأرض ، ويجوز أن يجتمعوا في بلد واحد ، وأن يكونوا في بعض دون بعض منه ، ويجوز إخلاء الأرض منهم أولاً فأولاً إلى أن لا يبقى إلا فرقة واحدة ببلد واحد ، فإذا انقرضوا جاء أمر الله* . انتهى ملخصاً مع زيادة فيه قاله الحافظ .

قال المصنف : وفيه الآية العظيمة أنهم مع قلتهم لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم ، والبشارة بأن الحق لا يزول بالكلية .

قوله "**حتى يأتي أمر الله**" الظاهر أن المراد به ما روي من قبض من بقي من المؤمنين بالريح الطيبة ووقوع الآيات العظام ، ثم لا يبقى إلا شرار الناس . وقوله "**تبارك وتعالى**" . قال ابن القيم : البركة نوعان **أحدهما** : بركة هي فعله والفعل منها بارك ، ويتعدى بنفسه تارة وبأداة على تارة ، وبأداة في تارة ، والمفعول منها مبارك ، وهو ما جعل كذلك فكان مباركاً بجعله تعالى . **والنوع الثاني** : بركة تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة ، والفعل منها تبارك ، ولهذا لا يقال لغيره ذلك ، ولا يصح إلا له عز وجل ، فهو سبحانه المتبارك وعبده ورسوله المبارك ، =

---

* انظر شرح مسلم للنووي في شرح حديث الباب .

....

- وأما صفة تبارك فمختصة به كما أطلقها على نفسه في قوله ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ - ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[الملك :١] ، أفلا تراها كيف اطردت في القرآن جارية عليه مختصة به لا تطلق على غيره ، وجاءت على بناء السعة والمبالغة كتعالى وتعاظم ونحوهما ، فجاء بناء تبارك على بناء تعالى الذي هو دال على كمال العلو ونهايته ، فكذلك تبارك دال على كمال بركته وعظمتها وسعتها ، وهذا معنى قول من قال من السلف تبارك : تعاظم ، وقال ابن عباس : جاء بكل بركة .

***

(٢٤) باب

ما جاء في السحر[1]

وقول الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلاَقٍ﴾ [البقرة :١٠٢] ، وقوله : ﴿يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ [النساء :٥١] .

قال عمر : الجبت : السحر[2] ، والطاغوت : الشيطان .

---

[1] قوله "**باب ما جاء في السحر**" أي والكهانة . السحر في اللغة عبارة عما خفي ولطف سببه ، ولهذا جاء في الحديث "**إن من البيان لسحراً**" ، وهذا من التشبيه البليغ ، شبهه بالسحر لكونه بالبيان يحصل منه ما يحصل من السحر ، قال أبومحمد المقدسي في الكافي : السحر عزائم ورقى ، ومنها ما يؤثر في القلوب والأبدان فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه ، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ [البقرة :١٠٢] ، وقال : ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ [الفلق :٤] يعني السواحر اللاتي ينفثن في سحرهن ، ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر بالاستعاذة منه ، واختلفوا : هل يكفر الساحر أو لا ؟ فذهب طائفة من السلف إلى أنه يكفر ، وبه قال مالك وأبوحنيفة وأحمد ، قال أصحابه : إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي وشيء يضر فلا يكفر ، ومما دلّ على أنه كفر قوله تعالى : ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولاَ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلاَ تَكْفُرْ﴾ [البقرة :١٠٢] .

[2] وقال عمر في قوله تعالى :﴿ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ﴾ الجبت : السحر ، والطاغوت : الشيطان . وتقدم كلام العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى في حدّ الطاغوت وأن له أفراداً منها عبادة غير الله ، فالمعبود طاغوت كما دلّت عليه الآيات ، ومنهم الكهان ، ومن يحكم بغير الحق ، أو يأمر بما يخالف الحق ، أو يرضى به وغير ذلك .

قوله "الطواغيت كهان" أراد أن الكهان من الطواغيت . قوله "كان ينزل عليهم الشيطان" . أراد الجنس لا الشيطان الذي هو إبليس خاصة ، بل تنزل عليهم الشياطين ويخاطبونهم ويخبرونهم بما يسترقونه من السمع فيصدقون مرة ، ويكذبون مائة .

وقال جابر : الطواغيت كهان كان ينزل عليهم الشيطان ، في كل حيّ واحد .

عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"اجتنبوا السبع الموبقات"** قالوا : يا رسول الله ، وما هنّ؟ ، قال : **"الشرك بالله ، والسّحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ، وأكل الرّبا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّي يوم الزّحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"**[1] .

---

[1] قوله : عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"اجتنبوا السبع الموبقات"** قالوا : يا رسول الله ، وما هنّ؟ ، قال : **"الشرك بالله ، والسّحر ، وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحقّ ، وأكل الرّبا ، وأكل مال اليتيم ، والتولّي يوم الزّحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات"*** هكذا أورده المصنف رحمه الله تعالى غير معزو ، وقد رواه البخاري ومسلم . **"اجتنبوا"** أي ابعدوا ، وهو أبلغ من قوله دعو أو اتركوا ، لأن النهي عن القربان أبلغ كقوله تعالى : ﴿**وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾[الأنعام :١٥١] . قوله **"الموبقات"** بموحدة وقاف أي المهلكات ، وسميت هذه موبقات لأنها تهلك فاعلها في الدنيا بما يترتب عليها من العقوبات ، وفي الآخرة في العذاب .

وفي حديث ابن عمر عند البخاري في الأدب المفرد مرفوعاً قال : **"الكبائر تسع"** ، وذكر السبعة المذكورة " **والإلحاد في الحرم ، وعقوق الوالدين"**** . قوله " **قال الشرك بالله"** هو أن يجعل لله نداً يدعوه كما يدعو الله ويرجوه كما يرجو الله ، قال العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى :

والشِّركَ فاحذره فَشركٌ ظاهرٌ ... ذا القسمِ ليسَ بقابلِ الغُفرانِ
وهو اتخاذِ النِّد للرحمنِ أيّا ... كَان من حَجرٍ ومن إنسانِ
يدعُوه أو يرجُوه ثم يخافُه ... ويحبُّه كمحبةِ الديّانِ

وبدأ به لأنه أعظم ذنب عُصي الله به كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ** =

---

* رواه البخاري برقم (٢٧٦٦ ، ومسلم برقم (٨٩) .

** رواه أبوداود برقم (٢٨٧٥) عن عمير بن قتادة الليثي وإسناده حسن ، انظر صحيح سنن أبي داود للألباني برقم (٢٨٧٥) .

= عَظِيمٌ﴾ [لقمان :١٣] . قوله : "والسحر" . تقدم تعريفه . قوله "وقتل النفس التي حرّم الله إلا بالحق" أي نفس المسلم المعصوم ، وقتل المعاهد كما في الحديث "من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة"* ، وذهب ابن عباس وأبوهريرة إلى أنه لا توبة لمن قتل مؤمناً متعمداً ، وذهب جمهو الأمة سلفاً وخلفاً إلى أن القاتل له توبة فيما بينه وبين الله ، فإن تاب وأناب وعمل صالحاً بدل الله سيئاته حسنات ، كما قال تعالى :﴿ وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا * - إلى قوله - إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان :٦٨٧٠] . قوله "وأكل الربا" أي تناوله بأي وجه كما قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة :٢٧٥] الآيات ، قال ابن دقيق العيد** : وهو مجرب لسوء الخاتمة نعوذ بالله من ذلك قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٣٠] ، وفي الحديث"الربا نيف وسبعون حوباً ، أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه"***.

قوله " وأكل مال اليتيم" يعني التعدي فيه ، وعبر بالأكل لأنه أعمّ وجوه الانتفاع كما قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾ [النساء :١٠] . قوله "والتولّي يوم الزحف" أي الإدبار عن الكفار وقت التحام القتال ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلاَّ مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [الأنفال :١٦] . =

* رواه البخاري برقم (٣١٦٦) عن ابن عمر .

** هو تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن دقيق العيد القشيري المنفلوطي ، صاحب "الإلمام" و"شرح العمدة" ، توفي سنة ٧٠٢هـ ، انظر : الدرر الكامنة ٢١٠/٤ ، الشذرات ٥/٦ ، ذيول العبر ٦/٤ .

*** رواه ابن ماجة برقم (٢٣٠٤) عن أبي هريرة وإسناده صحيح ، انظر صحيح سنن ابن ماجة برقم (١٨٥٨) ، وضعيف الجامع برقم (٣٥٤١) .

وعن جندب مرفوعاً : "حدُّ الساحر ضربةٌ بالسيف" . رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف[1] .

وفي صحيح البخاري عن بجالةبن عبدة قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . قال : فقتلنا ثلاث سواحر[2] .

- قوله "وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" هو بفتح الصاد المحفوظات من الزنا ، وبكسرها الحافظات فروجهن منه ، والمراد الحرائر العفيفات ، قال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾الآية [النور :٢٣] .

[1] قوله : وعن جندب مرفوعاً : "حدُّ الساحر ضربةٌ بالسيف" . رواه الترمذي وقال : الصحيح أنه موقوف* . قوله "عن جندب" رواه الطبراني في ترجمة جندب بن عبدالله البجلي قال الحافظ : والصواب أنه غيره ، وقد رواه ابن قانع والحسن بن سفيان من وجهين عن الحسن عن جندب الخير أنه جاء إلى ساحر فضربه بالسيف حتى مات ، وقال سمعت : رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : فذكره .

قوله "حد الساحر ضربة بالسيف" روي بالهاء وبالتاء وكلاهما صحيح ، وبهذا الحديث أخذ أحمد ومالك وأبوحنيفة فقالوا : يقتل الساحر ، وروي ذلك عن عمر وعثمان وابن عمر وحفصة وجندب بن عبدالله وجندب بن كعب وقيس بن سعد وعمر بن عبدالعزيز ، ولم ير الشافعي عليه القتل بمجرد السحر إلا إن عمل في سحر ما يبلغ الكفر به ، قال ابن المنذر : هو رواية عن أحمد ، والأول أولى للحديث ولأثر عمر ، وعمل به الناس في خلافته من غير نكير .

[2] قوله "في صحيح البخاري عن بجالة بن عبدة قال : كتب عمر أن اقتلوا كل ساحر وساحرة ، فقتلنا ثلاث سواحر** . هذا الأثر رواه البخاري كما قال المصنف ، لكن لم يذكر قتل السواحر . قوله "عن بجالة" بفتح الباء الموحدة بعدها جيم " ابن عبدة" بفتحتين التميمي =

---

* رواه الترمذي (١٤٦٠) عن جندب وإسناد ضعيف ، انظر السلسلة الضعيفة برقم (١٤٤٦) وضعيف الجامع برقم (٢٦٩٩) وضعيف سنن الترمذي برقم (٢٤٤) .

** رواه البخاري برقم (٣١٥٦) ولم يذكر قتل السواحر ، ورواه أحمد باللفظ المذكور أعلاه برقم (١٦٥٧) .

وصحّ عن حفصة رضي الله عنه أنها أمـرت بقتـل جارية لها سـحرتها ، فقُتلـت[1] ، وكـذلك صحّ عن جندب . قال أحمـد : عـن ثلاثـة مـن أصحـاب النبي صلـى الله عليـه وسلم[2] .

= العنبري ، بصري ثقة . قوله :كتب عمر بن الخطاب أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . وظاهره أنه يقتل من غير استتابة ، وهو كذلك على المشهور عـن أحمـد ، وبه قـال مـالك ؛ لأن علمـا لسحـر لا يزول بالتوبـة ، وعن أحمـد يستتاب فإن تاب قبلت توبتـه ، وبـه قـال الشـافعي ، لأن ذنبه لا يزيد على الشرك والمشرك يستتاب وتقبل توبته ، ولذلك صح إيمـان سـحرة فرعـون وتوبتهم .

[1] قوله :" وصحّ عن حفصة رضي الله عنه أنها أمرت بقتل جارية لها سـحرتها ، فقُتلـت* . هذا الأثر رواه مالك في الموطأ ، وحفصة هي أم المؤمنين بنت عمر بن الخطاب ، تزوجهـا النبي صلى الله عليه وسلم بعد خنيس بن حذافة وماتت سنة خمس وأربعين .

[2] قوله : "وكـذلك صحّ عن جندب" أشار المصنف بهذا إلى قتل السـاحر . رواه البخـاري في تاريخه عن أبي عثمان النهدي قال : كان عند الوليد رجل يلعـب ، فذبـح إنسـاناً وأبـان رأسـه فعجبنا ، فأعاد رأسه ، فجاء جندب الأزدي فقتلـه . ورواه البيهقـي في الدلائـل مطـولاً وفيـه : فأمر به الوليد فسجن ، فذكر القصة بتمامها ولها طرق كثيرة . قوله "قـال أحمـد : عـن ثلاثـة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم". أحمد هو الإمام أحمد بن حنبل ، أي صح قتل السـاحر عن ثلاثة .

***

* رواه مالك في الموطأ برقم (٣٠٢) وإسناده منقطع .

﴿٢٥﴾ باب[1]

بيان شي من أنواع السحر

قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن حيّان بن العـلاء ، حدثنا قَطَن

---

[1] قوله : **باب بيان شي من أنواع السحر** ، قال أحمد : حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا عوف ، عن حيّان بن العلاء ، حدثنا قَطَن بن قبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إن العِيافة والطَّرق والطيرة من الجبت**" . قال عوف : العيافة : زجر الطير ، والطَّرق : الخطّ يخطُ بالأرض ، والجبت قال الحسن : رنّة الشيطان . ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه* . قوله " المسند منه" لم يذكروا قول عوف . قوله "قال أحمد" هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل . ومحمد بن جعفر هو المشهور بغندر الهذلي البصري ثقة مشهور مات سنة ست ومائتين . وعوف هو ابن أبي جميلة بفتح الجيم العبدي البصري المعروف بعوف الأعرابي ثقة ، مات سنة ست – أو سبع – وأربعين وله ست وثمانون سنة ، وحيان بن العلاء بالتحتية يقال حيان بن مخارق أبوالعلاء البصري مقبول ، وقطن بفتحتين أبو سهلة البصري صدوق . قوله "عن أبيه" هو قبيصة بفتح أوله ابن مخارق بضم الميم أبو عبدا لله الهلالي صحابي نزل البصرة . قوله "**إن العِيافَة والطَّرق والطِّيرة من الجبت**" قال عوف : العيافة زجر الطير ، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها ، وهو من عادة العرب وكثير في أشعارهم ، ويقال عاف يعيف إذا زجر وحدس وظن . قوله "والطرق الخط يخط بالأرض " هكذا فسره عوف وهو كذلك ، قال أبوالسعادات : هو الضرب بالحصي الذي يفعله النساء . قوله "من الجبت" السحر . قوله "قال الحسن : رنة الشيطان" . قلت : ذكر إبراهيم بن محمد ابن مفلح أن في تفسير بقي بن مخلد : إن إبليس رن أربع رنات : رنة حين لعن ، ورنة حين أهبط ، ورنة حين ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورنة حين أنزلت فاتحة الكتاب . وروى الحافظ الضياء في المختارة الرنين : الصوت ، وقد رنّ يرن رنيناً ، وبهذا يظهر معنى قول الحسن رضي الله عنه .

ابن قبيصة ، عن أبيه ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"إن العِيافَة والطَّرق والطيرة من الجبت"** . قال عوف : العيافة : زجر الطير ، والطَّرق : الخطّ يخطُ بالأرض ، والجبت قال الحسن : رنّة الشيطان . إسناده جيد . ولأبي داود والنسائي وابن حبان في صحيحه المسند منه .

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد"** رواه أبوداود وإسناده صحيح[1] .

وللنسائي من حديث أبي هريرة " **من عقد عُقدة ثم نَفَث فيها فقد سَحَر ، ومن سَحَر فقد أشرك ، ومن تعلّق شيئاً وُكل إليه**"[2] .

---

[1] قوله :وعن ابن عباس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :**"من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر ، زاد ما زاد"** رواه أبوداود بإسناد صحيح*. وكذا صححه النووي والذهبي ، ورواه أحمد وابن ماجة . قوله **"من اقتبس"** قال أبوالسعادات : قبست العلم واقتبست إذا علمته . انتهى . قوله "شعبة" أي طائفة من علم النجوم ، والشعبة : الطائفة ، ومنه الحديث **"الحياء شعبة من الإيمان"**** أي جزء منه . قوله **"فقد اقتبس شعبة من السحر"** المحرم تعليمه ، قال شيخ الإسلام : فقد صرح رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن علم النجوم من السحر ، وقد قال تعالى : ﴿**وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**﴾ [طه :٦٩] .

قوله " زاد ما زاد " أي كلما زاد من تعلم النجوم زاد في السحر وفي الإثم الحاصل بزيادة الاقتباس من شعبه ، فإن ما يعتقدونه في النجوم من التأثير باطل ، كما أن تأثير السحر باطل . والله أعلم .

[2] قوله : وللنسائي من حديث أبي هريرة " **من عقد عُقدة ثم نَفَث فيها فقد سحر ،** =

---

* رواه أحمد برقم (٢٨٤١) ، وأبوداود برقم (٣٩٠٥) وإسناد حسن ، انظر الصحيحة برقم (٧٩٣) وصحيح سنن أبي داود برقم (٣٩٠٥) .

** رواه البخاري برقم (٢٦٠٦) .

وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **ألا هل أنبئكم ما العضْهُ؟ هي النميمة ، القالة بين الناس**" . رواه مسلم[1] .

= **ومن سَحَر فقد أشرك ، ومن تعلّق شيئاً وُكل إليه**"* . هذا الحديث ذكره المصنف رحمه الله تعالى من حديث أبي هريرة وعزاه للنسائي ، وقد رواه النسائي مرفوعاً وحسنه ابن مفلح . قوله "وللنسائي" هو الإمام الحافظ أحمد بن شعيب بن علي بن سنان بحر بن دينار أبوعبدالرحمن ، صاحب السنن الكبرى والمجتبى وغيرهما ، روى عن محمد بن المثنى وابن بشار وقتيبة وخلق ، وكان إليه المنتهى في العلم بعلل الحديث ، مات سنة ثلاث وثلاثمائة وله ثمانون سنة . قوله "**من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر**" قال تعالى :﴿ **وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ**﴾ [الفلق :٤] يعني السواحر اللاتي يفعلن ذلك ، والنفث هو النفخ مع ريق وهو دون التفل . قوله "**ومن تعلق شيئاً وكل إليه**" أي من علق قلبه بشيء يرجوه ويخافه وكله الله إلى ذلك الشيء ومن قصر تعلقه على الله وحده كفاه ووقاه ، كما قال تعالى : ﴿**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ**﴾ [الطلاق :٣] ، وقال تعالى :﴿ **وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ**﴾ [المائدة :٢٣] ، ومن تعلّق قلبه بغير الله في رجاء نفع أو دفع ضر فقد أشرك .

[1] وقوله : وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **ألا هل أنبئكم ما العضْهُ؟ هي النميمة ، القالة بين الناس**" . رواه مسلم** . قوله "**ألا أنبئكم ما العضْهُ؟**" فتح المهملة وسكون المعجمة ثم فسرها بقوله "**هي النميمة ، القالة بين الناس**" فأطلق عليها العضه لأن النمام يعمل عمل الساحر .

وذكر ابن عبدالبر عن يحي بن أبي كثير قال : يفسد النمام والكذاب في ساعة ما لا يفسده الساحر في سنة ، وقال أبوالخطاب في عيون المسائل : ومن السحر السعي بالنميمة والإفساد بين الناس ، قال ابن حزم : واتفقوا على تحريم الغيبة والنميمة في غير النصيحة الواجبة ، وفيه =

---

* رواه النسائي برقم (٤٠٩٠) عن أبي هريرة وإسناد ضعيف ، انظر سنن النسائي برقم (٤٠٩٠) ، والتعليق على الترغيب ٤/٥١ ، ولكن الشطر الأخير منه ثبت في حديث آخر ، وقد تقدم معنا تخريجه .

** رواه مسلم برقم (٢٦٠٦) .

ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إنّ من البيان لسحراً**"[1] .

- دليل على أنها من الكبائر . قوله "**القالة بين الناس**" ومن الحديث " **ففشت القالة بين الناس**" أي كثرة القول وإيقاع الخصومة .

[1] قوله : ولهما عن ابن عمر رضي الله عنهما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إنّ من البيان لسحراً**"* . البيان الفصاحة والبلاغة ، قال ابن عبدالبر تأوله طائفة على الذم ؛ لأن السحر مذموم ، وذهب أكثر أهل العلم وجماعة أهل الأدب إلى أنه على المدح ، لأن الله تعالى مدح البيان** ، قال وقال عمر بن عبدالعزيز رحمه الله تعالى لرجل سأله عن حاجة فأحسن المسألة فأعجبه قوله : هذا والله السحر الحلال . انتهى . والأول أصح ، والمراد به البيان الذي فيه تمويه على السامع وتلبيس ، كما قال بعضهم :

في زُخرُفِ القَولِ تزيينٌ لبَاطِلِهِ   والحقُّ قَد يَعترِيهِ سُوءُ تَعبِيرُ

مأخوذ من قول الآخر :

تَقُولُ هذا مُجَاجُ النّحلِ تمدَحُهُ   وإنْ تَشأ قلتَ ذا قَيء الزَّنَابيرُ

مَدْحاً وَذَمّاً ومَا جَاوزتَ وَصْفَهمَا   والحقُّ قَدْ يَعتَرِيهِ سُوءُ تَعْبِيرُ

قوله "**إن من البيان لسحراً**" هذا من التشبيه البليغ لكون ذلك يعمل على السحر ، فيجعل الحق في قالب الباطل والباطل في قالب الحق ، فيستميل به قلوب الجهال حتى يقبل الباطل وينكر الحق . وأما البيان الذي يوضح الحق ويقرره ، ويبطل الباطل ويبيّنه فهذا هو الممدوح ، وهكذا حال الرسل وأتباعهم ، ولهذا علت مراتبهم في الفضائل وعظمت حسناتهم .

***

---

* رواه البخاري برقم (٥١٤٦) ، وأبوداود برقم (٥٠٠٧) .

** والبيان غير الفلسفة ، فتنبه .

﴿٢٦﴾ باب
ما جاء في الكهان ونحوهم[(١)]

روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **"من أتى عرّافاً فسأله عن شيءٍ فصدّقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً "**[(٢)] .

---

(١) قوله **"ما جاء في الكهان ونحوهم"** . الكاهن : هو الذي يأخذ عن مسترق السمع ، وكانوا قبل المبعث كثيراً ، وأما بعد المبعث فإنهم قلوا ، لأن الله حرس السماء بالشهب ، وأكثر ما يقع في هذه الأمة ما يخبر به الجن مواليهم من الإنس عن الأشياء الغائبة مما يقع في الأرض من الأخبار فيظنه الجاهل كشفاً وكرامة ، وقد اغتر بذلك كثير من الناس يظنون ذلك المخبر لهم عن الجن ولياً لله وهو من أولياء الشياطين ، كما قال تعالى : **﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللهُ﴾**الآية [الأنعام :١٢٨] .

(٢) روى مسلم في صحيحه عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : **"من أتى عرّافاً فسأله عن شيءٍ فصدّقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً"***

قوله " عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم" هي حفصة ، ذكره أبومسعود الثقفي ؛ لأنه ذكر هذا الحديث في الأطراف في مسندها ، قال البغوي : العراف الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسروق ومكان الضالة ونحو ذلك ، وقيل هو الكاهن ، والكاهن هو الذي يخبر عن المغيبات في المستقبل ، وقيل الذي يخبر عما في الضمير ، وقال شيخ الإسلام : العراف اسم للكاهن والمنجم والرمّال ونحوهم ، وقال أيضاً : والمنجّم يدخل في اسم العراف ، وقال ابن القيم : من اشتهر بإحسان الزجر عندهم سموه عائفاً وعرافاً . قوله **"لم تقبل له صلاة أربعين يوماً "** قال النووي وغيره ما معناه : إنه لا ثواب له فيها ، وإن كانت مجزئة بسقوط =

---

* رواه مسلم برقم (٢٢٣٠) ، وأحمد برقم (١٦٧٥٥) .

وعن[1] أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**" صلى الله عليه وسلم . رواه أبوداود .

وللأربعة والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن " **من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**" صلى الله عليه وسلم[2] .

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً[3] .

= الفرض عنه ، ولابد من هذ التأويل في هذا الحديث ، فإن العلماء متفقون على أنه لا يلزم من أتى العراف إعادة صلاة أربعين ليلة . انتهى ملخصاً .

[1] قوله : وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**" صلى الله عليه وسلم . رواه أبوداود* . وفي رواية أبي داود "**أو أتى امرأته**" قال مسدد "**امرأته حائضاً**" . "**أو أتى امرأة**" ، قال مسدد "**امرأته في دبرها فقد برئ مما أنزل على محمد**" صلى الله عليه وسلم .

[2] قوله : "وللأربعة والحاكم وقال : صحيح على شرطهما عن " **من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**" صلى الله عليه وسلم** . هكذا بيض المصنف لاسم الراوي ، وقد رواه أحمد والبيهقي والحاكم عن أبي هريرة مرفوعاً . قوله "**من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**" صلى الله عليه وسلم ، قال القرطبي المراد بالمنزل الكتاب والسنة .

[3] ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله موقوفاً . أبويعلي اسمه أحمد بن علي بن الثنى الموصلي الإمام صاحب التصانيف كالمسند وغيره ، روى عن يحي بن معين وأبي خيثمة وأبي بكر بن أبي شيبة وخلق وكان من الأئمة الحفاظ ، مات سنة سبع وثلاثمائة . وهذا الأثر رواه البزار أيضاً ولفظه "**من أتى كاهناً أو ساحراً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد**" =

---

* رواه أحمد برقم (٢٩٧٩) ، وأبوداود برقم (٣٩٠٤) وإسناده صحيح ، انظر إرواء الغليل برقم (٢٠٠٦) .

** رواه الحاكم ٨/١ ، وأحمد ٤٢٩/٢ وإسناده صحيح .

وعن عمران بن حصين مرفوعاً : " **ليس منا من تُطيّر أو تطيِّر له ، أو تكهّن أو تُكُهِّن له ، أو سَحَر أو سُحِر له ، ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقــول فقـد كفـر بمـا أُنـزل علـى محمد صلـى ا لله عليـه وسـلم**" . رواه البـزار بإسـناد جيـد ، ورواه الطـبراني في الأوسـط حسن من حديث ابن عباس دون قوله "**ومن أتى**" إلى آخره[1] .

قال البغوي : العرّاف : الذي يدّعي معرفة الأمور بمقدمات يستدل بها على المسـروق ومكان الضالة ونحو ذلك . وقيل : هو الكاهن . والكاهن : هو الذي يخبر عن المغيّبات في المستقبل . وقيل : الذي يخبر عما في الضمير .

وقال أبوالعباس بن تيمية : العرّاف اسم للكاهن والمنجّم والرمّال ونحوهم ، ممـن يتكلـم في معرفة الأمور بهذه الطرق .

وقال ابن عباس في قوم يكتبون "أبا جاد" وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك

= صلى ا لله عليه وسلم ، وفي هذه الأحاديث التصريح بكفره .

[1] قوله : وعن عمران بن حصـين مرفوعاً : " **ليس منّا من تُطـيّر أو تطيِّر لـه ، أو تكهّـن أو تُكُهِّن له ، أو سَحَر أو سُحِر له ، ومن أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفـر بمـا أُنـزل علـى محمد صلى ا لله عليه وسلم**"* . رواه البزار بإسناد جيد من حديث ابن عباس دون قوله "**ومن أتى ..الخ**" .

قوله "**ليس منا**" دليل على نفي الإيمان الواجب ، وهو لا ينافي ما تقدم من أن الطـيرة شـرك والكهانة كفر .

قوله "رواه البزار" هو أحمد بن عمرو بن عبدالخالق أبوبكـر البزار البصـري صـاحب المسـند الكبير ، روى عن ابن بشار وابن المثنى وخلق ، مات سنة اثنتين وتسعين ومائتين .

---

* رواه البزار والطبراني وإسناده صحيح ، انظر صحيح الجامع برقم (٥٤٣٥) ومجمع الزوائـد ١١٧/٥ ، والـترغيب والترهيب ٣٣/٤ .

له عند الله من خلاق[1] .

---

[1] قوله : "قال ابن عباس في قوم يكتبون أبا جاد وينظرون في النجوم : ما أرى من فعل ذلك له عند الله من خلاق " . هذا الأثر رواه الطبراني عن ابن عباس مرفوعاً وإسناده ضعيف .

قوله "ما أرى" يجوز فتح الهمزة بمعنى لا أعلم ، ويجوز ضمها بمعنى لا أظن ، وكتابة أبي جاد وتعلمها لم يدّعي بها علم الغيب هو الذي يسمى علم الحروف ، وهو الذي فيه الوعيد ، وأما تعلمها للتهجي وحساب الجمل فلا بأس به . قوله " وينظرون في النجوم" أي ويعتقدون أن لها تأثيراً في باب التنجيم ، وفيه الحذر من كل علم لا تعلم صحته من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وقد ورد النهي عنها والتحذير من قرب أهلها وسؤالهم وتصديقهم فيما أخبروا به من باطلهم ، فما أكثر من يغتر بهذه الأمور .

***

﴿٢٧﴾ باب
ما جاء في النُّشرة[1]

عن جابر[2] أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن النُّشرة ، فقال : "**هي من عمل الشيطان**" رواه أحمد بسند جيد ، ورواه أبوداود وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله .

وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيَّب : رجل به طبّ أو يؤخَّذ عن امرأته ، أيُحلُّ عنه أو ينَشَّر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم يُنْهَ عنه . انتهى[3] .

---

[1] قوله "باب ما جاء في النُّشرة بضم النون كما في القاموس ، قال أبوالسعادات : النشرة ضرب من العلاج والرقية يعالج به من كان يظن أن به مساً من الجن سميت نشرة لأنه ينشر بها ما خامره من الداء ، أي يكشف ويزال . قال ابن الجوزي : النشرة حل السحر عن المسحور ، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر .

[2] عن جابر أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن النُّشرة ، فقال : "**هي من عمل الشيطان**" رواه أحمد بسند جيد* ، ورواه أبوداود وقال : سئل أحمد عنها فقال : ابن مسعود يكره هذا كله . هذا الحديث رواه أحمد ، ورواه عنه أبوداود في سننه ، وحسّن الحافظ إسناده ، قوله "سئل عن النشرة" الألف واللام في النشرة للعهد أي النشرة المعهودة التي كان أهل الجاهلية يصنعونها هي من عمل الشيطان .

[3] وفي البخاري عن قتادة : قلت لابن المسيَّب : رجل به طبّ أو يؤخَّذ عن امرأته ، أيُحلُّ عنه أو ينَشَّر ؟ قال : لا بأس به ، إنما يريدون به الإصلاح ، فأما ما ينفع فلم يُنْهَ عنه . انتهى** .

قوله "عن قتادة" هو ابن دعامة بكسر الدال السدوسي، ثقة فقيه حافظ من أحفظ التابعين -

---

* رواه أحمد برقم (١٤١٨١) ، وأبوداود برقم (٣٨٦٨) وإسناده صحيح ، انظر صحيح سنن أبي داود برقم (٣٨٦٨) ، والمشكاة (٤٥٥٣) .

** رواه البخاري ١٠/٢٣٢ تعليقاً جازماً .

ورُوي عن الحسن أنه قال : لا يَحُلُّ السحر إلا ساحر[1] .

= وأئمة التفسير ، قالوا إنه ولد أكمه ، مات سنة بضع عشرة ومائة ، قوله "رجل به طِبٌّ" بكسر الطاء أي سحر ، يقال طُبّ الرجل بالضم إذا سُحر . قوله " يؤخَّذُ" بفتح الواو مهموز وتشديد الخاء المعجمة وبعده ذال معجمة ، أي يحبس عن امرأته لا يصل إلى جماعها ، والأُخذة بضم الهمزة : الكلام الذي قاله الساحر . قوله "أيحل" بضم الياء وفتح الحاء مبني للمفعول ، قول "أو يُنشّر" بتشديد المعجمة . قوله "لا بأس به" يعني أن النشرة لا بأس بها لأنهم يريدون بها الإصلاح* ، وهذا من ابن المسيب يحمل على نوع من النشرة لا يعلم أنه سحر .

(1) ورُوي عن الحسن أنه قال : لا يَحُلُّ السحر إلا ساحر** . هذا الأثر ذكره ابن الجوزي*** في جامع المسانيد ، والحسن هو ابن أبي الحسن ، واسمه يسار بالتحتية والمهملة ، البصري الأنصاري مولاهم ، ثقة فقيه أمام من خيار التابعين ، مات سنة عشر ومائة وقد قارب التسعين .

قوله " قال ابن القيم : النشرة حل السحر عن المسحور ، وهي نوعان : حلٌّ بسحر مثله : وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمل قول الحسن ، فيتقرّب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب ، فيبطل عمله عن المسحور ، والثاني : النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز . ومما جاء في صفة النشرة الجائزة ما روى ابن أبي حاتم وأبوالشيخ عن ليث بن أبي سليم قال : بلغني أن هؤلاء الآيات شفاء من السحر بإذن الله تعالى ، تقرأ في إناء فيه ماء – ثم يصب على رأس المسحور – الآية التي في سورة يونس ﴿مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ – إلى قوله – وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس :٨١-٨٢] ، وقوله : ﴿فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف :١١٨] إلى آخر =

---

* وهو خلاف ما يفعله الدجالون اليوم .

** رواه الطبري في التهذيب ، قاله ابن حجر في الفتح .

*** هو أبوالفرج ابن الجوزي عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي الحافظ ، صاحب التصانيف الكثيرة ، توفي سنة ٥٩٧هـ ، انظر : السير ٣٦٥/٢١ ، النهاية ٣١/١٣ ، دول الإسلام ١٠٦/٢ .

قال ابن القيم : النُّشرة حلُّ السحر عن المسحور ، وهي نوعـان : حـلٌّ بسـحر مثلـه : وهو الذي من عمل الشيطان ، وعليه يحمـل قـول الحسـن ، فيتقـرّب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحـب ، فيبطـل عمله عـن المسـحور ، والثـاني : النشـرة بالرقيـة والتعـوذات والأدوية والدعوات المباحة ، فهذا جائز .

= الآيات الأربع وقوله : ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه :٦٩] ، وقال ابن بطّال : في كتاب وهب بن منبه أن يأخذ سبع ورقات من سدر أخضر فيدقـه بين حجرين ثم يضربه بالماء ويقرأ فيه آية الكرسي والقواقل ، ثم يحسو منه ثلاث حسوات ثـم يغتسل به ، يذهب عنه كل ما به ، وهو جيد للرجل إذا حبس عن أهله .

***

﴿٢٨﴾ باب

ما جاء في التطيُّر [1]

وقول الله تعالى : ﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[2] [الأعراف :١٣١] .

وقوله : ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ الآية[3] [يس :١٩] .

---

[1] قوله "**باب ما جاء في التطيُّر**" أي من النهي عنه والوعيد ، والطيرة بكسر الطاء وفتح الياء – وقد تسكن – اسم مصدر من تطير طيرة ، وأصله التطير بالسَّوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما ، وكان ذلك التطير يصدهم عن مقاصدهم ، فنفاه الشرع وأبطله وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ودفع ضر ، قال المدائني سألت رؤبة بن العجاج قلت : ما السانح؟ قال : ما ولاك ميامنه ، قلت : فما البارح؟ قال : ما ولاك مياسره ، والذي يجي من أمامك فهو الناطح والنطيح ، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد القعيد .

[2] وقوله : وقول الله تعالى : ﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ ذكر الله تعالى هذه الآية في سياق قوله : ﴿فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ الآية ، والمعنى أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة أي الخصب والسعة والعافية كما فسره مجاهد وغيره قالوا لنا هذه ، أي نحن الجديرون والحقيقون بها ونحن أهلها ﴿وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي بلاء وقحط ﴿يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾ فيقولون هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمهم ، فقال تعالى : ﴿أَلاَ إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس : طائرهم ما قضى عليهم وقدر لهم ، وفي رواية شؤمهم عند الله ومن قبله ، أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله . قوله ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ أي أن أكثرهم جهال لا يدرون ، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبع قوله .

[3] قوله : ﴿قَالُوا طَائِرُكُمْ مَعَكُمْ﴾ الآية ، المعنى والله أعلم حظكم وما نالكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين ، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا ، بل ببغيكم =

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا عـدوى ، ولا طيرة ولا هامة ، ولا صَفَر**" . أخرجاه . زاد مسلم : "**ولا نوء ، ولا غُول**"[1] .

= وعدوانكم ، فطائر البغي الظالم معه ، فما وقع به من الشرور فهو سببه الجالب له ، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله . قوله ﴿**أَئِنْ ذُكِّرْتُمْ**﴾ أي من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿**بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُسْرِفُونَ**﴾ .

[1] قوله : عن أبي هـريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا عدوى ، ولا طيرة ولا هامة ، ولا صفر**" . أخرجاه . زاد مسلم : "**ولا نوء ، ولا غول**"* .

قال أبوالسعادات : العدوى اسم من الإعداء كالدعوى ، يقال أعداه الداء يعديه إعداء إذا أصابه مثل ما بصاحب الداء . قوله "**ولا طيرة**" قال ابن القيم : يحتمل أن يكون نفياً أو نهياً ، أي لا تطيروا ، ولكن قوله في الحديث "**ولا عدوى ولا صفر ولا هامة**" يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها ، والنفي في هذا أبلغ من النهي ؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره ، والنهي إنما يدل على المنع منه ، قال عكرمة : كنا جلوساً عند ابن عباس ، فمر طائر يصيح ، فقال رجل من القوم : خير خير ، فقال له ابن عباس : لا خير ولا شر ، فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر ، وخرج طاوس** مع صاحب له في سفر فصاح غراب ، فقال الرجل : خير ، فقال طاوس : وأي خير عند هذا ؟ لا تصحبني . انتهى ملخصاً .

قوله "**ولا هامة**" بتخفيف الميم على الصحيح ، قال الفراء : الهامة طير من طير الليل كأنه يعني البومة ، قال ابن الأعرابي : كانوا يتشاءمون بها ، إذا وقعت على بيت أحدهم يقول : نعت إلي نفسي أو أحداً من أهل داري ، فجاء الحديث بنفي ذلك وإبطاله . قوله "**ولا صفر**" بفتح الفاء ، روى أبوعبيد في غريب الحديث عن رؤبة أنه قال : حية تكون في البطن تصيب =

---

* رواه البخاري برقم (٥٧٥٧) ، ومسلم برقم (٢٢٢٠) .

** هو طاوس بن كيسان الفارسي اليمني الجندي ، توفي سنة ١٠٦ ، انظر : السير ٣٨/٥ ، العبر ٩٩/١ ، الشذرات ١٣٣/١ .

وهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل**" قالوا : وما الفأل ؟ قال : "**الكلمة الطيبة**"[1] .

= الماشية والناس ، وهي أعدى من الجرب عند العرب ، وعلى هذا فالمراد بنفيه ما كانوا يعتقدونه من العدوى ، وممن قال بهذا سفيان بن عيينة والإمام أحمد والبخاري وابن جرير وقال : المراد به شهر صفر والنفي لما كان أهل الجاهلية يفعلونه في النسيء ، وكانوا يحلون المحرم ويحرمون صفر مكانه ، وهذا قول مالك . وروى أبوداود عن محمد بن راشد عمن سمعه يقول : إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر ، ويقولون : إنه شهر مشؤوم ، فأبطل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم . قال ابن رجب : ولعل هذا القول أشبه الأقوال .

والتشاؤم بصفر كتشاؤم أهل الجاهلية بشوال بالنكاح فيه خاصة* ، قوله "**ولا نوء**" سيأتي الكلام عليه إن شاء الله في بابه . قوله "**ولا غُول**" هو بالضم اسم وجمعه أغوال وغيلان ، وهو المراد هنا ، والمعنى بقوله "**ولا غُول**" أنها لا تستطيع أن تضل أحداً مع ذكر الله والتوكل عليه ومنه الحديث "**إذا تغولت الغيلان فبادروا بالأذان**" أي ادفعوا شرها بذكر الله تعالى .

[1] قوله : وهما عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**لا عدوى ولا طيرة ، ويعجبني الفأل**" قالوا : وما الفأل ؟ قال : "**الكلمة الطيبة**"** . قال أبوالسعادات : الفأل مهموز فيما يسر ويسوء ، والطيرة لا تستعمل إلا فيما يسوء وربما استعملت فيما يسر .

قوله "قالوا : وما الفأل؟" قال : " **الكلمة الطيبة** " يبين صلى الله عليه وسلم أن الفأل يعجبه ، فدل على أنه ليس من الطيرة المنهي عنها ، قال ابن القيم : ليس في الإعجاب بالفأل ومحبته شيء من الشرك ، بل ذلك إبانة عن مقتضى الطبيعة وموجب الفطرة الإنسانية التي تميل إلى ما يوافقها ويلائمها ، والله تعالى جعل في غرائز الناس الإعجاب بسماع الاسم الحسن ومحبته وميل نفسوهم إليه ، وكذلك جعل فيها الارتياح والاستبشار والسرور باسم الفلاح والسلام والنجاح والتهنئة والبشر والفوز والظفر ونحو ذلك ، فغذا سمعت الأسماع أضدادها =

---

* إلى يومنا هذا توجد هذه العقيدة الشركية .

** رواه البخاري برقم (٥٧٥٦) ، وأبوداود برقم (٣٩١٦) .

ولأبي داود بسند صحيح ، عن عقبة بن عامر ، قال : ذُكِرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **"أحسنها الفأل ، ولا تردُّ مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك"**[1] .

= أوجب لها ضد هذه الحال فأحزنتها ، وأثار ذلك لها خوفاً وتطيراً وانكماشاً وانقباضاً عما قصدته وعزمت عليه ، فأورث لها ضرراً في الدنيا ونقصاً في الإيمان ، ومقارفة للشرك .

[1] قوله : ولأبي داود بسند صحيح ، عن عقبة بن عامر ، قال : ذُكِرت الطيرة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : **"أحسنها الفأل ، ولا تردُّ مسلماً ، فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك"*** . قوله "عن عقبة بن عامر" هكذا وقع في نسخ التوحيد ، وصوابه عن عروة بن عامر كذا أخرجه أحمد وأبوداود وغيرهما ، ومكي اختلف في نسبه فقال أحمد : عن عروة بن عامر القرشي ، وقال غيره الجهني ، واختلف في صحبته فقال الماوردي : له صحبة ، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين ، وقال المزي : لا صحبة له تصح ، قال ابن القيم : أخبر صلى الله عليه وسلم أن الفال من الطيرة ، وهو خيرها ، فأبطل الطيره وأخبر أن الفأل منها ، ولكن خير منها ، ففصل بين الفأل والطيرة لما بينهما من الامتياز والتضاد ونفع أحدهما مضرة الآخر .

قوله **"ولا ترد مسلماً"** ، قال الطيبي : تعريض بأن الكافر بخلافه . قوله **"اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك"** أي لا تأتي الطيرة بالحسنات ولا تدفع المكروهات ، بل أنت وحدك لا شريك لك الذي تأتي بالحسنات وتدفع السيئات ، والحسنات هنا النعم ، والسيئات هي المصائب . ففيه نفي تعلق القلب بغير الله في جلب نفع أو دفع ضر ، وهذا هو التوحيد ، وهودعاء مناسب لمن وقع في قلبه شيء من الطيرة ، وتصريح بأنها لا تجلب نفعاً ولا تدفع ضراً ، ويعد من اعتقدها سفيهاً مشركاً . قوله **"ولا حول ولا قوة إلا بك"** والحول التحول والانتقال من حال إلى حال ، والقوة على =

---

* رواه أبوداود برقم (٣٧١٩) ، وإسناده ضعيف ، انظر ضعيف سنن أبي داود برقم (٣٩١٩) .

وله من حديث ابن مسعود مرفوعاً "الطّيرة شرك ، الطّيرة شرك ، وما منـا إلا ..ولكـن ا لله يذهبه بالتوكل". رواه أبوداود والترمذي وصححه ، وجعل آخره من قول ابن مسعود[1] .

ولأحمد من حديث ابن عمرو " **من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**" ، قالوا : فمـا كفارة ذلك ؟ قال : "**أن يقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طـيرك ، ولا إلـه**

= ذلك با لله وحده ففيه التبري من الحول والقوة والمشيئة بـدون حـول ا لله وقوتـه ومشـيئته ، وهذا هو التوحيد في الربوبية ، وهو الدليل على توحيد الإلهية الذي هو إفـراد ا لله تعـالى بجميـع أنواع العبادة ، هو توحيد القصد والإرادة ، وقد تقدم بيان ذلك بحمد ا لله .

(1) قوله : وله من حديث ابن مسعود مرفوعـاً "الطّيرة شـرك ، الطّيرة شـرك ، ومـا منـا إلا .. ولكن ا لله يذهبه بالتوكل" . رواه أبوداود والـترمذي وصححـه ، وجعـل آخره مـن قـول ابـن مسعود* . ولفظ أبي داود "**الطيرة شرك ، الطيرة شرك** " ثلاثاً ، وهذا صريح في تحريم الطـيرة وأنها من الشرك ، لما فيها من تعلق القلب بغير ا لله ، قـال ابـن مفلـح : الأولى القطـع بتحريمهـا لأنها شرك ، وكيف يكون الشرك مكروهاً الكراهة الاصطلاحية ؟ .

قوله "وما منا إلا " قال أبوالقاسم الأصبهاني** والمنذري*** في الحديـث إضمـار التقديـر ، وما منا إلا وقد وقع في قلبه شيء من ذلك . انتهى . قوله "ولكن ا لله يذهبه بالتوكل" لكـن إذا توكلنا على ا لله في جلب النفع ودفع الضـر أذهبـه ا لله تعـالى عنـا بتوكلنـا عليـه وحـده . قولـه "وجعل آخره من قول ابن مسعود" . قال ابـن القيـم :وهـو الصـواب ، فـإن الطـيرة نـوع مـن الشرك .

---

* رواه أبـوداود برقـم (٣٩١٠) ، والترمذي برقـم (١٦١٤) وإسـناده صحيـح ، انظـر الصحيحـة برقـم (٤٢٩) ، وصحيح الأدب المفرد برقم (٩٠٩) .

** هو أبوعبدا لله الثقفي القاسم بـن الفضـل أحمـد الأصبهـاني ، حـافظ عـالم ، تـوفي سنة٤٨٩هـ ، انظـر : العـبر ٣٦٠/٢ ، الشذرات ٣٩٣/٣ ، السير ٨/١٩ .

*** هو الحافظ زكي الدين أبومحمد عبدالعظيم بن عبدالقوي بن عبـدا لله بـن سـلامة بـن سـعد المنـذري الشـامي المصري ، صاحب كتاب الترغيب والترهيب ، توفي سنة ٦٥٦هـ ، انظر : الرسالة المستطرفة ص١٨١ .

غيرك"[1] .

وله من حديث الفضل بن العباس **"إنما الطَّيرة ما أمضاكَ أو ردّك"**[1] .

---

[1] قوله : ولأحمد من حديث ابن عمرو " **من ردّته الطيرة عن حاجته فقد أشرك**" ، قالوا : فما كفارة ذلك ؟ قال : "**أن يقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك ، ولا إله غيرك**"* . هذا الحديث رواه أحمد والطبراني عن عبدا لله بن عمرو بن العاص ، وفي إسناده ابن لهيعة وبقية رجاله ثقات ، قوله : من حديث ابن عمرو . وهو عبدا لله بن عمرو بن العاص بن وائل السهمي أبومحمد ، وقيل أبوعبدالرحمن ، أحد السابقين المكثرين من الصحابة وأحد العبادلة الفقهاء ، مات في ذي الحجة ليالي الحرة على الأصح بالطائف . قوله "**من ردته الطيرة حاجته فقد أشرك**" وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالمرئي والمسموع ، فإذا ردته عن سفر أو عمل أو حاجة فقد أشرك بما يخامر قلبه من الخوف من ذلك ، فيكون شريكاً بهذا الاعتبار . قوله "فما كفارة ذلك؟" قال : "**أن تقول : اللهم لا خير إلا خيرك ، ولا طير إلا طيرك** " فيه تفويض الأمور كلها إلى ا لله تقديراً وخلقاً ، والبراءة مما فيه تعلّق بغير ا لله تعالى كائناً من كان . "**ولا إله غيرك**" أي لا معبود مستحق سواك ، فإذا قال ذلك وأعرض عما وقع في قلبه ولم يتلفت إليه واستمر على فعل ما عزم عليه توكلاً على ا لله وتفويضاً إليه ، كفّر ا لله عنه ما وقع في قلبه من ذلك .

[1] قوله : وله من حديث الفضل بن العباس "**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردّك**"** . هذا الحديث عند الإمام أحمد من حديث الفضل بن العباس قال : خرجت مع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم فساقه ، إلى أن قال " **إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**" والفضل هو ابن العباس بن عبدالمطلب ابن عم النبي صلى ا لله عليه وسلم ، قال ابن معين : قتل يوم اليرموك ، وقال غيره =

---

* رواه أحمد برقم (٧٠٤٥) وإسناده حسن ، وانظر لزاماً السلسلة الصحيحة برقم (١٠٦٥) فيها ما يتعلق برواية ابن لهيعة الذي في إسناد الحديث هذا .

** رواه أحمد برقم (١٨٢٤) وإسناده ضعيف ، ضعفه الشيخ أحمد شاكر محقق المسند ، انظر المسند ٢٣٩/٣ برقم ١٨٢٤

....

= قتل يوم مرج الصفّر سنة ثلاث عشرة وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وقـال أبـوداود : قتـل بدمشق ، كان عليه درع النبي صلى الله عليه وسلم . قوله "**إنما الطـيرة مـا أمضـاك أو ردّك**" هذا حد الطيرة المنهي عنها أنها ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراد ، أو يمنعه من المضي فيـه كذلك ، وأما الفأل الذي كان يحبه صلى الله عليه وسلم ففيه نوع بشارة ، فيسر به العبد ولا يعتمد عليه ، بخلاف الطيرة ، فافهم الفرق .

***

﴿٢٩﴾ باب

ما جاء في التنجيم[1]

قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأوّل فيها غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلّف ما لا علم له به . انتهى[2] .

---

[1] قوله : "**باب ما جاء في التنجيم**" . قال شيخ الإسلام : هو الاستدلال بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية ، وقال الخطابي : علم النجوم المنهي عنه هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي ستقع في مستقبل الزمان كأوقات هبوب الرياح ومجيء المطر وتغير الأسعار وما في معناها من الأمور التي يزعمون أنها تدرك معرفتها بمسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ، يدعون أن لها تأثيراً في السفليات ، وهذا منهم تحكم على الغيب ، وتعاط لعلم قد استأثر الله به فلا يعلم الغيب سواه .

[2] قال البخاري في صحيحه : قال قتادة : خلق الله هذه النجوم لثلاث : زينة للسماء ، ورجوماً للشياطين ، وعلامات يهتدى بها ، فمن تأوّل غير ذلك أخطأ وأضاع نصيبه ، وتكلّف ما لا علم له به . انتهى* . هذا الأثر علقه البخاري في صحيحه وأخرجه عبدالرزاق وعبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وغيرهم ، وأخرجه الخطيب في كتاب النجوم عن قتادة بلفظ أطول من هذا . وقول قتادة رحمه الله تعالى يدل على أن علم التنجيم هذا قد حدث في عصره فأوجب له إنكاره على من اعتقده وتعلق به** ، وهذا العلم مما ينافي التوحيد ويوقع في الشرك ؛ لأنه ينسب الحوادث إلى غير من أحدثها وهو الله سبحانه بمشيئته وإرادته كما قال تعالى : ﴿**عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ**﴾ [فاطر :٣] ، وقال : ﴿**قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ**﴾ [النمل :٦٥] .

قوله " خلق الله هذه النجوم لثلاث" . قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ** =

---

* رواه البخاري ٢٩٥/٦ تعليقاً جازماً .

** هو ما يسمى اليوم ببرج الحظوظ . والله المستعان .

وكره قتادة تعلّم منازل القمر ، ولم يرخّص ابن عيينة فيه ، ذكره حرب عنهما ، ورخّص في تعلُّم المنازل أحمد وإسحاق[1] .

= ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك :٥] وفيه إشارة إلى أن النجوم في السماء الدنيا كما روى ابن مردويه عن ابن مسعود قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **أما السماء الدنيا فإن الله خلقها من دخان ، وجعل فيها سراجاً وقمراً منيراً ، وزينها بمصابيح وجعلها رجوماً للشياطين ، وحفظاً من كل شيطان رجيم**" .

قوله "وعلامات" أي دلالات على الجهات يهتدى بها ، أي يهتدي بها الناس في ذلك كما قال تعالى : ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل :١٦] ، وقال تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام :٩٧] أي لتعرفوا بها جهة قصدهم ، فإن قيل المنجم قد يصدق ، قيل كصدق الكاهن يصدق في كلمة ويكذب في مائة ، وصدقه ليس عن علم بل قد يوافق قدراً فيكون فتنة في حق من صدّقه .

[1] قوله "وكره قتادة تعلّم منازل القمر ، ولم يرخّص ابن عيينة فيه ، ذكره حرب عنهما ، ورخّص في تعلُّم المنازل أحمد وإسحاق" . قال الخطابي : أما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة والخبر الذي يعرف به الزوال وتعلم به جهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهى عنه ، وذلك أن معرفة هذا العلم صح علمه بالمشاهدة ، وأما ما يستدل به من النجوم على جهة القبلة فإنها من الكواكب رصدها أهل الخبرة من الأئمة الذين لا نشك في عنايتهم بأمر الدين ومعرفتهم بها وصدقهم فيما أخبروا به ، مثل أن يشاهدها في بحضرة الكعبة ويشاهدها على حال الغيبة عنها ، فكان إدراكهم الدلالة منها بالمعاينة ، وإدراكنا ذلك بقبول خبرهم إذ كانوا عندنا غير مهتمين في دينهم ، ولا مقصرين في معرفتهم . انتهى .

وروى ابن المنذر عن مجاهد أنه كان لا يرى بأساً أن يتعلم الرجل من النجوم ما يهتدي به . قال رجب : والمأذون في تعلمه علم التسيير ، لا علم التأثير فإنه باطل محرم قليله وكثيره ، أما علم التسيير فيتعلم منه ما يحتاج إليه للاهتداء ، ومعرفة القِبلة والطُرق ، وهو جائز عند الجمهور .

وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرّحم ، ومصدّق بالسِحر"** . رواه أحمد وابن حبّان في صحيحه[1] .

قوله "ذكره حرب عنهما" هو الإمام الحافظ حرب بن إسماعيل أبومحمد الكرماني الفقيه من أجل أصحاب الإمام أحمد ، روى عن أحمد وإسحاق وابن المديني وابن معين وغيرهم ، وله كتاب المسائل التي سأل عنها الإمام أحمد وغيره ، مات سنة ثمانين ومائتين ، وأما إسحاق فهو ابن إبراهيم بن مخلد بن يعقوب الحنظلي النيسابوري الإمام المعروف بابن راهويه ، روى عن ابن المبارك وأبي أمامة وابن عيينة وطبقتهم ، قال أحمد : إسحاق عندنا من أئمة المسلمين ، روى عنه أحمد والبخاري ومسلم وأبوداود وغيرهم ، وروى هو أيضاً عن أحمد ، مات سنة تسع وثلاثين ومائتين .

[1] قوله : وعن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن الخمر ، وقاطع الرّحم ، ومصدّق بالسِحر"** . رواه أحمد وابن حبّان في صحيحه[1] . وهذا الحديث رواه أيضاً الطبراني والحاكم وقال : صحيح وأقره الذهبي .

قوله " عن أبي موسى" هو عبدا لله بن قيس بن سليم بن حضّار بفتح المهملة وتشديد الضاد أبوموسى الأشعري ، صحابي جليل ، مات سنة خمسين .

قوله **"ثلاثة لا يدخلون الجنة"** الشاهد للترجمة **"ومصدق بالسحر"** وفي هذا الحديث كما تقدم في نظائره كقوله **"من أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد"** صلى الله عليه وسلم ، واختار الإمام أحمد رحمه الله تعالى أن مثل هذه الأحاديث تمر كما جاءت من غير تأويل ، قال الذهبي في الكبائر : ويدخل فيه تعلم السيمياء وعلمها ، وعقد المرأة من زوجته ، ومحبة الزوج لامرأته وبعضها وبغضه ، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة . انتهى باختصار .

---

* رواه أحمد برقم (١٩٧٩٨) ، وابن حبان برقم (١٣٨١) وإسناده حسن ، انظر الصحيحة برقم (٦٧٨) ، ولتمام الفائدة انظر الضعيفة برقم (١٤٦٤) .

﴿٣٠﴾ باب

ما جاء في الاستسقاء بالأنواء

وقول الله تعالى : ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[1] [الواقعة :٨٢] .

عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر بالأحساب ، والطعن في**

---

[1] قوله **"ما جاء في الاستسقاء بالأنواء"** والمراد نسبة السقيا ومجيء المطر إلى الأنواء - جمع نوء - وهي منازل القمر ، قال أبوالسعادات : وهي ثمان وعشرون منزلة ، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها كما قال تعالى : ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ [يس :٣٩] يسقط في المغرب كل ثلاثة عشرة ليلة منزلة له مع طلوع الفجر ، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق ، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر ، وينسبونه إلى النجم ويقولون : مطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سمي نوءاً لأنه إذا سقط منها الساقط ناء الطالع بالمشرق أي نهض وطلع.

قوله " ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ الآية ، روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول : شكركم ﴿أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ تقولون مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا* ، روي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخرساني** وغيرهم ، وهو قول جمهور المفسرين وبه يظهر وجه استدلال المصنف رحمه الله تعلى بالآية ، وقال ابن القيم : أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب به يعني القرآن ، قال الحسن : تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون ، قال : وخسر عبد لا يكون حظه من القرآن إلا التكذيب .

---

* رواه الترمذي برقم (٣٥٩١) ، وأحمد برقم (٦٧٧) وإسناده ضعيف ، انظر : ضعيف سنن أبي داود برقم (٦٤٩) ، ومسند أحمد بتحقيق أحمد شاكر برقم (٢٣٢٩٢) .

** هو عطاء الخراساني بن أبي يسار المحدث الواعظ ، توفي سنة ١٣٥هـ ، انظر : تهذيب التهذيب ٢١٢/٧ ، الميزان ٧٣/٣ ، التاريخ الصغير ٣٧/٢ .

الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة" . وقال : "النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب"[1] .

---

[1] قوله : عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"أربعٌ في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن ، الفخر بالأحساب ، والطعن في الأنساب ، والاستسقاء بالنجوم ، والنياحة"** . وقال : **"النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ، ودرع من جرب"*** . أبومالك : اسمه الحارث بن الحارث الشامي ، صحابي تفرد عنه بالرواية أبوسلام ، وفي الصحابة أبومالك الأشعري اثنان غير هذا .

قوله **"أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن"** أي ستفعلها هذه الأمة : إما مع العلم بتحريمها ، أو مع الجهل بذلك مع كونها من أعمال الجاهلية ، يدل على أنه يجب على كل مسلم أن يجتنبها ، والمراد بالجاهلية هنا ما قبل المبعث ، وفاعلها آثم يجب أن ينهى عنها ، ومتى وجد الشرك وجدت هذه الأمور المنكرة وغيرها من المنكرات .

قال شيخ الإسلام : أخبر أن بعض أمر الجاهلية لا يتركه الناس كلهم ذماً لمن لم يتركه ، وهذا يقتضي أن كل ما كان من أمر الجاهلية وفعلهم فهو مذموم في دين الإسلام ، وإلا لم يكن في إضافة هذه المنكرات إلى الجاهلية ذم لها ، ومعلوم أن إضافتها إلى الجاهلية خرج مخرج الذم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب :٣٣] فإن في ذلك ذماً للتبرج ، وذماً لحال أهل الجاهلية الأولى ، وذلك يقتضي المنع من مشابهتهم في الجملة . قوله **"الفخر بالأحساب"** أي التعاظم على الناس بالآباء ومآثرهم ، وذلك جهل عظيم إذ لا كرم إلا بالتقوى كما قال تعالى :﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات :١٣] .

ولأبي داود عن أبي هريرة مرفوعاً : **" إن الله قد أذهب عنكم عُبِّية الجاهلية وفخرها بالأباء ، إنما هو مؤمن تقي ، أو فاجر شقي ، الناس بنو آدم ، وآدم خلق من تراب ، ليدعنّ رجال فخرهم بأقوام إنما هو فحم من فحم جهنم ، أو ليكونن أهون على الله من =**

---

* رواه مسلم (٩٣٤) ، وأحمد برقم (٢٢٩٢٣) .

ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلّى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إِثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : **"هل تدرون ماذا قال ربكم؟** " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مُطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي**

= **الجعلان"*** الحديث . قوله **"والطعن في الأنساب"** أي الوقوع فيها بالعيب والنقص ، ولما عيّر أبوذر رجلاً بأمه قال النبي صلى الله عليه وسلم **"أعيرته بأمه؟ إنك رجل فيك جاهلية"*** . متفق عليه .

فدل على أن الطعن في الأنساب من عمل أهل الجاهلية ، وأنا لمسلم قد يكون فيه شيء من هذه الخصال المسماة بجاهلية ويهودية ونصرانية ، ولا يوجب ذلك كفره ولا فسقه*** . قاله شيخ الإسلام رحمه الله تعالى .

قوله **"والاستسقاء بالنجوم"** تقدم معناه ، فإذا قال قائلهم مطرنا بنجم كذا وبنوء كذا فلا يخلو : إما أن يعتقد أن له تأثيراً في نزول المطر فهذا شرك وكفر لنسبة المطر لغير من أنزله وهو الله وحده ، وإما مع إطلاق هذا اللفظ فقد صرح ابن مفلح في الفروع بتحريمه وكذلك صاحب الإنصاف ولم يذكر خلافاً . قوله **"والنياحة"** أي رفع الصوت بالندب على الميت وضرب الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك ، وهي من الكبائر لشدة الوعيد والعقوبة كما في هذا الحديث . قوله **"النائحة إذا لم تتب قبل موتها"** ففيه تنبيه على أن التوبة تكفر الذنب . قوله **"تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب"** السربال واحد السرابيل وهي الثياب والقمص ، هذه سرابيل أهل النار ، يعني يلطخن بالقطران حتى يكون اشتعال النار بأجسادهن أعظم ، ورائحتهن أنتن ، وروي عن ابن عباس أن القطران هو النحاس المذاب .

---

* رواه أبوداود برقم (٥١١٦) والترمذي برقم (٣٩٥٠) وإسناده حسن ، انظر صحيح الجامع برقم (١٧٨٧) وغاية المرام ص٣١٢ .

** رواه البخاري برقم (٢٥٤٥) ، ومسلم برقم (١٦٦١) .

*** ما لم يتعلق بالربوبية أو الألوهية أو الأسماء والصفات .

كافر بالكوكب ، وأما من قال مُطرنا بنوءِ كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب"[1] .

ولهما من حديث ابن عباس معناه . وفيه : "قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآية **﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾**[الواقعة :٧٥] إلى قوله **﴿تكذِّبُونَ﴾**[2] .

---

[1] قوله : ولهما عن زيد بن خالد رضي الله عنه قال : صلّى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الصبح بالحديبية على إِثر سماء كانت من الليل ، فلما انصرف أقبل على الناس فقال : **"هل تدرون ماذا قال ربكم؟** " قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : " **قال : أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر ، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال مطرنا بنوءِ كذا وكذا ، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب "*** .

زيد بن خالد الجهني صحابي مشهور ، مات سنة ثمان وستين وقيل غير ذلك ، وله خمس وثمانون سنة . قوله "صلى لنا" أي بنا ، قال الحافظ : وفيه إطلاق ذلك مجازاً . قوله " الحديبية" بتخفيف يائها وقد تثقل . قوله "على إثر" بكسر الهمزة وسكون الثاء المثلثة على المشهور ، وهو ما يعقب الشيء . قوله "سماء" أي مطر . قوله "فلما انصرف" أي من صلاته إلى المأمونين . قوله **"هل تدرون؟"** لفظ استفهام ومعناه التنبيه ، وفي النسائي **"ألم تسمعوا ما قال ربكم الليلة ؟"** وفيه إلقاء العالم المسألة على أصحابه ليختبرهم . قوله "قالوا الله ورسوله أعلم" فيه حسن الأدب للمسئول إذا سئل عما لا يعلم أن يكل العلم إلى عالمه ، وذلك يجب .

قوله **"أصبح من عبادي مؤمن بي"** لأنه نسب الفعل إلى فاعله الذي لا يقدر عليه غيره . قوله **"وكافر"** إذا اعتقد أن للنوء تأثيراً في إنزال المطر فهذا كفر ، لأنه شرك في الربوبية ، والمشرك كافر . قوله **"فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته"** فالفضل والرحمة صفتان لله تعالى .

[2] قوله : ولهما من حديث ابن عباس معناه . وفيه : "قال بعضهم لقد صدق نوء كذا وكذا ، فأنزل الله هذه الآية **﴿فَلاَ أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ﴾** [الواقعة :٧٥] إلى قوله **﴿تكذِّبُونَ﴾** . تقدم معناه قريباً .

---

* رواه البخاري برقم (٨٤٦) ، ومسلم برقم (٧١) .

﴿٣١﴾ باب

قول الله تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾[البقرة :١٦٥][1] .

وقوله : ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ** - إلى قوله - **أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ الآية [التوبة :٢٤][2] .

عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**" . أخرجاه[3] .

---

[1] قوله : باب قول الله تعالى : ﴿**وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ**﴾ قال في شرح المنازل : أخبر تعالى أن من أحب شيئاً من دون الله كما يحب الله فهو ممن اتخذ من دون الله أنداداً ، فهذا ند في المحبة لا في الخلق والربوبية ، فإن أحداً من أهل الأرض لا يثبت هذا الند ، بخلاف ند المحبة فإن أكثر أهل الأرض قد اتخذوا من دون الله أنداداً في المحبة والتعظيم . اهـ .

قلت : وقد وقع الشرك في الربوبية أيضاً في كثير من الخاصة والعامة في آخر هذه الأمة فاعتقدوا أن لهؤلاء الأموات تصرفاً في الكون ونحو ذلك .

[2] وقوله : ﴿**قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ** - إلى قوله - **أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**﴾ الآية . قال ابن كثير : إن كانت هذه الأشياء أحب إليكم من الله ورسوله ، وجهاد في سبيله ، فتربصوا أي انتظروا ماذا يحل بكم من عقابه .

[3] قوله : عن أنس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحبّ إليه من ولده ووالده والناس أجمعين**" . أخرجاه* . أي البخاري ومسلم . **قوله "لا يؤمن"** أي الإيمان الواجب ، والمراد كماله ، حتى يكون الرسول صلى الله عليه وسلم أحب إلى العبد من ولده ووالده والناس أجمعين ، وذلك يقتضي تعظيم أمره ونهيه واتباعه في ذلك دون من سواه ، ومن كان كذلك فقد أحب الله كما آية المحبة .

---

* رواه البخاري برقم (١٥) ، ومسلم برقم (٤٤) .

ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"** . وفي رواية " **لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى** " إلى آخره[1] .

---

[1] قوله : ولهما عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"ثلاث من كنّ فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : أن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ، وأن يحبَّ المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار"** . وفي رواية " **لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى** " إلى آخره* . قوله **"ثلاث"** أي خصال ، قال شيخ الإسلام : أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان ؛ لأن وجود الحلاوة للشيء يتبع المحبة له ، فمن أحب شيئاً واشتهاه إذا حصل له مراد فإنه يجد الحلاوة واللذة والسرور بذلك ، واللذة أمر يحصل عقيب إدراك الملائم الذي هو المحبوب أو المشتهى .

قال : فحلاوة الإيمان المتضمنة للذة والفرح تتبع كمال العبد لله ، وذلك بثلاثة أمور : تكميل المحبة وتفريغها ودفع ضرها ، فتكميلها أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، فإن محبة الله ورسوله لا يكتفي فيها بأصل الحب بل لابد أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما . قلت : ومن لازم محبة الله محبة أنبيائه ورسله وملائكته وكتبه والصالحين من عباده ، وكراهة ما يكرهه سبحانه ، ومعاداة أعدائه ، وموالاة أوليائه ، فلا تحصل كمال محبة الله الواجبة إلا بكمال ذلك وإيثاره على ما تهواه النفوس مما يخالف ذلك . قوله **"أحب إليه مما سواهما"** ثنى الضمير هنا لتلازم المحبتين . والله أعلم . قوله **"كما يكره أن يقذف في النار"** أي يستوي عنده الأمران . قوله "وفي رواية لا يجد" هي عند البخاري في الأدب المفرد ولفظه **"لا يجد أحد حلاوة الإيمان حتى يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وحتى أن يقذف في النار أحب إليه من أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه ، وحتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما "** .

---

* مضى تخريجه في الباب السادس من هذا الكتاب .

وعن ابن عباس قال : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه - حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً . رواه ابن جرير[1] .

---

[1] قوله : وعن ابن عباس قال : من أحب في الله ، وأبغض في الله ، ووالى في الله ، وعادى في الله ، فإنما تنال ولاية الله بذلك ، ولن يجد عبدٌ طعم الإيمان - وإن كثرت صلاته وصومه - حتى يكون كذلك ، وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً . رواه ابن جرير* . قوله " من أحب في الله " أي أحب أهل الإيمان بالله وطاعته من أجل ذلك . قوله "وأبغض في الله" أي أبغض من كفر بالله وأشركه وعصاه لارتكابه ما يسخط الله وإن كان أقرب الناس إليه كما قال تعالى : ﴿**لاَ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**﴾ [المجادلة :٢٢] . قوله "ووالى في الله" بالمحبة والنصرة بحسب القدرة . قوله "وعادى في الله" من كان عدو الله ممن أشرك وكفر وظاهر بالمعاصي ، فتجب عداوته بما يقدر عليه . قوله "وإنما تنال وَلاية الله بذلك" أي توليه لعبده . "وَلاية" بفتح الواو . وفي الحديث "**أوثق عرى الإيمان الحب في الله ، والبغض في الله عز وجل**" رواه الطبراني** . قوله "ولن يجد عبد طعم الإيمان" أي لا يحصل له ذوق الإيمان وبهجته ولذته وسروره والفرح به "وإن كثرت صلاته وصومه حتى يكون كذلك" قال تعالى : ﴿**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**﴾ [يونس :٥٨] . قوله "وقد صارت عامة مؤاخاة الناس على أمر الدنيا وذلك لا يجدي على أهله شيئاً " يعني أنه إذا ضعف داعي الإيمان أحب دنياه وأحب لها وآخي لأجلها -

* رواه أحمد برقم (١٥٦٣٤٩) وإسناده ضعيف ، انظر مجمع الزوائد ٨٩/٨ ، والمسند بتحقيق أحمد شاكر برقم (١٥٦٣٤) ، ولكن صحّ حديث في معنى الشطر الأول وهو في الترمذي برقم (٢٥٢٣) وفي غيره .

** حديث الطبراني رواه برقم (١١٥٣٧) ، وأبوداود الطيالسي برقم (٣٧٨) عن ابن مسعود وإسناده حسن ، انظر الصحيحة برقم (١٧٢٨) .

وقال ابن عباس في قوله : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ قال : المودّة[1] .

= وهذا هو الغالب على أكثر الخلق محبة دنياهم وإيثار ما يهوونه على ما يحبه الله ورسوله ، وذلك لا يجدي على أهله شيئاً ، بل يضر في العاجل والآجل .. فالله المستعان .

[1] قوله : وقال ابن عباس في قوله : ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ﴾ [البقرة :١٦٦] قال : المودّة* . أي التي كانت بينهم خانتهم أحوج ما كانوا إليه قال تعالى : ﴿وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت :٢٥] .

***

---

* أثر ابن عباس رواه عبد بن حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم وصححه . قاله في فتح المجيد .

﴿٣٢﴾ باب

قول الله تعالى :﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] [آل عمران :١٧٥] ، وقوله : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾[2] الآية [التوبة :١٨].

---

[1] قوله : باب قول الله تعالى :﴿ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ . قال العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن كيد عدو الله أنه يخوف المؤمنين جنده وأولياءه لئلا يجاهدوهم ولا يأمروهم بمعروف ولا ينهوهم عن منكر ، وأخبر تعالى أن هذا من كيد الشيطان وتخويفه ، ونهانا أن نخافهم ، قال : والمعنى عند جميع المفسرين يخوفهم بأوليائه ، قال قتادة يعظمهم في صدوركم ، فكلما قوي إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان ، وكلما ضعف إيمانه قوي خوفه منهم ، فدلت هذه الآية على أن إخلاص الخوف من كمال شروط الإيمان ، وسبب نزول هذه الآية مذكور في التفاسير والسير .

[2] قوله : وقول الله : ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾ الآية . أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر الذين آمنوا بقلوبهم وعملوا بجوارحهم وأخلصوا له الخشية دون من سواه ، فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع ، وذلك كله داخل في مسمى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة . قوله "ولم يخش إلا الله" قال ابن عطية : يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة ، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية ، وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه .

قلت : لأن النفع والضر إنما يكون بمشيئته وإرادته ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن .

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى : والخوف عبودية القلب فلا يصلح إلا الله ، كالذلّ والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب .

قوله : ﴿فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس يقول : إن أولئك هم المهتدون . وكل "عسى" في القرآن فهي واجبة .

وقوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾[1] الآية [العنكبوت :١٠] .

---

[1] قوله : ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ﴾ . قال ابن القيم : الناس إذا أرسل إليهم الرسل بين أمرين : إما أن يقول أحدهم آمنا ، وإما أن لا يقول ذلك بل يستمر على السيئات والكفر ، فمن قال آمنا امتحنه ربه وابتلاه ، والفتنة الابتلاء والاختبار ، ومن لم يقل آمنا فلا يحسب أنه يعجز الله ويفوته ويسبقه ، فلا بد من حصول الألم لكل نفس آمنت أو رغبت عن الإيمان، لكن المؤمن يحصل له الألم في الدنيا ابتداء ، ثم تكون له العاقبة الدنيا والآخرة ، والمعرض عن الإيمان تحصل له اللذة ابتداء ثم يصير إلى الألم الدائم ، والإنسان لابد أن يعيش مع الناس ، والناس لهم تصورات وإرادات ، فيطلبون منه أن يوافقهم عليها ، وإن لم يوافقهم آذوه وعذبوه ، وإن وافقهم حصل له العذاب تارة منهم وتارة من غيرهم – إلى أن قال – فالحزم كل الحزم في الأخذ بما قالت أم المؤمنين لمعاوية : من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤونة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً ، فمن هداه الله وألهمه رشده ووقاه شر نفسه امتنع من الموافقة على فعل المحرم وصبر على عداوتهم ، ثم تكون له العاقبة في الدنيا والآخرة كما كانت للرسل وأتباعهم ، ثم أخبر تعالى عن حال الداخل في الإيمان بلا بصيرة وأنه إذا أوذي في الله حعل فتنة الناس له وهي أذاهم ونيلهم إياه بالمكروه ، وهو الألم الذي لابد أن ينال الرسل وأتباعهم ممن خالفهم ، جعل ذلك في فراره منه وتركه السبب الذي يناله به كعذاب الله الذي فر منه المؤمنون بالإيمان ، فالمؤمنون – لكمال بصيرتهم – فروا من ألم عذاب الله إلى الإيمان ، وتحملوا ما فيه من الألم الزائل المفارق عن قريب ، وهذا – من ضعف بصيرته – فرّ من ألم أعداء الرسل إلى موافقتهم ومتابعتهم ، ففر من ألم عذابهم إلى ألم عذاب الله ، فجعل ألم فتنة الناس في الفرار منه بمنزلة عذاب الله ، وغبن كل الغبن إذ استجار من الرمضاء بالنار ، وفر من ألم ساعة إلى ألم الأبد ، وإذا نصر الله جنده وأولياءه قال : إني كنت معكم ، والله عليم بما انطوى عليه صدره من النفاق . اهـ .

عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : "**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يردّه كراهية كاره**"[1] .

---

[1] قوله : عن أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً : "**إن من ضعف اليقين أن ترضي الناس بسخط الله ، وأن تحمدهم على رزق الله ، وأن تذمهم على ما لم يؤتك الله ، إن رزق الله لا يجره حرص حريص ، ولا يردّه كراهية كاره**"* . هذا الحديث رواه أبونعيم في الحلية والبيهقي وأعله بمحمد بن مروان السدي وقال : ضعيف ، وتمام الحديث "**وإنه بحكمته جعل الرَّوح والفرح في الرضا واليقين ، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط**" .

قوله "**إن من ضعف اليقين**" الضعف يضم ويحرك ضد القوة ، قال ابن مسعود : اليقين الإيمان كله ، والصبر نصف الإيمان . قوله "**أن ترضي الناس بسخط الله**" أي أن تؤثر رضاهم على مايرضي الله ، وذلك إذا لم يقم بقلبه من إعظام الله وإجلاله وهيبته ما يمنعه من إيثار رضى المخلوق بما يجلب له سخط خالقه وربه ومليكه الذي يتصرف في القلوب ، وبهذا الاعتبار يدخل في نوع من الشرك لأنه آثر رضي المخلوق على رضى الله ، وترقب إليه بما يسخط ، ولا يسلم من هذا إلا من سلمه الله تعالى . قوله "**وأن تحمدهم على رزق الله**" أي على ما وصل إليك من أيديهم بأن تضيفه إليهم وتحمدهم عليه ، والله تعالى هو الذي كتبه لك وسيره لك ، فإذا أراد أمراً قيض له أسباباً ، ولا ينافي هذا الحديث " **من لا يشكر الناس لا يشكر الله**"** لكون الله ساقه على أيديهم فتدعو لهم أو تكافئهم لحديث "**من صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعو له حتى تروا أنكم قد كافأتموه**"*** . قوله "**وأن تذمهم** =

---

* رواه البيهقي في شعب الإيمان وإسناده ضعيف، انظر : ضعيف الجامع برقم (٢٠٠٩) والضعيفة برقم (٤٨٢)

** رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢١٨) ورواه غيره من حديث أبي هريرة وإسناده صحيح ، انظر : الصحيحة برقم (٤١٦) .

*** رواه البخاري في الأدب المفرد برقم (٢١٦ ورواه غيره وإسناد صحيح ، انظر : الصحيحة برقم (٢٥٤) ، وصحيح الأدب برقم (٢١٦ .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"من التمس رضى الله بسخط الناس ، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس في سخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس"** . رواه ابن حبان في صحيحه[1] .

= **على ما لم يؤتك الله"** لأنه لم يقدر لك ما طلبته على أيديهم ، فلو قدر لك ساقه القدر إليك ، فمن علم أن الله وحده هو المتفرد بالعطاء والمنع بمشيئته وإرادته ، وأنه الذي يرزق العبد بسبب وبلا سبب ومن حيث لا يحتسب لم يسأل حاجته إلا من الله وحده ، ولعل ما منع من ذلك يكون خيراً له ، ويحسن الظن بالله سبحانه ولا يرغب إلا إليه ولا يخاف إلا من ذنبه ، وقد قرر هذا المعنى في الحديث بقوله **"إن رزق الله لا يجره حرص حريص ولا ترده كراهية كاره"** . وقال شيخ الإسلام : اليقين يتضمن القيام بأمر الله تعالى وما وعد الله به أهل طاعته ، ويتضمن اليقين بقدر الله وخلقه وتدبيره ، فإذا أرضيتهم بسخط الله ولم تكن موقناً لا بوعده ولا برزقه فإنه إنما يحمل الإنسان على ذلك إما ميل إلى ما في أيديهم فيترك القيام فيهم بأمر الله لما يرجوه منهم ، وإما ضعف تصديقه بما وعد الله أهل طاعته من النصر والتأييد والثواب في الدنيا والآخرة ، فإنك إذا أرضيت الله نصرك ورزقك وكفاك مؤنتهم ، وإرضاؤهم بما يسخطه إنما يكون خوفاً منهم ورجاء لهم ، وذلك من ضعف اليقين ، وأما إذا لم يقدر لك ما تظن أنهم يفعلونه معك فالأمر في ذلك إلى الله لا لهم ، فإنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فإذا ذممتهم على ما لم يقدر لك كان ذلك من ضعف يقينك ، فلا تخفهم ولا ترجهم ولا تذمهم من جهة نفسك وهواك ، ولكن من حمده الله ورسوله منهم فهو المحمود ، ومن ذمه الله ورسوله منهم فهو المذموم ، ودلّ الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأعمال من مسمى الإيمان .

[1] قوله : وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"من التمس رضى الله بسخط الناس ، رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن التمس رضى الناس في سخط الله ، سخط الله عليه وأسخط عليه الناس"** . رواه ابن حبان في صحيحه* . قوله =

---

* رواه الترمذي برقم (٢٤١٦) وإسناده صحيح ، انظر صحيح الجامع (٥٨٨٦)

....

- "**من التمس**" أي طلب ، قال شيخ الإسلام : وكتبت عائشة إلى معاوية ، ويروى أنها رفعته "**من أرضى الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً** " هذا لفظ المرفوع ، ولفظ الموقوف : "**من أرضى الله بسخط الناس رضي الله عنه وأرضى عنه الناس ، ومن أرضى الناس بسخط الله عاد حامده من الناس ذاماً**" وهذا من أعظم الفقه في الدين ، فإن من أرضى الله بسخطهم كان قد اتقاه ، وكان عبده الصالح ، والله يتولى الصالحين ، والله كاف عبده ﴿**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبْ**﴾ [الطلاق :٣-٤] والله يكفيه مؤنة الناس بلا ريب ، ومن أرضى الناس بسخط الله لم يغنوا عنه من الله شيئاً ، كالظالم الذي يعض على يديه ، وإما كون حامده ينقلب عليه ذاماً فهذا يقع كثيراً ويحصل في العاقبة ، فإن العاقبة للتقوى ، لا تحصل ابتداء عند أهوائهم . انتهى .

***

﴿٣٣﴾ باب

قول الله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[1] [المائدة :٢٣] .

وقوله : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾الآية[2] [الأنفال:٢] .

---

[1] قوله : باب قول الله تعالى : ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ قال أبوالسعادات : يقال توكل بالأمر إذا ضمن القيام به ، وأراد المصنف بهذه الترجمة بالآية بيان أن التوكل فريضة يجب إخلاصه لله ؛ لأنه من أجمع أنواع العبادة الباطنة ، فإن تقديم المعمول يفيد الحصر ، فلا يحصل كمال التوحيد بأنواعه الثلاثة إلا بكمال التوكل على الله كما في هذه الآية . قال الإمام أحمد : التوكل عمل القلب . وقال ابن القيم في الآية المترجم بها : فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان ، فدلّ على انتفاء الإيمان عند انتفائه . قال شيخ الإسلام : وما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه . فإنه شرك ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج :٣١] . اهـ .

والتوكل قسمان : أحدهم التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله - كالتوكل على الأموات والغائبين ونحوهم من الطواغيت - فهذا شرك أكبر لا يغفره الله إلا بالتوبة منه ، وأما التوكل على الأحياء الحاضرين والسلطان ونحوهم فيما أقدرهم الله عليه من رزق أودفع أذى ونحو ذلك فهو نوع شرك أصغر ، والمباح أن يوكل شخصاً بالنيابة عنه في التصرف فيما له التصرف فيه من أمور دنياه كالبيع والشراء والإجارة والطلاق والعتاق وغير ذلك ، فهذا جائز بالإجماع ، لكن لا يقول "توكلت عليك" بل يقول "وكلته" فإنه لو وكله فلابد أن يتوكل في ذلك على الله سبحانه .

[2] قوله : وقول الله تعالى : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾الآية . قال ابن عباس في الآية : المنافقون لا يدخل في قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه ، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله ولا يتوكلون على الله ، ولا يصلون إذا غابوا ، ولا يؤدون زكاة أموالهم ، فأخبر الله تعالى أنهم ليسوا بمؤمنين ، ثم وصف المؤمنين فقال : ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ -

وقوله : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ الآية[1] [الأنفال :٦٤] .

وقوله : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾[2] الآية [الطلاق :٣] .

= ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه ، رواه ابن جرير وابن أبي حاتم .

وقال السُّدي في قوله ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ : هو الرجل يريد أن يظلم – أو قال يهم بمعصية – فيقال له اتق الله ، فيوجل قلبه . رواه ابن أبي شيبة وابن جرير .

قوله ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم من أهل السنة بهذه الآية ونظائرها على زيادة الإيمان ونقصانه* ، قوله ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي يعتمدون عليه ، ويفوضون إليه أمورهم ، فلا يرجون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه ، وهو من أعظم الأسباب في حصول المطالب الدنيوية والأخروية ، وفي الآية وصف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسان تستلزم حصول أعمال الإيمان الواجبة والمستحبة .

[1] قوله : وقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ . قال ابن القيم : أي الله وحده كافيك وكافي أتباعك فلا تحتاجون معه إلى أحد ، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية .

[2] قوله : وقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ . قال ابن القيم وغيره : أي كافيه ، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو ، ولا يضره إلا أذى لا بد منه كالحر والبرد والجوع والعطش ، وأما أن يضره بما يبلغ به مراده فلا يكون أبداً . قال بعض السلف : جعل الله لكل عمل جزاء من نفسه ، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته فقال : ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ أي كافيه ، فلم يقل فله كذا وكذا من الأجر كما قال في الأعمال ، بل جعل الله سبحانه نفسه كافي عبده المتوكل عليه وحسبه وواقيه ، فلو توكل العبد على الله حق توكله وكادته السموات والأرض ومن فيهن لجعل الله له مخرجاً وكفاه ونصره . انتهى .

---

* شرح الطحاوية ، ص٣٤٢ .

عن ابن عباس قال : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ . رواه البخاري والنسائي[1] .

---

[1] قوله : عن ابن عباس قال : ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار ، وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له : ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا﴾ . رواه البخاري* . قوله ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ﴾ تقدم معناه .

قوله ﴿وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ أي نعم من توكل عليه المتوكلون ، ومخصوص "نعم" محذوف تقديره نعم الوكيل الله . قوله : قالها إبراهيم حين ألقي في النار . قال تعالى ﴿قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ * قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الأنبياء :٦٨-٦٩] الآية . قوله : وقالها محمد صلى الله عليه وسلم حين قالوا له ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾[آل عمران :١٧٣] وذلك بعد منصرف قريش والأحزاب من أُحُد ، فمر بهم ركب من عبدالقيس فقال أبوسفيان : أين تريدون ؟ قالوا : نريد المدينة . قال : هل أنتم مبلغون عني محمداً رسالة ؟ قالوا : نعم . قال : فإذا وافيتموه فأخبروه أنّا قد أجمعنا السير إليه وإلى أصحابه لنستأصل بقيتهم ، فمر الركب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بحمراء الأسد ، فأخبروا بالذي قال أبوسفيان : فقال : **"حسبنا الله ونعم الوكيل"** ، وفي الحديث **"إذا وقعتم في الأمر العظيم فقولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل"**** .

***

---

* رواه البخاري برقم (٤٥٦٣)

** إسناده ضعيف ، انظر : ضعيف الجامع برقم (٧٢٩) .

﴿٣٤﴾ باب

قول الله تعالى : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾[١] [الأعراف :٩٩] .

وقوله : ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾[٢] [الأنبياء :٦٩] .

عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الكبائر فقال : **"الشرك بالله ، واليأس من رَوْح الله ، والأمن من مكر الله"**[٣] .

---

[١] **قوله : باب قول الله تعالى : ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.** أراد المصنف رحمه الله تعالى أن الأمن من مكر الله يدل على ضعف الإيمان فلا يبالي صاحبه بما ترك من الواجبات ، وفعل من المحرمات ، لعدم خوفه من الله بما فعل أو ترك ، وهذا من أعظم الذنوب ، وأجمعها للعيوب ، ومعنى الآية أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بين أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من مكر الله وعدم الخوف منه ، وذلك أنهم أمنوا مكر الله لما استدرجهم بالسراء والنعم فاستبعدوا أن يكون ذلك مكراً ، قال الحسن : من وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له . وقال قتادة : بغت القوم أمر الله وما أخذ قوم قط إلا عند سلوتهم وغرتهم ، فلا تغتروا بالله . وقال إسماعيل بن رافع : من الأمن من مكر الله إقامة العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة . رواه ابن أبي حاتم .

[٢] **قوله : ﴿وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾** . القنوط استبعاد الفرج واليأس منه ، وهو يقابل الأمن من مكر الله ، وكلا الأمرين ذنب عظيم ، لما في القنوط من سوء الظن بالله . قوله **﴿إِلاَّ الضَّالُّونَ﴾** أي عن الهدى .

[٣] عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل عن الكبائر فقال : **"الشرك بالله ، واليأس من رَوْح الله ، والأمن من مكر الله"*** . هذا الحديث رواه البزار وابن أبي حاتم من طريق شبيب بن بشر ، قال ابن معين ثقة ، ولينه ابن أبي حاتم ، وقال ابن كثير : في -

---

* رواه البزار برقم (١٠٦) والطبراني ، وإسناده حسن ، انظر مجمع الزوائد ١/١٠٤ .

وعن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر الإشراك با لله ، والأمن من مكر ا لله ، والقنوط من رحمة ا لله ، واليأس من رَوْح ا لله . رواه عبدالرزاق[1] .

- إسناده نظر ، والأشبه أن يكون موقوفاً . قوله " **الشرك با لله**" هو أكبر الكبائر ، ولهذا بدأ به . قال ابن القيم رحمه ا لله تعالى : الشرك هضم للربوبية ، وتنقص للإلهية ، وسوء ظن برب العالمين . انتهى . قوله "**واليأس من روح ا لله**" أي قطع الرجاء والأمل من ا لله تعالى فيما يخافه ويرجوه ، وذلك إساءة ظن با لله وجهل وبسعة رحمته وجوده ومغفرته . قوله "**والأمن من مكر ا لله**" أي من استدراجه للعبد وسلبه ما أعطاه من الإيمان نعوذ با لله من ذلك ، وذلك جهل با لله وبقدرته وثقة بالنفس وعجب بها ، وهذه الثلاث من أكبر الكبائر ، فهي كثيرة جداً نسأل ا لله اجتنابها ، وذكر هذه الثلاث لجمعها للشر كله وبعدها عن الخير كله ، وقد وقع فيها الكثير قديماً وحديثاً ، نسأل ا لله العافية في الدنيا والآخرة .

[1] وعن ابن مسعود قال : أكبر الكبائر الإشراك با لله ، والأمن من مكر ا لله ، والقنوط من رحمة ا لله ، واليأس من رَوْح ا لله . رواه عبدالرزاق* . قوله "والقنوط من رحمة ا لله" قال أبوالسعادات : هو أشد اليأس ، وينبغي للقلب أن يكون الغالب عليه الخوف ، فإذا غلب الرجاء في حال الصحة فسد القلب ، قال تعالى : ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ** ﴾ [الملك :١٢] ، وقال : ﴿ **يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ**﴾ [النور :٣٧] .

***

---

* رواه عبدالرزاق ٤٥٩/١٠ ، والطبراني في الكبير برقم (٨٧٨٣) وإسناده صحيح ، انظر مجمع الزوائد ١٠٤/١ .

﴿٣٥﴾ باب

من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله[1]

وقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾[2] [التغابن :١١] .

قال علقمة[3] : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم .

---

[1] **قوله : "باب من الإيمان بالله الصبر على أقدار الله"** . قال الإمام أحمد : ذكر الله الصبر في تسعين موضعاً من كتابه . وفي الحديث الصحيح **"الصبر ضياء"*** . رواه أحمد ومسلم . قال عمر رضي الله عنه : "وجدنا خير عيشنا بالصبر"** . رواه البخاري . قال علي رضي الله عنه " إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد" ثم رفع صوته فقال :" إنه لا إيمان لمن لا صبر له" واعلم أن الصبر على ثلاثة أقسام : صبر على ما أمر الله به ، وصبر عما نهى الله عنه ، وصبر على ما قدره الله من المصائب . زاد شيخ الإسلام : والصبر على الأهواء المخالفة للشرع .

[2] **قوله : وقول الله تعالى : ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾** وأول الآية ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي بمشيئته وإرادته كما قال تعالى في الآية الأخرى : ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد :٢٢] .

[3] **قوله : قال علقمة : هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلّم .** هذا الأثر رواه ابن جرير وابن أبي حاتم ، وروي عن ابن مسعود ، وعلقمة هو ابن قيس بن عبدالله النخعي الكوفي ، ولد في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وسمع من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن مسعود وعائشة وغيرهم ، وهومن كبار التابعين وعلمائهم وثقاتهم ، مات بعد الستين ، وفي هذا الأثر دليل على أن الأعمال من مسمى الإيمان ، وفي الآية بيان أن من ثواب الصبر هداية القلب .

---

* رواه مسلم برقم (٢٢٣) ورواه أحمد برقم (٢٣٢٩٠) .

** رواه البخاري تعليقاً ٣٠٣/١١ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**الثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت**"[1] .

ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً "**ليس منا من ضرب الخدود ، وشقّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية**"[2] .

---

[1] قوله : وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في النسب ، والنياحة على الميت**"* . أي هما بالناس كفر حيث كانتا من أعمال الجاهلية ، وهما قائمتان بالناس ولا يسلم منهما إلا من سلمه ، فأطلق الكفر على من قامت به خصلة من هاتين الخصلتين ، لكن ليس من قام به شعبة من شعب الكفر يصير كافراً الكفر المطلق ، كما أنه ليس من قام به شعبة من شعب الإيمان يصير مؤمناً الإيمان المطلق ، ففرق بين الكفر المعرف باللام كما في قوله "**ليس بين العبد وبين الكفر أو الشرك إلا ترك الصلاة**" وبين كفر منكر في الإثبات . قوله "**الطعن في النسب**" أي عيبه ويدخل فيه أن يقال هذا ليس ابن فلان مع ثبوت نسبه . قوله "**والنياحة على الميت**" أي رفع الصوت بالندب وتعداد فضائله لما فيه من التسخط على قدر الله المنافي للصبر .

[2] ولهما عن ابن مسعود مرفوعاً "**ليس منا من ضرب الخدود ، وشقّ الجيوب ، ودعا بدعوى الجاهلية**"** . قوله "**من ضرب الخدود**" قال الحافظ : خص الخد لكونه الغالب ، وإلا فضرب بقية الوجه مثله ، قوله "**ودعا بدعوى الجاهلية**" قال شيخ الإسلام : هو ندب الميت ، وقال ابن القيم : الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية ، ومثله التعصب إلى المذاهب والطوائف والمشايخ ، وتفضيل بعض على بعض يدعو إلى ذلك ويوالي عليه ويعادي عليه ، فكل هذا من دعوى الجاهلية ، وقد يعفي عن الشيء اليسير من ذلك إذا كان صدقاً كما يعفي عن البكاء إذا كان على غير وجه النوح والتسخط ، نص عليه أحمد .

---

* رواه مسلم برقم (٦٧) ، وأحمد برقم (٨٨٩٢) .

** رواه البخاري برقم (١٢٩٤) ، ومسلم برقم (١٠٣) .

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافَي به يوم القيامة**"[1] .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء ، وإنّ الله تعالى إذا أحبّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله**

---

[1] قوله : وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إذا أراد الله بعبده الخير عجّل له العقوبة في الدنيا ، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يُوافَي به يوم القيامة**"* . هذا الحديث رواه الترمذي والحاكم وحسنه الترمذي . قوله "**إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا**" قال شيخ الإسلام : المصائب نعمة ، لأنها مكفرات للذنوب ، وتدعو إلى الصبر فيثاب عليها ، وتقتضي الإنابة إلى الله تعالى والذل له والإعراض عن الخلق ، إلى غير ذلك من المصالح . فنفس البلاء يكفر الله به الخطايا ، وهذا من أعظم النعم ، فالمصائب رحمة ونعمة في حق عموم الخلق إلا أن يدخل صاحبها بسببها في معاصي أعظم مما كان قبل ذلك فتكون شراً عليه من جهة ما أصابه في دينه ، فإن من الناس من إذا ابتلي بفقر أو مرض أو جوع حصل له - من الجزع والنفاق ومرض القلب والكفر الظاهر وترك بعض الواجبات وفعل بعض المحرمات - ما يوجب له ضرراً في دينه ، فهذا كانت العافية خيراً له من جهة ما أورثته المصيبة ، لا من جهة نفس المصيبة ، كما أن من أوجبت له المصيبة صبراً وطاعة كانت في حقه نعمة دينية ، فهي بعينها فعل الرب عز وجل رحمة للخلق ، والله تبارك وتعالى محمود عليها ، فمن ابتلي فرزق الصبر كان الصبر عليه نعمة في دينه ، وحصل له مع ما كفر من خطاياه رحمة ، وحصل له بثنائه على ربه صلاة ربه عليه ، قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة :١٥٧] وحصل له غفران السيئات ، ورفع الدرجات ، فمن قام بالصبر الواجب حصل له ذلك . اهـ ملخصاً .

---

* رواه الترمذي برقم (٢٣٩٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٥٤) ، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٢٢٠) .

السّخط" . حسّنه الترمذي[1] .

---

[1] قوله : وقال النبي صلى ا الله عليه وسلم : "**إن عِظَم الجزاء مع عِظَم البلاء ، وإنّ ا الله تعالى إذا أحبّ قوماً ابتلاهم ، فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السّخط**" . حسّنه الترمذي* . قوله "**إن عِظم الجزاء**" بكسر العين وفتح الظاء فيهما ، ويحتمل ضمهما مع سكون الظاء ، قال ابن القيم : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء إذا صبر واحتسب فإنه حينئذ يثاب على ما تولد منها وهو ظاهر . قوله " **إن ا الله تعالى إذا احب قوماً ابتلاهم** " وفى الحديث : سئل النبى صلى ا الله عليه وسلم : أى الناس أشد بلاء ؟ قال : "**الأنبياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان فى دينه صلابة اشتد بلاؤه ، وإن كان فى دينه رقة ابتلي على قدر دينه ، فما يبرح البلاء على العبد حتى يتركه يمشى على الأرض وما عليه خطيئة** "** . رواه الدارمي وابن ماجة والترمذي وصححه . قوله "**فمن رضي فله الرضا**" أي من ا الله "**ومن سخط فله السخط**" كذلك .

***

---

* رواه ابن ماجة برقم (٤٠٣١) ، والترمذي برقم (٢٣٩٦) ، وابن عدي في الكامل (١١٩٣) ، وانظر الصحيحة برقم (١٢٢٠) ، وصحيح ابن ماجة برقم (٣٢٧٢) .

** رواه ابن ماجة برقم (٤٠٩٥) ، وهو حسن صحيح ، انظر صحيح سنن ابن ماجة برقم (٣٢٦٥) ، الصحيحة برقم (١٤٣ .

﴿٣٦﴾ باب

ما جاء في الرياء[1]

وقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[2] الآية [الكهف :١١٠] .

عن أبي هريرة مرفوعاً : قال الله تعالى " **أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه** " . رواه مسلم[3] .

---

[1] قوله : "**باب ما جاء في الرياء**" أي من النهي عنه والتحذير .

[2] قوله : وقول الله تعالى ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾ أي ليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء ، بل ذلك كله لله وحده لا شريك له أوحاه إلي ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ﴾ ويخافه ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ قال شيخ الإسلام : أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة ، وقالوا : لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى يوم القيامة ، وذكر الأدلة على ذلك .

قال ابن القيم في الآية : أي كما أنه لا إله إلا هو فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له ، فكما تفرد بالإلهية يجب أن ينفرد بالعبودية ، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء ، المقيد بالسنة . اهـ . فتضمنت الآية النهي عن الشرك كله ، قليله وكثيره .

[3] عن أبي هريرة مرفوعاً : قال الله تعالى " **أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه** " . رواه مسلم* . قوله "**من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري**" أي قصد بعمله غيري من المخلوقين تركته وشركه ، قال الطيبي : الضمير المنصوب في قوله "**تركته**" يجوز أن يرجع إلى العمل ، قال ابن رجب : واعلم أن العمل لغير الله أقسام :

فتارة يكون رياءً محضاً كحال المنافقين كما قال تعالى : ﴿يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء :١٤٢] وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة =

---

* رواه مسلم (٢٩٨٥) ، وابن ماجة برقم (٤٢٠٢) .

وعن أبي سعيد مرفوعاً : " **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجّال ؟**" قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : " **الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل** " . رواه أحمد[1] .

= والصيام ، وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدى نفعها ، فإن الإخلاص فيها عزيز ، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة .

وتارة يكون العمل لله ويشاركه الرياء ، فإن شاركه من أصله فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه ، وذكر أحاديث تدل على ذلك منها هذا الحديث وحديث شداد بن أوس مرفوعاً : "**من صلى يرائي فقد أشرك ، ومن صام يرائي فقد أشرك ، ومن تصدق يرائي فقد أشرك ، وإن الله عز وجل يقول : أن خير قسيم لمن أشرك بي ، فمن أشرك بي شيئاً فإن جدة عمله قليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به ، أنا عنه غني**"* . رواه أحمد .

قال الإمام أحمد فيمن يأخذ جُعلاً على الجهاد : إذا لم يخرج لأجل الدراهم فلا بأس ، كأنه خرج لدينه ، فإن أعطي شيئاً أخذه – ثم قال – وأما إذا كان أصل العمل لله ثم طرأ عليه نية الرياء فإن كان خاطراً ثم دفعه فلا يضره بغير خلاف ، وإن استرسل معه فهل يحبط عمله أم لا ويجازى على أصل نيته ؟ في ذلك اختلاف بين العلماء من السلف قد حكاه الإمام أحمد وابن جرير ورجحا أن علمه لا يبطل بذلك وأنه يجازى بنيته الأولى ، وهو مروي عن الحسن وغيره .

(1) وعن أبي سعيد مرفوعاً : " **ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال ؟**" قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : " **الشرك الخفي ، يقوم الرجل فيصلي ، فيزين صلاته لما يرى من نظر رجل** " . رواه أحمد** . قوله "عن أبي سعيد" هو الخدري وتقدم ، **قوله "الشرك الخفي"** سماه خفياً لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله ولأن صاحبه يظهر أن عمله لله وقد قصد =

---

* رواه أحمد وإسناده ضعيف ، انظر تحقيق المسند برقم (١٧٢٧٠) .

** رواه أحمد برقم (١١٢٧٢) ، وابن ماجة برقم (٤٢٠٤) وإسناده حسن ، انظر صحيح سنن ابن ماجة برقم (٣٤٠٨) ، وصحيح الترغيب برقم (٢٧) .

....

= غيره أو شركه فيه بتزيين صـــلاته لأجله ، ولا خلاف أن الإخـلاص شـرط لصيحـة العمـل وقبوله ، وكذلك المتابعـــة ، قال ابن القيـم : وأمـا الشـرك الأصغـر فكيسـير الريـاء ، والتصنـع للخلق ، والحلف بغير الله ، وقول الرجل للرجل ما شاء الله وشئت ، وهـذا مـن الله ومنـك ، وأنا بالله وبك ، وما لي إلا الله وأنت ، وأنا متوكـل علـى الله وعليـك ، ولـولا الله وأنـت لم يكن كذا وكذا ، وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده . اهـ .

***

﴿٣٧﴾ باب

من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا[1]

وقول الله تعالى ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ﴾الآيتين[2] [هود :١٥-١٦] .

---

[1] قوله : "باب **من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا**" . أراد المصنف رحمه الله بهذه الترجمة وما بعدها أن العمل لأجل الدنيا كالرياء في بطلان العمل إن استرسل معه ، كمن يطلب العلم لتحصيل وظيفة التعليم كحال أهل المدارس وأئمة المساجد والمجاهدين ونحوهم ممن يقصد بعمله الصالح أمر دنيا ، وقد وقع ذلك كثيراً حتى إن منهم من يحرص على سفر الجهاد لما يحصل له فيه من جهة أمير الجيش واجتماعه به وأمره له ونهيه وقربه منه ونحو ذلك .

[2] وقوله : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا﴾الآيتين ، قال ابن عباس : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ أي ثوابها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي ما لها ﴿نُوَفِّ﴾ نوفر لهم ثواب ﴿أَعْمَالَهُمْ﴾ بالصحة والسرور في المال والأهل والولد ﴿وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون ، ثم نسختها ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ﴾ الآية . رواه النحاس في ناسخه . وأخرج ابن جرير بسند المتصل عن شفي بن ماتع عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل ليقضي بينهم ، وكل أمة جاثية ، فأول من يدعو به رجل قد جمع القرآن ، ورجل قتل في سبيل الله ، ورجل كثير المال ، فيقول الله تعالى للقارئ : ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال : بلى يا رب . قال فماذا عملت فيما علمت ؟ قال : كنت أقوم آناء الليل وآناء النهار ، فيقول الله له : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول الله له : بل أردت أن يقال فلان قارئ . فقد قيل . ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له : ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال : بلى يا رب . قال : فما عملت فيما آتيتك ؟ قال : كنت أصل الرحم ، وأتصدق . فيقول الله له : كذبت . وتقول له الملائكة : كذبت . ويقول الله** -

في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**تعس عبدالدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة : إن أعطى رضى ، وإن لم يُعط سخط ، تعس وانتكس ، واذا شيك فلا انتقش**[1] ، **طوبى لعبد**

= **له : بل أردت أن يقال فلان جواد ، فقد قيل ذلك . ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله فيقال له : فبماذا قتلت ؟ فيقول : أمرت بالجهاد في سبيلك ، فقاتلك حتى قتلت . فيقول الله له : كذبت ، وتقول الملائكة : كذبت . ويقول الله له : بل أردت أن يقال فلان جرئ ، وقد قيل**" . ثم ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ركبتي فقال : "**يا أبا هريرة ، أولئك أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة**"* .

[1] في الصحيح عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **تعس عبدالدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس عبد الخميلة : إن أعطى رضى ، وإن لم يُعط سخط ، تعس وانتكس ، واذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان في الحراسة كان في الحراسة ، وإن كان في الساقة كان في الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع**"** . أي صحيح البخاري . قوله "**تعس**" هو بكسر العين ويجوز بالفتح أي سقط ، والمراد هنا هلك قال الحافظ، وقال أبوالسعادات : يقال تعس يتعس إذا عثر وانكب لوجهه ، وهو دعاءعليه بالهلاك . قوله "**تعس عبدالدينار ، تعس عبدالدرهم**" . سماه عبداً لكونه هو المقصود بعمله فصار عبداً له لأنه عبده بذلك العمل . قوله "**تعس عبدالخميصة**" قال أبو السعادات : هي ثوب خز أو صوف معلم . و"**الخميلة**" بفتح الخاء المعجمة قال أبوالسعادات : ذات الخمل ، ثياب لها خمل من أي شيء كان ، والمراد كل كما كان من الدنيا نقداً كان أو عرضاً ، لأنه ذكر النوعين . قال أبوالسعادات : أي انقلب على رأسه ، وهو دعاء عليه بالخيبة . قوله "**وإذا شيك فلا انتقش**"أي إذا أصابته شوكة فلا يقدر على إخراجه بالمناقيش، =

* رواه مسلم برقم (١٩٠٥) ، والترمذي برقم (٢٣٨٣) .

** رواه البخاري برقم (٢٨٨٦) .

= قاله أبوالسعادات . قال شيخ الإسلام : فسماه النبي صلى الله عليه وسلم عبد الدينار والدرهم وعبد القطيفة وعبد الخميصة ، وذكر فيها ما هو دعاء عليه بلفظ الخبر وهو قوله "**تعس وانتكس ، وإذا شيك فلا انتقش**" وهذه حال من إذا أصابه شر لم يخرج منه ولم يفلح لكونه تعس وانتكس ، فلا نال المطلوب ، ولا خلص من المكروه ، وهذه حال من عبد المال ، وقد وصف ذلك بأنه إن أعطي رضي ، وإن منع سخط ، فرضاه لغير الله وسخطه لغيرا لله ، وهكذا حال من كان متعلقاً برياسة او صورة ونحو ذلك من أهواء نفسه إن حصل رضي ، وإن لم يحصل له سخط ، فهذا عبد ما يهواه من ذلك ، وهو رقيق له ن إذ الرق والعبودية في الحقيقة رق القلب وعبوديته ، فما استرق القلب واستعبده فهو عبده . إلى أن قال : وهكذا أيضاً حال من طلب المال ، فإن ذلك يستعبده ويستعبده ويسترقه ، وهذه الأمور نوعان : فمنها ما يحتاج إليه العبد كما يحتاج إلى طعامه وشرابه ونكحه ومسكنه ونحو ذلك ، فهذا يطلبه من الله ويرغب إليه فيه ، فيكون المال عنده يستعمله في حاجته بمنزلة حماره الذي يركبه وبساطه الذي يجلس عليه ، من غير أن يستعبده فيكون هلوعاً ، ومنها ما لا يحتاج إليه العبد ، فهذه ينبغي أن لا يعلق قلبه بها ، فإذا تعلق قلبه بها صار مستعبداً ومعتمداً على غير الله فيها فلا يبقى معه حقيقة العبودية لله ولا حقيقة التوكل على الله ، بل فيه شعبة من العبادة لغير الله ، وشعبة من التوكل على غيره ، وهذا أحق الناس بقوله صلى الله عليه وسلم "**تعس عبدالدينار ، تعس عبدالدرهم ، تعس عبدالخميصة ، تعس عبدالخميلة**" . وهذا عبد لهذه الامور ولو طلبها من الله ، فان الله اذا أعطاه إياها رضى وان منعها اياها سخط ، وانما عبد الله من يرضيه ما يرضى الله، ويسخطه ما يسخط الله ، ويحب ما أحب الله ورسوله ، ويبغض ما أبغض الله ورسوله ، ويوالي أولياء الله ، ويعادى أعداء الله ، فهذا الذى استكمل الإيمان . اهـ ملخصاً .

قوله "**طوبى لعبد** " روى الإمام أحمد عن حسن بن موسى قال : سمعت عبد الله بن لهيعة حدثنا دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري عن الرسول صلى الله عليه وسلم أن رجلاً قال : يا رسول الله ، طوبى لمن رآك وآمن بك . قال : "**طوبى لمن رآني وآمن بي ، ثم طوبى ، ثم طوبى ، ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرآني**" . قال له رجل : وما =

= الطوبى ؟ . قال : "**شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها"*** . له شواهد في الصحيحين وقد روى ابن جرير عن وهب بن منبه ها هنا أثر غريباً عجيباً ، قال وهب : إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى ، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها ، زهرها رياط ، وورقها برود ، وقضبانها عنبر ، وبطحاؤها ياقوت ، وترابها كافور، ووحلها مسك ، ويخرج من أصلها أنهار الخمر واللبن والعسل ، وهي مجلس لأهل الجنة ، فبينما هم في مجلسهم إذ أتتهم الملائكة من ربهم يقودون نجباً ، مزمومة بسلاسل من ذهب ، وجوهها كالمصابيح من حسنها ، ووربرها كخز المرعزّي من لينه ، عليها رحال أولاحها من ياقوت ، ودفوفها من ذهب ، وثيابها من سندس واستبرق ، فينيخونها ويقولون : إن ربنا ارسلنا إليكم لتزوروه وتسلموا عليه ، قال : فيركبونها ، قال : فهي أسرع من الطائر ، وأوطأ من الفراس ، خبا من غير مهنة ، يسير الرجل إلى جنب أخيه وهو يكلمه ويناجيه ، لا تصيب أذن راحلة منها أذن صاحبتها ، ولا برك راحلة برك الأخرى ، حتى إن الشجرة لتتنحى عن طريقهم لئلا تفرق بين الرجل وأخيه ، قال : فيأتون إلى الرحمن الرحيم ، فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه ، فإذا رأوه قالو : اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، وحق لك الجلال والإكرام، قال : فيقول تبارك وتعالى عند ذلك :"أنا السلام ، ومني السلام ، وعليكم حقت رحمتي ومحبتي ، مرحباً بعبادي الذين خشوني بالغيب ، وأطاعوا أمري" قال فيقولون : ربنا إنا لم نعبدك حق عبادتك ، ولم نقدرك حق قدرك ، فأذن لنا بالسجود قدامك ، قال : قول الله "إنها ليست دار عبادة ولا نصب ، ولكنها دار ملك ونعيم ، وإني قد رفعت عنكم نصب العبادة ، فسلوني ما شئتم ، فإن لكل رجل منكم أمنيته" فيسألونه حتى إن أقصرهم أمنية ليقول ربّ تنافس أهل الدنيا في دنياهم فتضايقوا ، ربّ فآتني مثل كل شيء كانوا فيه من يوم خلقتها إلى أن انتهت الدنيا ، فيقول الله تعالى " لقد قصرت بك أمنيتك ، ولقد سألت دون منزلتك ، هذا لك مني لأنه ليس في عطائي نكدٌ ، ولا قصر يدٍ " ، قال : ثم يقول : "أعرضوا على عبادي ما لم تبلغ أمانيهم التي في أنفسهم ، فيكون فيما يعرضون عليهم براذين مقرنة ، على كل أربعة منها =

* رواه أحمد برقم (١١٦٩٦) ، والحديث صحيح بشواهده انظر : الصحيحة برقم (١٢٤١) .

= سرير من ياقوتة واحدة ، على كل سير منها قبة من ذهب مفرغة ، في كل قبة منها فرش من فرش الجنة مظاهرة ، في كل قبة منها جاريتان من الحور العين ، على كل جارية منهم ثوبان من ثياب الجنة ، وليس في الجنة لون إلا وهو فيهما ، ولا طيب إلا وقد عبق بهما ، ينفذ ضوء وجوهما غلظ القبة حتى يظن من يراهما أنهما دون القبة ، يرى مخهما من فوق سوقهما كالسلك الأبيض في ياقوتة حمراء ، يريان له من الفضل على صحابته كفضل الشمس على الحجارة أو أفضل ، ويرى لهما مثل ذلك ، ثم يدخل إليهما فيحييانه ويقبلانه ويعانقانه ، ويقولان له ما ظننا أن الله يخلق مثلك ، ثم يأمر الله الملائكة فيسيرون بهم صفاً في الجنة حتى ينتهي كل رجل منهم إلى منزلته التي أعدت له . اهـ .

قوله "**أشعث**" مجرورة بالفتحة لأنه اسم لا ينصرف للوصف ووزن الفعل ، و"**رأسه**" مرفوع على الفاعلية ، وهو طائر الشعر ، شغله الجهاد في سبيل الله عن التنعم بالادهان وتسريح الشعر قوله "**مغبرة قدماه**" هو بالجر صفة ثانية لعبد . قوله "**إن كان في الحراسة**" أي حامية الجيش عن أن يهجم العدو عليهم . قوله "**كان في الحراسة**" أي غير مقصر فيها ولا غافل ، قوله "**وإن كان في الساقة كان في الساقة**" أي في مؤخرة الجيش يقلب نفسه في مصالح الجهاد وبما فيه حفظ المجاهدين من عدوهم ، قال الخلخالي : المعنى ائتماره بما أمر ، وإقامته حيث أقيم ، لا يفقد من مكانه ، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما اشد مشقة . قوله "**إن استأذن لم يؤذن له**" أي إن استأذن على الأمراء ونحوهم لم يأذنوا له ، لأنه لا جاه له عندهم ولا منزلة لأنه ليس من طلابها ، وإنما يطلب ماعند الله . قوله "**وإن شفع لم يشفّع**" يعني لو ألجأته الحال إلى أن يشفع في أمر يحبه الله ورسوله لم تقبل له شفاعة عند الأمراء ونحوهم ، وعن عثمان رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "**حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يصام نهارها ويقام ليلها**"* .

وروى الحافظ ابن عساكر** في ترجمة عبدالله بن المبارك من طريق محمد بن إبراهيم بن أبي =

* رواه أحمد برقم (١١٦٩٦) ، والحديث صحيح بشواهده انظر : الصحيحة برقم (١٢٤١) .

** هو القاسم بن الحافظ أبي القاسم علي بن الحسن أبو محمد بن عساكر ، توفي سنة٦٥٠هـ ، انظر : العبر ١٣٠/٣ ، السير ٤٠/٢١ ، الشذرات ٣٤٧/٤ .

آخذ بعنان فرسه فى سبيل ا لله ، أشعث رأسه ، مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة ، وإن كان فى الساقة كان فى الساقة ، إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع " .

- سكينة قال : أملى علي عبدالله بن المبارك هذه الأبيات بطرسوس ، وودعته للخروج ، وأنفذها معي إلى الفضيل بن عياض في سنة سبعين ومائة .

يا عابدَ الحرمين لو أبصرتنا	لعلِمتَ أنّك بالعِبادةِ تلعَبُ
مَنْ كَان يخضب خدّه بدموعِهِ	فنُحُورنا بدمَائِنا تتخضّبُ
أو كان يُتعِبُ خيلَه في بَاطِلٍ	فخُيولنا يومَ الصبيحةِ تتعبُ
ريحُ العَبير لَكُم ، ونحن عبيرنا	رهجُ السنَابك والغبار الأطّيبُ
ولقَد أتانا من مقَالِ نبينا	قَولٌ صحيحٌ صادقٌ لا يكذِبُ
لا يستوي غبارُ خيلِ ا لله في	أنفِ امرئ ودخانُ نار تلهبُ
هذا كتابُ ا لله ينطِقُ بيننَا	ليس الشهيد بميتٍ، لا يكذِبُ

قال : فلقيت الفضيل بكتابه في المسجد الحرام ، فلما قرأه ذرفت عيناه وقال : صدق أبوعبدالرحمن ونصحني ، ثم قال : أنت ممن يكتب الحديث؟ قلت : نعم . قال لي : أكتب الحديث كراء حملك كتاب أبي عبدالرحمن إلينا ، وأملى علي الفضيل بن عياض : حدثنا منصور بن المعمر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رجلاً قال : يا رسول ا لله ، علمني عملاً أنال به ثواب المجاهدين في سبيل ا لله . فقال : "**هل تستطيع أن تصلي فلا تفتر ، وتصوم فلا تفطر؟**" فقال : يا رسول ا لله ، أنا أضعف من أن أستطيع ذلك ، ثم قال النبي صلى ا لله عليه وسلم : "**فوالذي نفسي بيده لو طوقت ذلك ما بلغت فضل المجاهدين في سبيل ا لله ، أو ما علمت أن فرس المجاهد ليستن في طوله فيكتب له بذلك حسنات**"* .

***

---

* الحديث رواه البخاري برقم (٢٦٣٣) ، ومسلم برقم (١٨٧٨) .

﴿٣٨﴾ باب

من أطاع العلماء والأمراء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أربابا من الله[1]

وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقولون : قال أبوبكر وعمر ؟ .

وقال أحمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، ويذهبون إلى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ

---

(١) قوله : "باب **من أطاع العلماء والامراء فى تحريم ما احل الله أو تحليل ما حرمه الله ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله** " فيه إشارة إلى قوله تعالى ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا﴾ [الأحزاب :٦٧] .

(٢) قوله " وقال ابن عباس : يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء ، أقول قال رسول الله عليه وسلم وتقولون قال أبوبكر وعمر " . وقال أيضاً : أراهم سيهلكون أقول قال رسول الله عليه وسلم ويقولون قال أبوبكر وعمر . وفى صحيح مسلم عن أبى مليكة أن عروة بن الزبير قال لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمر الناس بالعمرة فى هذا العشر ، وليس فيها عمرة ، فقال عروة : فإن أبا بكر وعمر لم يفعلا ذلك فقال الرجل : من ها هنا هلكتم ما أرى الله إلا سيعذبكم ، أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخبرونى بأبى بكر وعمر ؟ .

قال الإمام الشافعى رحمه الله تعالى : أجمع العلماء على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد .

وقال الإمام مالك رحمه الله تعالى : ما منا إلا رادّ ومردود عليه ، إلا صاحب هذا القبر صلى الله عليه وسلم .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ليس أحد إلا يؤخذ من قوله ، ويُدع ، غير النبي صلى الله عليه وسلم .

﴿يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور :٦٣] أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك[1] .

---

[1] قوله "وقال أحمد بن حنبل : عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ، ويذهبون إلى رأى سفيان ، والله تعالى يقول : ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور :٦٣] أتدرى ما الفتنة ؟ الفتنة الشرك ، لعله إذا ردّ بعض قوله أن يقع فى قلبه شيء من الزيغ فيهلك" . قال الإمام أحمد نظرت في المصحف فوجدت طاعة الرسول في ثلاث وثلاثين موضعاً ، ثم جعل يتلو ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ .

وسفيان هو الثوري الإمام الزاهد العابد الثقة الفقيه ، وكان له أصحاب يأخذون عنه ومذهبه مشهور ، وقد عمّت البلوى بهذا المنكر الذي أنكره الإمام أحمد ، خصوصاً فيمن ينتسب إلى العلم والإفتاء والتدريس ، وزعموا أنه لا يأخذ بأدلة الكتاب والسنة إلا المجتهد ، والاجتهاد قد انقطع ، وقد أخطأوا في ذلك ، وقد استدل الإمام أحمد رحمه الله تعالى بقوله صلى الله عليه وسلم **"لا تزال طائفة من أمتي على الحق منصورة لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"*** على أن الاجتهاد لا ينقطع ، وحكى ابن عبدالبر الإجماع على أن المقلد لا يكون من أهل العلم ، والأئمة لم يقصروا في البيان ، بل نهوا عن التقليد ، إذا استبانت السنة ، قال أبوحنيفة : إذا جاء الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن الصحابة رضي الله عنه فعلى الرأس والعين ، وإذا جاء عن التابعين فنحن رجال وهم رجال . وقال : إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه فاتركوا قولي لكتاب الله تعالى ، قيل : إذا كان قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يخالفه ؟ قال : اتركوا قولي لخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قيل : إذا كان قول الصحابة يخالفه؟ قال : اتركوا قولي لقول الصحابة .

وقد تقدم قول الإمامين مالك والشافعي فعلى من اشتغل بمصنفات أهل مذهبه أن ينظر في =

---

* رواه البخاري برقم (٣٦٤٠) ، ومسلم برقم (١٩٢١) .

عن عديّ بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية **﴿اتخذوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** ، فقلت له : إنا لسنا نعبدهم ، قال : **"أليس يحرّمون ما أحلّ الله ، فتحرّمونه ، ويحلّون ما حرّم الله ، فتحلونه "** ؟ فقلت : بلى . قال : **"فتلك عبادتهم"** . رواه أحمد والترمذي وحسنه[1] .

= أقوال المخالفين وما استدلوا به فيكون متبعاً للدليل مع من كان معه . وبالله التوفيق .

[1] عن عدي بن حاتم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية **﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾** الآية [التوبة :٣١] ، **فقلت له : إنا لسنا نعبدهم ، قال : "أليس يحرمون ما أحل الله ، فتحرمونه ، ويحلون ما حرم الله ، فتحلونه ؟ فقلت :** بلى . قال : **"فتلك عبادتهم"** . رواه أحمد والترمذي وحسنه* .

قوله "عدي بن حاتم" أي الطائي المشهور بالسخاء والكرم ، قدم عدي على رسول الله في شعبان سنة تسع من الهجرة فأسلم وعاش مائة وعشرين سنة ، وقد أشار المصنف رحمه الله تعالى بترجمة الباب إلى هذا الحديث وما في معناه ، وفيه دليل على أن طاعة الأحبار والرهبان في معصية الله عبادة لهم من دون الله .

قال شيخنا في المسائل : "فتغيرت الأحوال وآلت إلى هذه الغاية ، فصار عند الأكثر عبادة الرهبان هي أفضل الأعمال ويسمونها الولاية ، وعبادة الأحبار هي العلم والفقه ، ثم تغيرت الحال إلى أن عبد من ليس من الصالحين ، وعبد بالمعنى الثاني من هو من الجاهلين" .

وعن زياد بن حدير قال : قال لي عمر : هل تعرف ما يهدم الإسلام ، قلت : لا ، قال : يهدمه زلة العالم ، وجدال المنافق بالكتاب ، وحكم الأئمة المضلين** . رواه الدارمي . جعلنا الله وإياكم من الذين يهدون بالحق وبه يعدلون ، فكم ضلّ من ضلّ ، وزلّ من زلّ .

---

* مضى تخريجه في الباب السادس .

** تقدم تخريجه .

﴿٣٩﴾ باب

قوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[1] الآيات [النساء : ٦٠] .

---

[1] قوله "باب قول الله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ الآية .

قال العماد ابن كثير : والآية ذامة لمن عدل عن الكتاب والسنة وتحاكم إلى ما سواهما من الباطل ، وهو المراد بالطاغوت ههنا ، وكل من عبد شيئاً دون الله بأي نوع كان من أنواع العبادة كالدعاء والاستغاثة فإنما عبد الطاغوت ، فإن كان المعبود صالحاً كانت عبادة العابد له واقعة على الشيطان الذي أمره بعبادته وزينها له كما قال تعالى : ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ * قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾ [سبأ : ٤٠-٤١] ، وقال تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنْتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُمْ مَا كُنْتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ * فَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِنْ كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ﴾ [يونس :٢٨-٢٩] والآية بعدها ، وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه كالطواغيت ، أو كان شجراً أو حجراً أوقبراً كاللات والعزى ومناة وغير ذلك مما كان يتخذه المشركون لهم أصناماً على صور الصالحين والملائكة أو غير ذلك ، فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته ويتبرأوا منه ، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائناً من كان ، فالتوحيد هو الكفر بكل ما عبد من دون الله كما قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾الآية [الزخرف :٢٧-٢٨] ، فلم يستثن من كل معبود إلا الذي فطره سبحانه وتعالى . وهذا معنى لا إله إلا الله كما تقدم ، وكما في قوله تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ =

= ﴿مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾ [الممتحنة :٤] . وكذلك من خالف حكم الله ورسوله بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله او مع الجهل بذلك ، أو طلب ذلك أن يتبع عليه ، أو أطاعه فيما يعلم أنه حق إذا كان المطيع له لا يبالي أكان أمره حقاً أم لا فهو طاغوت بلا ريب كما قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد كما في آية البقرة ، فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن قد نفى ما نفته لا إله إلا الله . قوله ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ أي بعيداً عن الهدى ، ففي هذه الآية أربعة أمور :

الأول : أنه من إرادة الشيطان . **الثاني** : أنه ضلال .

الثالث : تأكيده بالمصدر **الرابع** : وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى .

فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وما أنفعه لمن تدبره ، وما أبلغه وما أدله على أنه كلام رب العالمين أوحاه إلى رسوله الكريم ، وبلغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليهما . وقوله ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا﴾ فإن المنافق يكره الحق وأهله ويهوى ما يخالفه من الباطل ، وهذه حال أهل النفاق ، قال العلاّمة ابن القيم : هذا دليل على أن من دعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين قلت : فما أكثرهم لا كثرهم الله قال : ﴿يَصُدُّونَ﴾ لازم وهو بمعنى يعرضون لأن مصدره ﴿صُدُودًا﴾ فما أكثر من اتصف بهذا الوصف خصوصاً من يدعي العلم ، فإنهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله إلى أقوال من يخطئ كثيراً ممن ينتسب إلى مذهب من مذاهب الأربعة في تقليدهم من لا يجوز تقليده فيما يخالف الدليل فصار المتبع للرسول صلى الله عليه وسلم بين أولئك غريباً ، وقد عمت البلوى بهذا .

وقوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾[1] [البقرة :١١] .

وقوله : ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾[2] [الأعراف :٨٥] .

---

[1] وقوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ قال أبوالعالية في الآية : يعني لا تعصوا في الأرض ، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله ، ومناسبة الآية للترجمة أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين ، وهو من الفساد في الأرض ، وفي الآية التنبيه على عدم الاغترار بأقوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوى .

[2] وقوله : ﴿وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾ . قال أبوبكر بن عياش* في الآية : إن الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم إلى أهل الأرض وهم في فساد ، فأصلحهم الله بمحمد صلى الله عليه وسلم ، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم فهو من المفسدين في الأرض ، قال ابن القيم : قال أكثر المفسرين : لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله ، بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة والدعاء إلى طاعة الله ، فإن عبادة غيرالله والدعوة إلى غيره والشرك به هو أعظم فساد في الأرض ، بل فساد الأرض في الحقيقة إنما هو بالشرك ، والدعوة إلى غير الله وإقامة معبود غيره ومطاع ومتبع غير رسول الله هو أعظم الفساد في الأرض ، ولا صلاح لها ولا لأهلها إلا بأن يكون الله وحده هو المعبود المطاع ، والدعوة له لا لغيره ، والطاعة والاتباع لرسوله ليس إلا ، وغيره إنما تجب طاعته إذا أمر بطاعة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإذا أمر بمعصيته وخلاف شريعته فلا سمع ولا طاعة ، ومن تدبر أحوال العالم وجد كل صلاح في الأرض فسببه توحيد الله وعبادته وطاعته وطاعة رسوله ، وكل فتنة في العالم وبلاء وشر وقحط وتسليط عدو وغير ذلك فسببه مخالفة رسوله والدعوة إلى غير الله ورسوله . انتهى . وبما ذكرنا يتبين مطابقة الآية للترجمة .

---

* هو أبوبكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي الحناط ، توفي سنة ١٩٣هـ ، انظر : النهاية ٢٣٣/١٠ ، العبر ٢٤٤/١ ، الشذرات ٣٣٤/١ .

وقوله ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾[1] الآية [المائدة : ٥٠] .

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** " قال النووى : حديث صحيح ، رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح[2] .

---

[1] وقوله ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ الآية . قال ابن كثير : ينكر تعالى على من خرج على حكم الله المشتمل على كل خير والناهي عن كل شر ، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام اقتبسه من شرائع شتى ، وفيها كثر من الأحكام أخذها عن مجرد نظره ، وصار في بنيه شرعاً يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنة ، ومن فعل ذلك فهو كافريجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير .

قوله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ؟ استفهام إنكار ، أي لا حكم أحسن من حكمه ، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك ، أي ومن أعدل من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه ، وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين وأرحم بعباده من الوالدة بولدها ، العليم بمصالح عباده ، القادر على كل شيء ، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره .

[2] قوله : عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لايؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به** " قال النووى : حديث صحيح ، رويناه فى كتاب الحجة بإسناد صحيح* . هذا الحديث رواه الشيخ أبوالفتح نصر بن إبراهيم المقدسي الشافعي في كتاب "الحجة على تارك المحجة" بإسناد صحيح كما قال المصنف عن النووي ، ورواه الطبراني وأبوبكر بن عاصم والحافظ أبونعيم في الأربعين التي شرط لها أن تكون في صحاح الأخبار ، =

---

* الحديث في إسناده ضعف ، وقد أطال فيه النَفَس الحافظ ابن رجب في "جامع العلوم والحكم" ، فليراجع فإنه نافع .

= وشاهده في القرآن قال تعالى : ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء :٦٥] ، وقوله : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب :٣٦] ، وقوله : ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [القصص :٥٠] ، ونحو ذلك من الآيات .

قوله "**حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به**" الهوى بالقصر أي ما تهواه وتحبه نفسه فإن كان لذي يحبه وتميل إليه نفسه ويعمل به تابعاً لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم لا يخرج عنه لى ما يخالفه فهذه صفة أهل الإيمان المطلق الذي يوجب لصاحبه الجنة والنجاة من النار ، وإن كان بخلاف ذلك أو في بعض أحواله أو أكثرها انتفى عنه من الإيمان كماله الواجب ، فيطلق عليه مؤمن بقيد ، لنقص إيمانه بمعصية ، كما في حديث أبي هريرة "**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن**"* فيكون مسلماً ومعه مطلق الإيمان الذي لا يصلح إسلامه إلا به ، وهذا التوحيد الذي لا يشوبه شرك ولا كفر ، وهذا هو الذي يذهب إليه أهل السنة والجماعة ، خلافاً للخوارج والمعتزلة ، فإن الخوارج يكفرون بالذنوب ، والمعتزلة لا يطلقون عليه الإيمان ويقولون بتخليده في النار ، وكلا الطائفتين ابتدع في الدين وترك ما دل عليه الكتاب والسنة وقد قال تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء :٤٨] فقيّد مغفرة ما دون الشرك بالمشيئة ، وتواترت الأحاديث بما يحقق ما ذهب إليه أهل السنة ، فقد أخرج البخاري وغيره عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن شعيرة من خير ، ويخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن برة من خير ، ويخرج من لانار من قال لا إله إلا الله وفي قلبه وزن ذرة من خير**"** .

---

* رواه البخاري برقم (٢٤٧٥) ، ومسلم برقم (٥٧) .

** رواه البخاري برقم (٤٤) ، ومسلم برقم (١٩٣) .

وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : نتحاكم إلى محمد - عرف أنه لايأخذ الرشوة - وقال المنافق : نتحاكم الى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا على أن يأتيا كاهناً فى جهينة فيتحاكما إليه ، فنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية . وقيل : نزلت فى رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال آخر : الى كعب بن الأشرف . ثم نترافع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم . فضربه بالسيف فقتله[1] .

---

[1] قوله : وقال الشعبي : كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة ، فقال اليهودى : نتحاكم إلى محمد - عرف أنه لايأخذ الرشوة - وقال المنافق : نتحاكم الى اليهود ، لعلمه أنهم يأخذون الرشوة ، فاتفقا على أن يأتيا كاهناً فى جهينة فيتحاكما إليه ، فنزلت ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ﴾ الآية .

وقيل : نزلت فى رجلين اختصما ، فقال أحدهما : نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال آخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم نترافع إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال الآخر : إلى كعب بن الأشرف . ثم ترافعا إلى عمر ، فذكر له أحدهما القصة ، فقال للذى لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم : أكذلك ؟ قال : نعم . فضربه بالسيف فقتله* .

قوله : " قال الشعبي " هو عامر بن شراحيل الكوفي ، وتقدم في قصة عمر وقتله المنافق - الذي طلب التحاكم إلى كعب بن الأشرف - دليل على قتل من أظهر الكفر والنفاق ، وكان كعب بن الأشرف هذا شديد العداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والأذى له والإظهار لعداوته ، فانتقض به عهده ، وحل به قتله ، وقصة قتله مذكورة في كتب الأحاديث والسير وغيرها .

---

* انظر تفسير ابن كثير ١/٥٢٠ .

﴿٤٠﴾ باب

من جحد شيئاً من الأسماء والصفات

وقوله الله تعالى ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾[1] الآية .

---

[1] قوله : "**باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات** وقوله الله تعالى **﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾** الآية" . سبب نزول الآية معلوم ، وهو أن قريشاً جحدوا اسم الرحمن عناداً ، قال تعالى : **﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾** [الإسراء :١١٠] ، فالرحمن اسمه وصفته ، فالرحمة وصفه القائم به ، فإذا كان المشركون جحدوا اسماً من أسمائه الذي دل على كماله تعالى فجحود معناه كجحود لفظه ، فإن الجهمية يزعمون أنها لا تدل على صفة قائمة با لله تعالى ، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشاعرة ، فلهذا كفّرهم كثير من أهل السنة* ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى :

ولقد تقلّدَ كفّرهم خمسُون في ... عَشرٍ من العلمـــاءِ في البلدَانِ

واللالكائي الإمامُ حَكَـاهُ عنـ ... ـهم ، بل حَكَاه قَبل الطبراني

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم من أهل الكلام على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسول الله صلى الله عليه وسلم من صفات كمال ونعوت جلاله ، وبنوا هذا التعطيل على أصل فاسده أصّلوه من عند أنفسهم ، و لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين ، فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه ، ثم عطلوه من صفات كماله وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات ، فشبهوا أولاً ، وعطلوا ثانياً ، وشبهوا ثالثاً بكل ناقص أو معدوم ، فتركوا ما دل عليه صريح الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلال وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال تعالى : **﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾** [الشورى :١١] ، وقد صنف أئمة السنة – لما حدثت بدعة الجهمية – مصنفات كثيرة في الرد عليهم كالإمام أحمد وابنه عبدالله والخلال وأبي بكر الأثرم وعثمان بن سعيد الدارمي وإمام =

---

* أي كفروا الجهمية لا المعتزلة والأشاعرة ، بل هما من أهل الأهواء والبدع .

وفى صحيح البخارى قال علي : حدّثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يُكذّب الله ورسوله؟[1] .

وروى عبد الرزّاق عن مَعمَر عن طاوُس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الصفات استنكاراً لذلك ، فقال : ما فَرَقُ هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه[2] .

= الأئمة محمد بن خزيمة وأبي عثمان الصابوني وخلق من أئمة السنة لا يمكن حصرهم ، وكذلك من بعدهم كأبي محمد عبدالله بن أحمد موفق الدين وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية ومن في طبقتهم كالعماد ابن كثير والحافظ ابن عبدالهادي وابن رجب والذهبي وغيرهم من أهل السنة والجماعة ، وكتبهم مشهورة موجودة بين أهل السنة والجماعة ، فلله الحمد على ظهور الحق ونشره والدعوة إليه والمحافظة عليه* .

[1] قوله : قال علي : حدّثوا الناس بما يعرفون ، أتريدون أن يكذّب الله ورسوله؟ . وهذا - والله أعلم - قاله حين كثر القصّاص في خلافته ، وصاروا يذكرون أحاديث ليست من الأحاديث المعروفة ، ولهذا كثر الوضع بهذا السبب ، وغير المعروف يحتل أن يكون فيها ما يصح وما لا يصح ، فإذا سمعه من لم يعرفه أنكره ، وربما كان حقاً ، فلا ينبغي التحديث إلا بما صح وثبت واشتهر عن المحدثين والفقهاء ، وما ليس كذلك فلا ينبغي أن يحدث به لاحتمال أن يكون غير صحيح ، وقد كان أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ينهي عن القصص لما فيه من التساهل في النقل ويقولون : لا يقص إلا أمير أو مأمور .

[2] قوله : "وروى عبد الرزّاق عن مَعمَر عن طاوُس عن أبيه عن ابن عباس أنه رأى رجلاً انتفض لما سمع حديثاً عن النبي صلى الله عليه وسلم فى الصفات استنكاراً لذلك ، فقال : ما فَرَقُ هؤلاء ؟ يجدون رقة عند محكمه ، ويهلكون عند متشابهه"** . قوله "وروى عبدالرزاق" هو ابن همام الصنعاني المحدث محدث اليمن صاحب التصانيف ، أكثر الرواية عن معمر =

---

* كل هذه الكتب مطبوعة ومتوفرة ولله الحمد .

** رواه عبدالرزاق في مصنفه برقم (٢٠٨٩٥) ، وابن أبي عاصم في السنة برقم (٤٨٥) ، وإسناده صحيح .

= بفتح الميمين وسكون العين أبوعروة بن أبي عمرو راشد الأزدري الحراني ثم اليماني ، من أصحاب محمد بن شهاب الزهري ، يروي عنه كثيراً .

قوله " عن ابن طاوس" هو عبدا لله بن طاوس اليماني ، قال معمر : كان من أعلم الناس ، مات سنة اثنتين وثلاثين ومائة . قوله "عن أبيه" هو طاوس بن كيسان الجَنَدي - بفتح الجيم والنون - الإمام العالم ، قيل اسمه ذكوان قال ابن الجوزي ، قلت : وهو من أئمة التفسير ومن أوعية العلم ، قال في تهذيب الكمال عن الوليد الموقري عن الزهري قال : قدمت على عبدالملك بن مروان فقال : من أي قدمت يا زهري ؟ قال : قلت من مكة ، قال من خلفت يسودها وأهلها؟ ، قلت : عطاء بن أبي رباح . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قلت : من الموالي . قال : فبما سادهم ؟ . قال قلت : بالديانة والرواية . قال : إن أهل الديانة والرواية لينبغي أن يسودوا . قال : فمن يسود أهل اليمن ؟ قلت : طاوس بن كيسان . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي ، قال : فبم سادهم ؟ قلت : بما ساد به عطاء . قال : إنه لينبغي ذلك . قال : فمن يسود أهل مصر ؟ قلت : يزيد بن أبي حبيب . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل الشام ؟ قلت : مكحول . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي ، عبد نوبي أعتقته امرأة من هذيل . قال : فمن يسود أهل الجزيرة ؟ قلت : ميمون بن مهران . قال : فمن العرب أم من الموالي؟ قال قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل خراسان ؟ قال قلت : الضحاك بن مزاحم . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : فمن يسود أهل البصرة ؟ قلت : الحسن البصري . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من الموالي . قال : ويلك ومن يسود أهل الكوفة ؟ قال قلت : إبراهيم النخعي . قال : فمن العرب أم من الموالي ؟ قال قلت : من العرب . قال : ويلك يا زهري ، فرجت عني ، وا لله لتسودن الموالي على العرب حتى يخطب لها على المنابر والعرب تحتها ، قال قلت : يا أمير المؤمنين إنما هو دين ، من حفظه ساد ، ومن ضيعه سقط .

قوله "ما فَرَق هؤلاء؟" يستفهم من أصحابه ، يشير إلى أناس ممن يحضرون مجلسه فإذا =

ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾[1] .

= سمعوا شيئاً من محكم القرآن حصل منهم فَرَق أي خوف ، فإذا سمعوا شيئاً من أحاديث الصفات انتفضوا كالمنكرين للمعنى ، ولا يتم الإيمان إلا بقبول اللفظ بمعناه الذي دل عليه ظاهراً ، فإن لم يقبل معناه أو رده أو شك فيه لم يكن مؤمناً به فيكون هلاكاً ، وقد ظهر من البدع في زمن ابن عباس بدعة القدرية كما في صحيح مسلم وغيره ، فقتل من دعاتهم غيلان ، قتله هشام بن عبدالملك لما أصر على قوله بنفي القدر ، ثم بعد ذلك أظهر الجعد بن درهم بدعة الجهمية فقتل ، قتله خالد بن عبدالله القسري يوم الأضحى بعد صلاة العيد ، قال : قال الذهبي قال أحمد : حدث وكيع عن إسرائيل بحديث "إذا جلس الرب على الكرسي" فاقشعر رجل عند وكيع ، فغضب وكيع وقال : أدركنا الأعمش وسفيان يحدثون بهذه الأحاديث ولا ينكرونها . أخرجه عبدالله في الرد على الجهمية .

والواقع من أهل البدع وتحريفهم لمعنى الآيات يبين معنى قول ابن عباس ، وسبب هذه البدع جهل أهلها وقصورهم في الفهم وعدم أخذ العلوم الشرعية على وجهها وتلقيها من أهلها العارفين لمعناها الذين وفقهم الله تعالى لمعرفة المراد والتوفيق بين النصوص والقطع بأن بعضها لا يخالف بعضاً ورد المتشابه إلى المحكم ، وهذه طريقة أهل السنة والجماعة في كل زمان ومكان ، فلله الحمد لا نحصي ثناء عليه .

[1] ولما سمعت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرحمن أنكروا ذلك ، فأنزل الله فيهم ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ﴾ الآية . روى ابن جرير عن ابن عباس قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ساجداً "يا رحمن يا رحيم" فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو يدعو مثنى مثنى فأنزل الله : ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ .

﴿ ٤١ ﴾ باب[1]

قول ا لله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ الآية [النحل :٨٣] .

قال مجاهد ما معناه : هو قول الرجل : هذا مالي ، ورثته عن آبائي . وقال عون بن عبد ا لله : يقولون لولا فلان لم يكن كذا . وقال ابن قتيبة : يقولون هذا بشفاعة آلهتنا .

وقال أبو عباس – بعد حديث زيد بن خالد الذى فيه " **إن ا لله تعالى قال : أصبح من عبادي مؤمن بى وكافر** " الحديث ، وقد تقدم – : وهذا كثير فى الكتاب والسنة ، يذُمُّ سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ، ويشرك به . قال بعض السلف : هو كقولهم كانت الريح طيبة والملاّح حاذقاً ، ونحو ذلك مما هو جارٍ على ألسنة كثير .

---

[1] قوله : باب قول ا لله تعالى : ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ الآية . قال ابن جرير : فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى بالنعمة ، فذكر عن سفيان عن السدي ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ قال : محمد صلى ا لله عليه وسلم .. وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يعرفون أن ما عدد ا لله تعالى ذكره في هذه السورة من النعم من عند ا لله وأن ا لله هو المنعم عليهم بذلك ، ولكنهم ينكرون ذلك فيزعمون أنهم ورثوه عن آبائهم . وأخرج عن مجاهد ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾ قال : هي المساكن والأنعام وما يرزقون منها والسرابيل من الحديد والثياب ، يعرف هذا كفار قريش ثم ينكرونه بأن يقولوا هذا كان لآبائنا فورثونا إياه . قوله "وقال عون بن عبدا لله : يقولون لولا فلان لم يكن كذا" . عون بن عبدا لله بن عتبة بن مسعود الهذلي أبوعبدا لله الكوفي الزاهد ، عن أبيه وعائشة وابن عباس ، وعنه قتادة وأبوالزبير والزهري، وثقه أحمد وابن معين ، قال البخاري : مات بعد العشرين ومائة ، واختار ابن جرير القول الأول ، واختار غيره أن الآية تعم ما ذكره العلماء في معناها وهو الصواب . قوله "وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : يذم سبحانه من يضيف إنعامه إلى غيره ويشرك به ، قال بعض السلف هو كقولهم كانت الريح طيبة ، والملاح حاذقاً ، ونحو ذلك مما هو جار على ألسنة كثير . اهـ وكلام شيخ الإسلام يدل على أن حكم هذه الآية عام فيمن نسب النعم إلى غير ا لله وأسند أسبابها إلى غيره كما هو مذكور في كلام المفسرين المذكور بعضه هنا وذلك من أنواع الشرك كما لا يخفى .

﴿٤٢﴾ باب

قول الله تعالى : ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1] [البقرة :٢٢] .

قال ابن عباس[2] في الآية : الأنداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلان ، هذا كله شرك . رواه ابن أبي حاتم .

وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " من

---

[1] قول الله تعالى : ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . الندّ : المثل والنظير ن وجعل الند لله هو صرف أنواع العبادة أو شيء منها لغير الله كحال عبدة الأوثان الذين يعتقدون فيمن دعوه ورجوه أنه ينفعهم ويدفع عنهم ويشفع لهم ، قال تعالى : ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ ، قال العماد ابن كثير في تفسيره : قال أبوالعالية : ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال : عدلاء شركاء ، وهكذا قال الربيع بن أنس وقتادة والسدي وأبومالك وإسماعيل بن أبي خالد ، وقال ابن عباس ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أي لا تشركوا بالله شيئاً من الأنداد التي لا تنفع ولا تضر ، وأنت تعلمون أنه ربكم لا يرزقكم غيره ، وقد علمتم أن الذي يدعوكم الرسول إليه من توحيده هو الحق الذي لا شك فيه . وقال مجاهد ﴿فَلاَ تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ قال : تعلمون أنه إله واحد في التوراة والإنجيل .

[2] قوله : "قال ابن عباس في الآية : الأنداد هو الشرك ، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء ظلمة الليل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص ، وقول الرجل لصاحبه : ما شاء الله وشئت ، وقول الرجل : لولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلان ، هذا كله به شرك ". وهذا من ابن عباس رضي الله عنه تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى .

حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك" . رواه الترمذي وحسّنه ، وصححه الحاكم[1] .

وقال ابن مسعود : لأن أحلف با لله كاذباً أحبُّ إلي من أن أحلف بغيره صادقاً[2] .

وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **"لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا :ما شاء الله ثم شاء فلان"** رواه أبوداود بسند صحيح[3] .

وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره : أعوذ با لله وبك ، ويجوز أن يقول : با لله ثم بك قال : ويقول لولا الله ثم فلان ، ولا تقولوا : لولا الله وفلان[4] .

---

[1] قوله : "وعمر بن الخطاب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **من حلف بغير الله فقد كفر ، أو أشرك"** . رواه الترمذي وحسّنه ، وصححه الحاكم"* يحتمل أن يكون شكاً من الراوي ، ويحتمل أن تكون "أو" بمعنى الواو فيكون قد كفر وأشرك ، ويكون من باب كفر دون كفر .

[2] قوله : وقال ابن مسعود : لأن أحلف با لله كاذباً أحبُّ إلي من أن أحلف بغيره صادقاً** . والمعلوم أن الحلف با لله كاذباً من الكبائر ، لكن الشرك أكبر من الكبائر وإن كان أصغر كما تقدم .

[3] قوله : وعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال **"لا تقولوا : ما شاء الله وشاء فلان ، ولكن قولوا : ما شاء الله ثم شاء فلان"** .رواه أبوداود بسند صحيح*** وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة ؛ لأنها - في وضعها - لمطلق الجمع بخلاف الفاء وثم ، وتسوية المخلوق بالخالق بكل نوع من العبادة شرك ، وهذا ونحوه من الشرك الأصغر .

[4] قوله : "وجاء عن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول : أعوذ با لله وبك ، ويجوز أن =

---

* رواه الترمذي (١٥٣٥) ، وأبوداود برقم (٣٢٥١) ، وابن حبان برقم (١١٧٧) وإسناد صحيح ، انظر إرواء الغليل برقم (٢٥٦١) ، وصحيح سنن أبي داود برقم (٣٢٥١) ، وصحيح سنن الترمذي برقم (١٥٩٠) .

** رواه الطبراني في الكبير ٢/١٧/٣ وإسناده صحيح ، انظر : الإرواء برقم (٢٥٦٢) ، ومجمع الزوائد ١٧٧/٤ .

*** رواه برقم (٤٩٨٠) والبيهقي ٢١٦/٣ وإسناده صحيح، انظر : الصحيحة برقم (١٣٧) وصحيح سنن أبي داود برقم (٤٩٨٠) .

....

= يقول : با لله ثم بـك قـال : ويقـول لـولا ا لله ثـم فـلان، ولا تقولـوا : لـولا ا لله وفـلان . إبراهيم هو النخعي . وهذا فيما يقدر عليه الحي الحاضر بخلاف من ليس كذلـك ممـن لم يسـمع كلاماً ولا يرد جواباً كالأموات والغائبين .

***

﴿٤٣﴾ باب

ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله

عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حُلِف له بالله فليرض ، ومن لم يرض فليس من الله**" رواه ابن ماجة بسند حسن(١) .

---

(١) قوله : باب **ما جاء فيمن لم يقنع بالحلف بالله** .عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا تحلفوا بآبائكم ، من حلف بالله فليصدق ، ومن حُلف له بالله فليرضى ، ومن لم يرضى فليس من الله**" رواه ابن ماجة بسند حسن* .

قوله " **لا تحلفوا بآبائكم**" تقدم أنه لا يجوز الحلف بغير الله في حق كل أحد . قوله من حلف بالله فليصدق هذا مما أوجبه الله على عباده قال تعالى : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة :١١٩] ، وقال : ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ**﴾ [النحل :١٠٥] .

قوله "**ومن حُلِف له بالله فليرض ومن لم يرض فليس من الله**" هذا من حق المسلم على المسلم أن يقبل منه إذا حلف له معتذراً ، والحديث يدل على الوجوب ومن حقه عليه أن يحسن به الظن إذا لم يتبين كذبه كما في الأثر عن عمر : ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك شراً وأنت تجد لها في الخير محملاً ، وهو من حسن الخلق ومكارم الأخلاق وكمال العقل وقوة الدين .

***

---

* رواه ابن ماجة برقم (٢١٠١) وإسناد صحيح ، انظر : صحيح سنن ابن ماجة برقم (١٧٢١) ، والإرواء برقم (٢٦٩٠) .

﴿٤٤﴾ باب

قول ما شاء الله وشئت

عن قُتيلة أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أي يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت . رواه النسائي وصححه[١] .

---

[١] قوله : باب **قول ما شاء الله وشئت** عن قُتيلة أن يهودياً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت ، وتقولون والكعبة ، فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم إذا أرادوا أن يحلفوا أي يقولوا : ورب الكعبة ، وأن يقولوا : ما شاء الله ثم شئت رواه النسائي وصححه*. قوله "قُتيلة" بمثناه مصغرة بنت صيفي الأنصارية صحابية مهاجرة لها حديث في سنن النسائي وهو المذكور في الباب ورواه عنها عبد الله بن يسار الجعفي ، وفيه قبول الحق ممن جاء به وفيه بيان النهي عن الحلف بالكعبة وغيرها مع أنها بيت الله التي حجها وقصدها بالحج والعمرة فريضة وأنت ترى ما وقع مما يخالف ذلك من الحلف بالكعبة ودعائها وكذا مقام إبراهيم وقل من يسلم من هذا ممن يحج من أهل الأفاق وأهل مكة كما كان يفعل بغيرها والكعبة عظمها الله بأن جعل حجها ركناً على من استطاع وشرع العِبادة عندها وخصها بالفضل ، فالمشروع إنما هو الطواف بها والصلاة إليها لا الحلف بها ونحوه من الشرك في العبادة ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾ [البقرة :٥٩] . وقوله " إنكم تشركون تقولون ما شاء الله وشئت" والعبد وأن كانت له مشيئة فمشيئته تابعة لمشيئة الله كما قال تعالى ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير :٢٩] ، وفي هذه الآية والحديث الرد على القدرية والمعتزلة نفاة القدر الذين يثبتون للعبد مشيئة تخالف ما أراده الله للعبد وما شاءه ، وقد قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر :٤٩] ، وقال =

---

* رواه الطحاوي في "المشكل" ٣٥٧/١ والحاكم ٢٩٧/٤ وإسناده صحيح ، انظر : الصحيحة برقم (١٣٦) .

وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : "**أجعلتني لله نداً ! ما شاء الله وحده**"[1] .

ولابن ماجة عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود ، قلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله ، قالوا : وإنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا : وأنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "**هل أخبرت بها أحداً**" ؟ قلت : نعم . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : "**أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا ، فأخبر بها من أخبر منكم ، وأنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما**

= تعالى : ﴿**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**﴾ [الفرقان :٢] ، وفي الحديث "**أول ما خلق الله القلم ، فقال له اكتب ، فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة**".وهو في الصحيحين وغيرهما* .

[1] قوله : وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم : ما شاء الله وشئت ، فقال : "**أجعلتني لله نداً ! بل ما شاء الله وحده**"** . هذا يبين ما تقدم من أن هذا شرك لأن المعطوف بالواو يساوي المعطوف بالمعطوف عليه لأن الواو وضعت لمطلق الجمع ، ولا يجوز أن يجعل المخلوق مثل الخالق في شيء من الإلهية والربوبية ولو في أقل شيء كما تقدم في الرجلين اللذين قرّب أحدهما ذباباً للصنم فدخل النار . وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم حَمَى حِمَى التوحيد وسد طرق الشرك في الأقوال والأعمال .

---

* رواه أبوداود برقم (٤٧٠٠) ، والترمذي برقم (٣٣١٦) وإسناده صحيح ، انظر صحيح سنن أبي داود (٤٧٠٠) ، ولم أجده في الصحيحين .

** رواه ابن ماجة برقم (٢١١٧) وإسناده صحيح ، انظر صحيح سنن ابن ماجة برقم (١٧٣٣٩ ، والصحيحة برقم (١٣٦،١٣٩،١٠٩٣) ، وصحيح الأدب المفرد برقم ٧٨٧ .

شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا : ما شاء الله وحده"[1] .

---

[1] قوله : ولابن ماجة عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال : رأيت كأني أتيت على نفر من اليهود ، قلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون عزير ابن الله ، قالوا : وإنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، ثم مررت بنفر من النصارى فقلت : إنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون المسيح ابن الله ، قالوا : وأنكم لأنتم القوم ، لولا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ، فلما أصبحت أخبرت بها من أخبرت ، ثم أتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال : "**هل أخبرت بها أحداً**" ؟ قلت : نعم . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : "**أما بعد فإن طفيلاً رأى رؤيا ، فأخبر بها من أخبر منكم ، وأنكم قلتم كلمة كان يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها ، فلا تقولوا : ما شاء الله وشاء محمد ولكن قولوا : ما شاء الله وحده**"* . قوله "عن الطفيل" هو الطفيل بن عبد الله بن سخبرة أخي عائشة لأمها . له حديث عند ابن ماجة وهو ما ذكره المصنف رحمه الله تعالى في الباب ، وهذه الرؤيا حق أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل بمقتضاها ، فنهاهم أن يقولوا ما شاء الله وشاء محمد ، وأمرهم أن يقولوا ما شاء الله وحده ، وقد بلغ صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين . وأنذر عن الشرك ، وحذر عن قليله وكثيره فانظر إلى ما وقع من الشرك العظيم في هذه الأمة ، ينادون الميت من مسافة شهر أو شهرين أو أكثر ، ويعتقدون فيه أنه ينفع ويضر ويسمع ويستجيب من تلك المسافة ، وجعلوا الأموات شركاء لله في الملك والتدبير وعلم الغيب وغير ذلك من خصائص الربوبية ، وتركوا نبيهم وماجاء به وما قاله وما نهى عنه ، كأنهم لم يسمعوا كتاباً ولا سنة وقد بعثه الله بالنهي عن الشرك كما ترى ، فما زال يدعو إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له حتى أكمل الله به الدين ، وأتم عليهم النعمة ، لكن رجعوا من الكمال إلى الضلال ومن سبيل النجاة إلى سبيل الهلاك ، وهذه وإن كانت رؤيا منام فقد أقرها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبر أنها حق .

---

* رواه ابن ماجة برقم (٢١١٨) وإسناده صحيح ، انظر : صحيح سنن ابن ماجة برقم (١٧٣٤) ، **والصحيحة** برقم (١٣٧) .

﴿٤٥﴾ باب
من سبّ الدهر فقد آذى الله

وقول الله تعالى ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**﴾ الآية [الجاثية :٢٤][(١)] .

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **قال الله تعالى يؤذيني ابن آدم يسبّ الدهر وأنا الدهر أقلّب الليل والنهار** " .

وفي رواية : "**لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر**"[(٢)] .

---

(١) قوله : باب **من سبّ الدهر فقد آذى الله** وقول الله تعالى ﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**﴾ الآية قال العماد بن كثير في تفسيره : يخبر تعالى عن دهرية الكفار ومن وافقهم من مشركي العرب في إنكار المعاد . وقالوا :﴿**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا**﴾ أي ما ثَمَّ إلا هذه الدار يموت قوم ويعيش آخرون ، ولا ثَمَّ معاد ولا قيامة وهذا يقوله مشركو العرب المنكرون للمعاد ويقوله الفلاسفة الإلهيون منهم ، وهم ينكرون البداءة والرجعة ، ولهذا قال عنهم ﴿**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**﴾ قال سبحانه ﴿**وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ**﴾ أي يتوهمون ويتخيلون .

(٢) قوله : عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **قال الله تعالى : يؤذيني ابن آدم ، يسب الدهر ، وأنا الدهر ، أقلّب الليل والنهار** " وفي رواية : "**لا تسبّوا الدهر فإن الله هو الدهر**"* . قال في شرح السنة : حديث متفق على صحته ، أخرجاه من طريق معمر من أوجهه عن أبي هريرة ، عال : ومعناه أن العرب كان من شأنها ذم الدهر وسبه عند النوازل ، لأنهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره فيقولون : أصابتهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر ، فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبُّوا فاعلها فكان مرجع سبّها إلى الله عز وجل ، إذ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يصفونها ، فنُهُوا عن سبّ الدهر . انتهى باختصار .

* رواه البخاري برقم (٤٨٢٦) ، ومسلم برقم (٢٢٤٦) .

....

ونسبة الفعل إلى الدهر ومسبته كثيرة في أشعار المولدين كابن المعتز والمتنبيء وغيرهما ، وليس منه وصف السنين بالشدة لقوله تعالى ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ [يوسف :٤٨] الآية .

قالَ بعض الشعراء :

إنّ الليَاليَ مِن الزَمَانِ مَهُولَةٌ تُطوى وتُنشرُ بينها الأعمارُ

فقِصَارهُنَّ مَع الهمُومِ طَويلَةٌ وَطِوالهُنَّ مَع السُّرورِ قِصَارُ

وقال أبو تمام :

أعوامُ وصْلٍ كاد ينسي طيبها ذِكرُ النّوى فكأنّها أيّامٌ

ثُمّ انبرتْ أيامُ هَجْرٍ أعقبَت نحوي أسىً فكأنّها أعْوامٌ

ثُمَّ انقضت تلك السُّنونُ وأهلُها فكأنها وكأنهم أحْلامٌ

***

﴿ ٤٦ ﴾ باب

التسمّي بقاضي القضاة ونحوه

في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال " **إن أخنع اسم عند ا لله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا ا لله**" قال سفيان : مثل شاهان شاه .

وفي رواية "**أغيظ على ا لله يوم القيامة وأخبثه** " ، قوله " **أخنع** " يعني : أوضع[1] .

---

[1] قوله : باب **التسمّي بقاضي القضاة ونحوه.** في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال " **إن أخنع اسم عند ا لله رجل تسمى ملك الأملاك ، لا مالك إلا ا لله**"* .

لأن هذا اللفظ إنما يصدق على ا لله فهو ملك الأملاك لأنه هو الملك في الحقيقة ﴿**لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ [التغابن :١] يتصرف في الملوك وغيرهم بمشيئته وإرادته كما قال تعالى ﴿**قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ**﴾الآية [آل عمران :٢٦] . فلا ينبغي أن يعظم المخلوق بما يشبه ما يعظم به الخالق جل وعلا ، وما كان مثل ذلك فينهى عنه كالذي ترجم به المصنف ؛ لأنه لا يصدق هذا المعنى إلا على ا لله ، فلا يصلح أن يسمى به المخلوق ، لأن كل لفظ يقتضي التعظيم والكمال لا يكون إلا له تعالى وتقدس دون غيره . قوله " قال سفيان : قوله : مثل شاهان شاه " عند العجم عبارة عن ملك الأملاك ، ولهذا مثل به سفيان قوله وفي رواية " **أغيظ رجل على ا لله** " أغيظ : من الغيظ وهو مثل الغضب والبغض ، فيكون بغيضاً إلى ا لله مغضوباً عليه ، وهذا من الصفات التي تمر كما جاءت من غير تحريف ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل . وا لله أعلم . قوله " **وأخبثه** " وهو يدل أيضاً على أن هذا خبيث عند ا لله إذا رضي بذلك لتعظيم الناس له بما لا يستحقه وعدم انكاره وكراهته لذلك قوله "**أخنع**" يعني أوضع وهذا المذكور ينافي كمال التوحيد الذي دلت عليه كلمة الإخلاص فيكون فيه شائبة من الشرك إن لم يكن أكبر .

---

* رواه البخاري برقم (٦٢٠٥) ، ومسلم برقم (٢١٤٣) .

﴿٤٧﴾ باب

احترام أسماء الله تعالي وتغيير الاسم لأجل ذلك

عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "**إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكمُ**" ، فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين ، فقال : "**ما أحسن هذا ، فما لك من الولد؟**" ، قلت : شريح ومسلم وعبد الله ، قال : "**فمن أكبرهم؟**" قلت : شريح ، قال : "**فأنت أبو شريح**" .

رواه أبو داود وغيره[1] .

---

[1] قوله : باب **احترام أسماء الله تعالي وتغيير الاسم لأجل ذلك** عن أبي شريح أنه كان يكنى أبا الحكم ، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : "**إن الله هو الحَكَم وإليه الحُكمُ**" ، فقال : إن قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم ، فرضي كلا الفريقين ، فقال : "**ما أحسن هذا ، فما لك من الولد؟**" ، قلت : شريح ومسلم وعبد الله ، قال : "**فمن أكبرهم؟**" قلت : شريح ، قال : "**فأنت أبو شريح**" . رواه أبو داود وغيره* . قوله "عن أبي شريح" هو أبو شريح الخزاعي اسمه خويلد بن عمرو أسلم يوم الفتح ، له عشرون حديثاً اتفقا على حديثين وانفرد البخاري بحديث ، وعنه أبو سعيد المقبري ونافع بن جبير وطائفة ، قال ابن سعد مات بالمدينة سنة ثمان وستين . قوله "يكنى" الكنية ما صدّر بأب أو أم ونحو ذلك كأبي محمد ، واللقب ما ليس كذلك كزين العابدين وقوله صلى الله عليه وسلم "**إن الله هو الحَكَم واليه الحُكم**" أي هو سبحانه الحكم في الدنيا والآخرة يحكم بين خلقه في الدنيا بوحيه الذي أنزله على أنبيائه ورسله ، وما من قضية إلا وله فيها حكم بما أنزله على نبيه من الكتاب والحكمة ، لكن قد يخفى على المجتهد ، فإن المجتهدين وإن اختلفوا في بعض الأحكام فلا بد أن يكون المصيب فيهم واحداً ، فمن رزقه الله قوة الفهم وأعطاه ملكة يقتدر بها على فهم الصواب =

---

* رواه أبو داود برقم (٤٩٥٥) ، والنسائي برقم (٥٣٨٧) وإسناده صحيح ، انظر : صحيح سنن أبي داود ٤٩٥٥ ، وصحيح سنن النسائي برقم ٥٤٠٢ ، والإرواء برقم (٢٦١٥) .

....

= من أقوال العلماء ، أدرك ما هو الصواب من ذلك ، وقوله "واليه الحكم في الدنيا والآخرة " قال تعالى : ﴿وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [الشورى :١٠] ، وقال : ﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ﴾الآية [النساء :٥٩] ، فالحكم إلى الله هو الحكم إلى كتابه ، والحكم إلى رسوله هو الحكم إليه في حياته وإلى سنته بعد وفاته . قوله "فان قومي إذا اختلفوا في شيء أتوني فحكمت بينهم فرضي كلا الفريقين" . المعنى والله أعلم أن أبا شريح كان مرضياً عندهم يتحرى ما يصلحهم إذا اختلفوا ، فيرضون صلحه فسموه حَكماً ، وأما ما يحكم به الجهلة من الأعراب ونحوهم من سوالف آبائهم وأهوائهم فليس من هذا الباب لما فيه من النهي الشديد ، والخروج عن حكم الله ورسوله إلى ما يخالفه ، كما قال تعالى : ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة :٤٤] وهذا كثير، فمن الناس من يحكم بين الخصمين برأيه وهواه ، ومنهم من يتبع في ذلك سلفه ويحكم بما كانوا يحكمون به وهذا كفر إذا استقر وغلب على من تصدى ، لذلك ممن يرجع الناس إليه إذا اختلفوا . قوله صلى الله عليه وسلم "**فما لك من الولد ؟**" قال : شريح ومسلم وعبد الله ، قال : "**فمن أكبرهم؟**" ، قلت : شريح ، قال : "**فأنت أبو شريح**" فكنّاه بالكبير وهو السنة وغير كنيته بأبي الحكم ؛ لأن الله هو الحكم على الإطلاق ، ومنه تسمية الأئمة بالحكام فينبغي ترك ذلك والنهي عنه لهذا الحديث وهذا قد حدث في الناس قريباً .

***

﴿٤٨﴾ باب

من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول[1]

وقول الله تعالى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية [التوبة :٦٥]

---

(١) قوله : "باب **من هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرسول**" أي فقد كفر ، وقول الله تعالى : ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ﴾ الآية . قال العماد بن كثير رحمه الله تعالى في تفسيره : قال أبو معشر المدني عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا : قال رجل من المنافقين ما أرى قراءنا هؤلاء إلا أرغبنا بطوناً وأكذبنا ألسنة ، فرفع ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وقد ارتحل وركب ناقته – فقال : يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث فقال ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ وإن رجليه لينسفان الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متعلق بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعد إِيمَانِكُم﴾ أي بهذا المقال الذي استهزأتم به ﴿إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً﴾ أي لا يعفى عن جميعكم ولابد من عذاب بعضكم بأنهم كانوا مجرمين بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة . انتهى .

وقال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى : وقد أمره الله تعالى أن يقول ﴿قَدْ كَفَرْتُمْ بَعد إِيمَانِكُم﴾ وقول من يقول إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم لا يصح ؛ لأن الإيمان باللسان مع كفر القلب قد قارنه الكفر ، فلا يقال قد كفرتم بعد إيمانكم ، فإنهم لم يزالوا كافرين في نفس الأمر ، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم ، وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين . اهـ .

وفيه بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو بعمل يعمل به ، وأشدها خطراً إرادات القلوب فهي كالبحر الذي لا ساحل له ومن هذا الباب الاستهزاء بالعلم وأهله وعدم احترامهم لأجله .

عن ابن عمر ومحمد بن كعب وزيد بن أسلم وقتادة – دخل حديث بعضهم في بعض – أنه قال رجل في غزوة تبوك : ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء ، أرغب بطوناً ، ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقاء – يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه القراء – ، فقال له عوف بن مالك : كذبت ، ولكنك منافق ، لأخبرنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم . فذهب عوف إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبره ، فوجد القرآن قد سبقه ، فجاء ذلك الرجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم – وقد ارتحل وركب ناقته – فقال : يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عناء الطريق . قال ابن عمر : كأني أنظر إليه متعلقاً بنسعة ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن الحجارة تنكب رجليه ، وهو يقول : إنما كنا نخوض ونلعب ، فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ ما يلتفت إليه وما يزيده عليه* .

***

* انظر تفسير ابن كثير ، تفسير آية التوبة .

﴿٤٩﴾ باب

ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي﴾ الآية [فصلت :٥٠] ، قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق بـه . وقال ابن عباس : يريد من عندي .

وقوله ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ القصص :٧٨] ، قال قتادة : على علم عندي بوجوه المكاسب ، وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل . وهذا معنى قول مجاهد أوتيته على شرف[1] .

وعن أبي هريرة أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع أعمى ، فأراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به ، قال : فمسحه فذهب عنه قذره وأُعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر** – شك إسحاق – **فأُعطي ناقة عشراء وقال : بارك الله لك فيها ، قال : فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عنى الذي قذرني الناس به ، فمسحه فذهب عنه وأُعطي شعراً حسناً ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل فأُعطي بقرةً حاملاً ، قال : بارك الله لك فيها ، فأتى الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد**

---

[1] قوله : باب ما جاء في قول الله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ﴾ الآية . ذكر المصنف رحمه الله تعالى عن ابن عباس وغيره من المفسرين في هذه الآية ما يكفي ويشفي في المعنى ، قال : قال مجاهد : هذا بعملي وأنا محقوق به . وقال ابن عباس : يريد من عندي . وقوله : ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ قال قتادة : على علم مني بوجوه المكاسب . وقال آخرون : على علم من الله أني له أهل ، وهذا معنى قول مجاهد : أوتيته على شرف . وليس ما ذكروه اختلافاً وإنما هو أفراد المعنى .

ا لله إلي بصري فأبصر به الناس ، فمسحه فردّ ا لله إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأُعطي شاةً والداً فأنتج هذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبل ، ولهذا واد من البقر ، ولهذا واد من الغنم ، قال : ثم أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقال : رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا با لله ثم بك ، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن والجلد الحسن والمال بعيراً أتبلغ به في سفري ، فقال : الحقوق كثيرة ، فقال : كأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطاك ا لله عز وجل المال ؟ فقال : إنما ورثت هذا المال كابراً عن كابر ، فقال : إن كنت كاذِباً فصيرك ا لله إلى ما كنت ، قال : وأتى الأقرع في صورة فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك ا لله إلى ما كنت ، قال : وأتى الأعمى في صورة فقال : رجل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا با لله ثم بك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري ، فقال : قد كنت أعمى فرد ا لله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ماشئت ، فوا لله لا أجهدك اليوم بشيء أخذته لله، فقال : أمسك مالك فإنما ابتليتم ، فقد رضي ا لله عنك وسخط على صاحبيك"[1] . أخرجاه .

---

[1] قوله : وعن أبي هريرة أنه سمع رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : إن ثلاثة من بني إسرائيل أبرص وأقرع أعمى ، فأراد ا لله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكاً ، فأتى الأبرص فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : لون حسن وجلد حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به ، قال : فمسحه فذهب عنه قذّره وأعطي لوناً حسناً وجلداً حسناً . قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الإبل أو البقر – شك إسحاق – فأُعطي ناقة عشراء وقال : بارك ا لله لك فيها ، قال : فأتى الأقرع فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : شعر حسن ويذهب عني الذي قذرني الناس به ، فمسحه فذهب عنه وأُعطي شعراً حسناً ، فقال : أي المال أحب إليك ؟ قال : البقر أو الإبل فأُعطي بقرةً حاملاً ، قال : بارك ا لله لك فيها ، فأتى =

= الأعمى فقال : أي شيء أحب إليك ؟ قال : أن يرد ا لله إلي بصـري فـأبصر بـه النـاس ، فمسحه فرد ا لله إليه بصره ، قال : فأي المال أحب إليك ؟ قال : الغنم ، فأُعطي شاةً والـداً فأنتج هـذان وولد هذا ، فكان لهذا واد من الإبـل ، ولهـذا واد مـن البقـر ، ولهـذا واد مـن الغنم ، قال : ثم أنه أتى الأبرص في صورته وهيئته فقـال : رجـل مسكين قـد انقطعـت بـي الحبال في سفري ، فلا بلاغ لي اليوم إلا با لله ثم بك ، أسألك بالذي أعطـاك اللون الحسـن والجلد الحسن والمال بعـيراً أتبلـغ بـه في سفـري ، فقـال : الحقـوق كثيرة ، فقـال : كـأني أعرفك ، ألم تكن أبرص يقذرك الناس ، فقيراً فأعطـاك ا لله عـز وجـل المـال ؟ فقـال : إنمـا ورثت هذا المال كابراً عن كابر ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك ا لله إلى ما كنـت ، قـال : وأتى الأقرع في صورة فقال له مثل ما قال لهذا ، ورد عليه مثل ما رد عليه هذا ، فقال : إن كنت كاذباً فصيرك ا لله إلى ما كنت ، قال : وأتى الأعمى في صورة فقـال : رجـل مسكين وابن سبيل ، قد انقطعت بي الحبال في سفري فلا بلاغ لي اليوم إلا بـا لله ثـم بـك ، أسألك بالذي رد عليك بصرك شـاةً أتبلـغ بهـا في سـفري ، فقـال : قـد كنـت أعمـى فـرد ا لله إلي بصري ، فخذ ما شئت ودع ماشئت ، فـوا لله لا أجهـدك اليـوم بشـي أخذتـه لله ، فقـال : أمسك مالك فإنما ابتليتم ، فقد رضي ا لله عنك وسخط على صاحبيك". أخرجاه* .

وهذا حديث عظيم يبيّن حال من كفر النعم وحال من شكرها ، قال ابن القيم : أصل الشـكر هو الاعتراف بإنعام المنعم على وجه الخضوع له والـذل والمحبـة ، فمـن لم يعـرف النعمـة بـل كـان جاهلاً بها لم يشكرها ، ومن عرفها و لم يعرف المنعم بها لم يشـكرها أيضـاً ، ومـن عـرف النعمـة والمنعم لكن جحدها كما يجحد المنكر لنعمة المنعم فقد كفرها ، ومن عرف النعمة والمنعـم وأقـر بها و لم يجحدها ولكن لم يخضـع له ويحبه ويرضى بـه وعنـه لم يشـكرها أيضـاً ، ومـن عرفـهـا وعرف المنعـم بها وأقر بها وخضـع للمنعم بها وأحبه ورضـي عنه واستعملها في محابـه وطاعتـه فهذا هو الشاكر لها ، فلا بد من الشكر من علم القلب وعمل يتبع العلم وهو الميل إلى المنعم ومحبته والخضوع له . اهـ . قوله "قد قذرني الناس" أي بكراهة رؤيته وقربه منهم .

* رواه البخاري برقم (٣٤٦٤) ، ومسلم برقم (٢٩٦٤) .

﴿٥٠﴾ باب

قول الله تعالى ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾[١] .

قال ابن حزم : اتفقوا على تحريم كل اسم معبّد لغير الله ، كعبدّ عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب[٢] .

---

[١] قوله باب قول الله تعالى **﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾** قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى في معنى هذه الآية : حدثنا عبد الصمد : حدثنا عمر بن إبراهيم حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " **لما ولدت حواء طاف بها إبليس – وكان لا يعيش لها ولد – فقال سميه عبد الحارث فإنه يعيش فسمته عبد الحارث فعاش فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره**"* ، وقال ابن جرير : حدثنا ابن وكيع حدثنا سهل بن يوسف عن عمرو عن الحسن **﴿ جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾** قال :كان هذا في بعض الملل و لم يكن بآدم .

وعن ابن عباس قال : كانت حواء تلد لآدم عليه السلام أولاداً فتعبّدهم لله وتسميهم عبد الله وعبيد الله ونحو ذلك فيصبهم الموت فأتاهم أبليس وآدم فقال : أما أنكما لو تسميانه بغير الذي تسميانه به لعاش فولدت رجلاً فسمياه عبدالحارث ففيه أنزل الله تعالى **﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾** الأعراف :١٩٠] .

[٢] قوله "قال ابن حزم " هو عالم الأندلس أبو محمد علي بن أحمد بن سعد بن حزم القرطبي الظاهري ، صاحب التصانيف توفى سنة ست وخمسين وأربعمائة وله اثنتان وسبعون سنة "اتفق على تحريم كل اسم معبد لغير الله كعبد عمر وعبد الكعبة وما أشبه ذلك حاشا عبد المطلب" . قلت : عبد المطلب هذا جد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو ابن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وما فوق عدنان =

* إسناده ضعيف ، انظر ضعيف الجامع برقم (٤٧٦٩) ، والضعيفة برقم (٣٤٢) ، وضعيف سنن الترمذي برقم (٥٩٥) .

وعن ابن عباس في الآية قال : لما تغشّاها آدم حملت ، فأتاهما إبليس فقال : إني صاحبكما الذي أخرجتكما من الجنة لتطيعانني أو لأجعلن له قرني أيل فيخرج من بطنك فيشقه ، ولأفعلن ، ولأفعلن - يخوفهما - سمياه عبد الحارث . فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً ، ثم حملت ، فأتاهما فقال مثل قوله ، فأبيا أن يطيعاه فخرج ميتاً . ثم حملت ، فأتاهما فذكر لهما ، فأدركهما حب الولد ، فسمياه عبد الحارث ، فذلك قوله ﴿ جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ ﴾ رواه ابن أبي حاتم* ، وله بسند صحيح عن قتادة قال : شركاء في طاعته ،

= مختلف فيه ولا ريب أنهم من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليهما السلام ، حكى رحمه الله اتفاق العلماء على تحريم كل ما عُبّد لغير الله لأنه شرك في الربوبية والألوهية ؛ لأن الخلق كلهم ملك لله وعبيد له ، استعبدهم بعبادته وحده وتوحيده في ربوبية والإلهية ، فمنهم من عبد الله وحده في ربوبيته وألهيته ومنهم من أشرك به في إلهيته وأقر له بربوبيته وأسمائه وصفاته وأحكامه القدرية جارية عليهم ولا بد كما قال تعالى : ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾ [مريم :٩٣] فهذه العبودية العامة ، وأما العبودية الخاصة فإنها تختص بأهل الإخلاص والطاعة كما قال تعالى : ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر :٣٦] ونحوها .

قوله "حاشا عبدالمطلب" هذا استثناء من العموم ، لأنه ليس المقصود من عبودية الرق ، وإنما هو اسم علق به لما أتى به عمه المطلب من عند أخواله بني النجار من المدينة وهو صبي ، فرأته قريش حين جاء به وقد تغير لونه من السفر فقالوا عبدالمطلب ، ثم تبين لهم أنه ابن أخيه هاشم ، فصارت العبودية في هذا الاسم لا حقيقة لها ولا قصد ، لكن غلب عليه فصار لا يسمى إلا به ، وإلا فاسمه في الأصل (شيبة) وقد صار عبدالمطلب معظماً في قريش والعرب فهو سيد قريش وأشرافهم في جاهليته ، وهو الذي حفر زمزم ، وما جرى له في حفرها مذكور في السير وكتب الحديث وصارت السقاية له وفي ذريته .

---

* رواه الترمذي برقم (٣٠٧٧) وإسناده ضعيف ، انظر الضعيفة برقم (٣٤٢) .

ولم يكن في عبادته[1] .

وله بسند صحيح عن مجاهد في قوله ﴿لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً﴾ قال : أشفقا أن لا يكون إنساناً . وذُكر معناه عن الحسن وسعيد وغيرهما .

---

[1] قال شيخنا في معنى قوله ﴿فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا﴾ : إن هذا الشرك بمجرد تسميته لم يقصدا حقيقته التي أرادها إبليس منهما وهذا يزيل الإشكال ، وهذا معنى قول قتادة : شركاء في طاعته ولم يكن في عبادته .

***

﴿ ٥١﴾ باب

قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[1] الآية [الأعراف :١٨٠] .

---

[1] قوله باب قول الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾الآية . أراد رحمه الله تعالى بهذه الترجمة الرد على من يتوسل بذوات الأموات وأن المشروع هو التوسل بالأسماء والصفات والأعمال الصالحة . وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**إنّ لله تسعة وتسعين اسماً مائةً إلا واحداً ، من أحصاها دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر**"* . أخرجاه في الصحيحين من حديث سفيان ، وأخرجه الترمذي في جامعه عن الجرجاني عن صفوان بن صالح عن الوليد بن مسلم عن شعيب بسنده مثله وزاد بعد قوله :"يحب الوتر" : "**هو الله الذي لا إله إلا هو ، الرحمن ، الرحيم ، الملك ، القدوس ، السلام ، المؤمن ، المهيمن ، العزيز ، الجبار ، المتكبر ، الخالق ، الباري ، المصور ، الغفار ، القهار ، الوهاب ، الرزاق ، الفتاح ، العليم ، القابض ، الباسط الخافض ، الرافع ، المعز ، المذل ، السميع ، البصير ، الحكم ، العدل ، اللطيف ، الخبير ، الحليم ، العظيم ، الغفور ، الشكور ، العلي ، الكبير الحفيظ ، المقيت ، الحسيب ، الجليل ، الكريم ، الرقيب ، المجيب ، الواسع ، الحكيم ، الودود ، المجيد ، الباعث ، الشهيد ، الحق ، الوكيل ، القوي ، المتين ، الولي ، الحميد ، المحصي ، المبديء ، المعيد ، المحيي ، المميت ، الحي ، القيوم ، الواجد ، الماجد، الواحد ، الأحد، الفرد ، الصمد ، القادر المقتدر ، المقدم ، المؤخر ، الأول ، الآخر ، الظاهر ، الباطن ، الوالي ، المتعالي ، البر ، التواب ، المنتقم ، العفو الرءوف ، مالك الملك ذوالجلال والإكرام ، المقسط ، الجامع ، الغني ، المغني ، المعطي ، المانع ، النافع ، الضار ، النور ، الهادي ، البديع ، الباقي ، الوارث ، الرشيد ، الصبور**"**

---

* رواه البخاري برقم (٦٤١٠) ، ومسلم برقم (٢٦٧٧) .

** رواه الترمذي برقم (٣٥٠٢) وإسناده ضعيف ، انظر سنن ابن ماجة برقم (٧٧٦) ، وضعيف سنن الترمذي برقم (٦٩٦) وضعيف الجامع الصغير برقم (١٩٤٥) .

ذكر ابن حاتم عن ابـن عبـاس ﴿ **يُلْحِـدُونَ فِـي أَسْـمَائِهِ**﴾ يشـركون[1] ، وعنـه سمـوا اللات من الإله والعزى من العزيز . وعن الأعمش : يدخلون فيها ما ليس منها .

= ثم قال الترمذي : ولا نعلم في كثير من الروايات ذكر الأسماء الحسنى إلا في هذا الحديـث ، والذي عند بعض الحفاظ أن سرد الأسماء في هذا الحديث مدرج ، هذا ما ذكره العماد ابن كثير في تفسيره ، ثم قال : ليعلم أن الأسماء ليست منحصرة في تسعة وتسعين ، بدليل مـا رواه أحمـد بن يزيد بن هارون عن فضيل بن مرزوق عن أبي سلمة الجهني عن القاسم بـن عبدالرحمـن عـن أبيه عن عبدا لله بن مسعود أن النبي صلى ا لله عليه وسلم قال :" **ما أصاب أحـداً قـط هـم ولا حزن فقال : اللهم إني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، ناصيتي بيـدك ، مـاض فيّ حكمـك ، عدل فيّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميتـه بـه نفسـك ، أو أنزلتـه في كتـابك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به في علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبي ، ونور صدري ، وجلاء حزني ، وذهاب همي وغمي ، إلا أذهب ا لله همـه وحزنـه ، وأبدله مكانه فرحاً** " ، فقيل : يا رسول ا لله ، ألا نتعلمها ؟ فقال : "**بلى ، ينبغي لمن سمعها أن يتعلمها**"[*] ، وقد أخرجه أبو حاتم بن حبان في صحيحه .

[1] قوله وقال قتادة في قوله تعالى ﴿**وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ**﴾ قـال : يشـركون ، وقال ابن أبي طلحة عن ابن عباس : الإلحاد التكذيب .

قلت : والشرك تكذيب من المشرك لما أنزله ا لله في كتابه وبعث به رسوله ، كما جرى مـن قريش وغيرهم مع النبي صلى ا لله عليه وسلم وأصحابه ، وكما جرى مـن المشـركين مـن هـذه الأمة فلم يأخذوا من الآيات المحكمات مـن تحريـم الشـرك والنهـي عنـه ؛ بـل كذّبـوا بـالصدق واعتمدوا على الكذب على ا لله وعلى كتابه ورسوله . وأصل الالحاد في كلام العرب العـدول عن القصد والميل قال ابن القيم رحمه ا لله تعالى :

وحقيقةُ الإلحادِ فِيهَا الميلُ بالإشـ ـــرَاكِ والتَعطِيلِ والنكرانِ

---

* رواه أحمد برقم (٣٧١٢) وابن ماجة برقم (٢٣٧٢) ، وإسناده صحيح ، انظر : الصحيحة برقم (١٩٩)

= وأسماء الرب تعالى كلها أسماء وأوصاف دلّت على كماله جل وعلا ، والذي عليه أهل السنة والجماعة قاطبة متقدمهم ومتأخرهم إثبات الصفات التي وصف الله به نفسه ووصفه بها رسوله صلى الله عليه وسلم على ما يليق بجلال الله وعظمته ، إثباتاً بلا تمثيل ، وتنزيهاً بلا تعطيل ، كما قال تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] ، وإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات ، يحتذي حذوهم ، فكما أنه يجب العلم بأن لله ذاته حقيقة لا تشبه شيئاً من صفات المخلوقين ، فمن جحد شيئاً مما وصف الله به نفسه أو وصفه به رسوله ، أو تأوله على غير ما ظهر من معناه فهو جهمي قد اتبع غير سبيل المؤمنين .

قال العلاّمة ابن القيم رحمه الله تعالى :**(فائدة جليلة) :** ما يجري صفة أو خبراً على الرب تعالى أقسام : **أحدها** : ما يرجع إلى نفس الذات كقولك ذات وموجود .

الثاني : ما يرجع إلى صفات معنوية بالعليم والقدير والسميع والبصير .

الثالث : ما يرجع إلى أفعاله كالخالق والرازق .

الرابع : التنزيه المحض ولا بد من تضمنه ثبوتاً ، إذ لا كمال في العدم المحض كالقدوس والسلام .

الخامس : ولم يذكره أكثر الناس وهو الاسم الدال على جملة أوصاف لا تختص بصفة معينة ، بل هو دال على معاني نحو المجيد العظيم الصمد ، فإن المجيد من اتصف بصفات متعددة من صفات الكمال ، ولفظه يدل على هذا فإنه موضوع للسعة وللكثرة والزيادة ، فمنه استمجد المرخ والعفار وأمجد الناقة : علفها ، ومنه (رب العرش المجيد) صفة للعرش لسعته وعظمته وشرفه ، وتأمل كيف جاء هذا الاسم مقترناً بطلب الصلاة من الله على رسوله كما علمنا صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه في مقام طلب المزيد والتعرض لسعة العطاء وكثرته ودوامه وأتى في هذا المطلوب باسم يقتضيه كما تقول :" اغفر لي وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم" فهو راجع إلى التوسل بأسمائه وصفاته ، وهو من أقرب الوسائل واحبها إليه ومنه الحديث في المسند والترمذي : " **الظّوا بيا ذا الجلال والاكرام** "* ، ومنه "**اللهم إني اسألك بأن لك** =

* رواه البخاري في التاريخ ٢/١/٢٥٦ ، والترمذي ٢٦٧/٤ ، وإسناده صحيح عن طريق ربيعة ، انظر الصحيحة برقم (١٥٣٦) .

....

= **الحمد لا اله إلا أنت ، المنان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والاكرام"*** ، فهذا سؤال له وتوسل إليه بحمده وأنه لا اله إلا هو المنان ، فهو توسل إليه بأسمائه وصفاته ، فما أحق ذلك بالإجابة وأعظمه موقعاً عند المسئول وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد .

السادس : صفة تحصل من اقتران أحد الاثنين والوصفين بالآخر ، وذلك قدر زائد على مفرديهما نحو : الغني الحميد ، الغفور القدير ، الحميد المجيد ، وهكذا عامة الصفات المقترنة والأسماء المزدوجة في القرآن ، فإن الغني صفة كمال والحمد كذلك ، واجتماع الغنى مع الحمد كمال آخر ، فله ثناء من غنائه وثناء من حمده وثناء من اجتماعهما ، وكذلك الغفور القدير ، والحميد المجيد ، والعزيز الحكيم .. فتأمله فإنه من أشرف المعارف .

***

* مضى تخريجه في الباب السادس .

﴿٥٢﴾ باب

لا يقال السلام على الله

في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام**"[1]

---

[1] قوله باب **لا يقال السلام على الله** في الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : كنا إذا كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة ، قلنا : السلام على الله من عباده ، السلام على فلان وفلان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**لا تقولوا السلام على الله ، فإن الله هو السلام**"* . هذا الحديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود وغيرهم عن إبن مسعود ، وفي هذا الحديث النهي عن ذلك ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا انصرف من الصلاة المكتوبة استغفر ثلاثاً وقال : "**اللهم أنت السلام ، ومنك السلام ، تباركت ياذا الجلال والإكرام**"* . وفي الحديث أن هذا هو تحية أهل الجنة لربهم تبارك وتعالى*** .

قوله "**فإن الله هو السلام**" أي هو تعالى سالم من نقص ومن كل تمثيل ، فهو الموصوف بكل كمال ، المنزه عن كل عيب ونقص ، قال في البدائع : السلام اسم مصدر ، وهو من ألفاظ الدعاء ، يتضمن الإنشاء والإخبار فجهة الخبرية فيه لا تناقض الجهة الإنشائية ، وهو معنى السلام المطلوب عند التحية ، وفيه قولان مشهوران :

الأول : أن السلام هنا هو الله عز وجل ، ومعنى الكلام : نزلت بركته عليكم ونحو هذا . فاختير في هذا المعنى من أسمائه عز وجل اسم السلام دون غيره من الأسماء .

الثاني : أن السلام مصدر بمعنى السلامة وهو المطلوب المدعو به عند التحية ، ومن حجة أصحاب هذا القول أنه يأتي منكراً فيقول المسلم : سلام عليكم ولو كان اسماً من أسماء الله =

---

* رواه البخاري برقم (٨٣٥) ، ومسلم برقم (٤٠٢) .

** رواه مسلم برقم (٥٩١) ، وأبوداود برقم (١٥١٣) .

*** رواه البخاري برقم (٣٣٢٦) ، ومسلم برقم (٢٨٤١) .

= لم يستعمل كذا ، ومن حجتهم أنه ليس المقصود من السلام هذا المعنى وإنما المقصود منه الإيذان بالسلامة خبراً أو دعاءً ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى : وفصل الخطاب أن يقال الحق في مجموع القولين كل منهما معه بعض الحق والصواب في مجموعهما ، وإنما يتبين ذلك بقاعدة وهي أن حق ممن دعا الله بأسمائه الحسنى أن يتوسل في كل مطلب ويسأل بالاسم المقتضي لذلك المطلوب المناسب لحصوله ، حتى أن الداعي المتشفع إلى الله تعالى متوسلاً به إليه ، فإذا قال : رب اغفر لي وتب علي إنك التواب الغفور ، فقد سأله بأمرين ، وتوسل إليه باسمين من أسمائه مقتضيين لحصول مطلوبه ، فالمقام لما كان مقام طلب السلامة التي هي أهم ما عند الرجل أتى في لفظها بصيغة اسم من اسماء الله وهو السلام الذي تطلب منه السلامة ، وهو مقصود المسلم فقد تضمن سلام عليكم اسماً من أسماء الله تعالى وطلب السلامة منه ، فتأمل هذه الفائدة وحقيقته البراءة والخلاص والنجاة من الشر والعيوب ، وعلى هذا المعنى تدور تصاريفه فمن ذلك قولك : سلمك الله ، ومنه دعاء المؤمنين على الصراط : اللهم سلّم سلّم ، ومنه سلم الشيء لفلان أي خلص له وحده كما قال تعالى ﴿**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ**﴾ [الزمر :٢٩] أي خالصاً له وحده ، لا يملكه معه غيره ، ومنه السِلم ضد الحرب ؛ لأن كل واحد من المتحاربين يخلص ويسلم من أذى الآخر ، ولهذا بني فيه على المفاعلة فيقال : المسالمة مثل المشاركة ، ومنه القلب السليم وهو النقي من الدغل والعيب ، وحقيقته الذي قد سلّم لله وحده فخلص من دغل الشرك وغله ودغل الذنوب والمخالفات ، بل هو المستقيم على صدق حبه وحسن معاملته ، وهذا هو الذي ضمن له النجاة من عذابه ، والفوز بكرامته ، ومنه أخذ الإسلام فإنه من هذه المادة لأنه الاستسلام والانقياد له والتخلص من شوائب الشرك ، فسلم لربه وخلص له كالعبد الذي سلم لمولاه ليس له فيه شركاء متشاكسون ، ولهذا ضرب سبحانه هذين المثلين للمسلم الخالص لربه وللمشرك به .

﴿٥٣﴾ باب

قول : اللهم اغفر لي إن شئت

في الصحيح : عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة ، فإن الله لا مكره له**"(١) .

ولمسلم : "**وليعظّم الرغبة ، فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**"(٢) .

---

(١) قوله " باب **قول : اللهم اغفر لي إن شئت** " . قوله "**لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، اللهم ارحمني إن شئت ، ليعزم المسألة ، فإن الله لا مكره له**"* . بخلاف العبد فإنه قد يعطي السائل مسألته لحاجته إليه أو لخوفه أو رجائه فيعطيه مسألته وهو كاره ، فاللائق بالسائل للمخلوق أن يعلق حصول مسألته على مشيئة المسئول مخافة أن يعطيه وهو كاره ، بخلاف رب العالمين فإنه يعطي عبده ما أراده بفضله وكرمه وإحسانه ، فالأدب مع الله أن لا يعلق مسألته لربه بشيء ، لسعة فضله وإحسانه وجوده وكرمه ، وفي الحديث"**ليعزم المسألة**" وفي الحديث : "**يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار**" الحديث** .

(٢) قوله : ولمسلم "**وليعظّم الرغبة**" أي في سؤاله ربه حاجته فإنه يعطي العظائم كرماً وجوداً وإحساناً "**فإن الله لا يتعاظمه شيء أعطاه**" أي ليس ما أعطى عبده مما سأله بعظيم عنده ؛ لكمال فضله وجوده ، وقد قال بعض الشعراء في مخلوق يمدحه :

وتَعظُم في عَينِ الصَّغِيرِ صِغَارُهَا ... وَتَصْغُر في عَينِ العَظِيمِ العَظَائمُ

والله تعالى أحق بكل مدحة وثناء .

***

---

* رواه البخاري برقم (٦٣٣٩) ، ومسلم برقم (٢٦٧٩) .

** رواه البخاري برقم (٤٦٨٤) ، ومسلم برقم (٩٩٣) .

﴿٥٤﴾ باب

لا يقول عبدي وأمتي

في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضئ ربك ، وليقل : سيدي ومولاي . ولا يقل أحدكم : عبدي وأَمَتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي"**[1]

---

[1] قوله : باب **لا يقول عبدي وأمتي** في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : **"لا يقل أحدكم أطعم ربك ، وضئ ربك ، وليقل : سيدي ومولاي . ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي ، وليقل : فتاي وفتاتي وغلامي"*** . هذه الألفاظ المنهي عنها وإن كانت تطلق لغة فالنبي صلى الله عليه وسلم نهى عنها ، تحقيقاً للتوحيد وسداً لذرائع الشرك ، لما فيها من التشريك في اللفظ ؛ لأن الله تعالى هو رب العباد جميعهم ، فإذا أطلق على غيره ما يطلق عليه تعالى وقع الشبه في اللفظ ، فينبغي أن يجتنب هذا اللفظ في حق المخلوق من ذلك ، فأرشدهم صلى الله عليه وسلم إلى ما يقوم مقام هذا اللفظ وهو قوله **"سيدي ومولاي"** وكذلك قوله **"ولا يقل أحدكم : عبدي وأمتي"** ؛ لأن العبيد عبيد الله، والإماء إماء الله قال تعالى **﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمَنِ عَبْدًا﴾** [مريم :٩٣] .

***

---

* رواه البخاري ٢٥٥٢ ، ومسلم برقم (٢٢٤٩) .

﴿٥٥﴾ باب

لا يُردُ من سأل بالله[1]

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **من استعاذ با لله فأعيذوه ، ومن سأل با لله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه** " رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح[2] .

---

[1] قوله " باب **لايرد من سأل بالله**" . ظاهر الحديث النهي عن ردِ السائل إذا سأل با لله . ويحتمل أن يكون المراد فيما لا مشقة فيه على المسئول ولا ضرر ، فيكون من باب مكارم الأخلاق ومعالي الشيم ، وربما كان السائل محتاجا أو مضطراً فيجب أن يعطي ما سأله ، ويأثم المسئول في منعه فيأخذ من ماله أضعاف ما منع على وجه يكرهه ، باعتبار هذه الأمور ينبغي لمن أعطاه الله نعمة أن يؤدي حق الله فيها ، ويعطي من سأله من فضول نعمة الله عليه ، خصوصاً إذا سأل با لله تعالى فيكون إعطاؤه تعظيماً لمن سأل به وهو الله تعالى .

[2] قوله : عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **من استعاذ با لله فأعيذوه ، ومن سأل با لله فأعطوه ، ومن دعاكم فأجيبوه ، ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه ، فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له حتى تُروا أنكم قد كافأتموه** " رواه أبو داود والنسائي بسند صحيح* . قوله "**من استعاذ با لله فأعيذوه**" تعظيماً لله تعالى وتقرباً إليه بذلك ، هذا من حقوق المسلم على المسلم ، ومن أسباب الإلفة وسلامة الصدر وإكرام الداعي . قوله "**ومن صنع إليكم معروفاً فكافئوه**" أي ينبغي المكافأة على المعروف ، وهو من مكارم الأخلاق ، وفيه السلامة من البخل وما يذم به . قوله "**فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له**" فيه أن الدعاء يقوم مقام المكافئة في حق من لم يجد ما يكافيء به . قوله "**حتى تُروا**" بضم التاء أي تظنوا ، وفي رواية أبي نهيك عن ابن عباس "**من سألكم بوجه الله فأعطوه**" .

---

* تقدم تخريجه .

﴿٥٦﴾ باب

لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة

عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا يُسأل بوجه الله إلا الجنّة"** رواه أبو داود[١].

---

[١] قوله باب **لا يسأل بوجه الله إلا الجنة**. ذكر فيه حديث جابر رواه أبوداود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **"لا يُسأل بوجه الله إلا الجنة"***. وهنا سؤال: وهو أنه قد ورد في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم عند منصرفه من الطائف حين كذبته ثقيف دعا بالدعاء المأثور " **اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني، أو إلى عدو وكلته أمري، إن لم يكن بك غضب علي فلا أبالي، غير أن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة، أن يحل علي غضبك، أو ينزل بي سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بالله**"**. والحديث المروي في الأذكار "**اللهم أنت أحق من ذكر، وأحق من عبد**"، وفي آخره "**أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له السموات والأرض**"، ونحوه في الأحاديث المرفوعة. فيحتمل أن هذا فيما يكرهه العبد، لا فيما يحبه ويتمناه، ويحتمل غير هذا. والله أعلم.

***

---

* رواه أبوداود وإسناده ضعيف، انظر ضعيف سنن أبي داود برقم (١٦٧١).

** الحديث إسناده ضعيف، قال في "المجمع" ٦/٣٥: "وفيه ابن إسحاق وهو مدلّس".

﴿٥٧﴾ باب
ما جاء في اللو[1]

قول الله تعـالى : ﴿ **يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَـا مِنَ الأَمْـرِ شَـيْءٌ مَـا قُتِلْنَـا هَاهُنَا** ﴾[2] [آل عمران : ١٥٤]

وقوله : ﴿**الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا**﴾ الآية [آل عمران:١٦٨]

في الصحيح[3] عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، وإن أصابك شيء فلا تقل لـو أنـي فعلـت كـذا ، لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَرُ الله وما شاء فعل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان**" .

---

(١) قوله "باب **ما جاء في اللو**". أي من الوعيد والنهي عنه عند الأمـور المكروهـة كالمصائب إذا جرى بها القدر ونحوها .

(٢) قوله "قول الله تعالى : ﴿**يَقُولُونَ لَوْ كَـانَ لَنَا مِنَ الأَمْـرِ شَـيْءٌ مَـا قُتِلْنَـا هَاهُنَـا**﴾ قالـه بعض المنافقين يوم أحد لخوفهم وجزعهم وخورهم . قال ابن إسحاق : حدثني يحـي بـن عبـاد ابن عبدالله بن الزبير عن أبيه عن عبدالله بن الزبير قال : قال الزبير : لقـد رأيتـني مـع رسـول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف ، أرسل الله علينا النوم ، فمـا منـا رجـل إلا ذقنه في صدره ، قال فوالله إني لأسمع قول معتب بن قشير ما أسمعه إلا كالحلم : لـو كـان لنـا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا ، فحفظتها منه . وفي ذلك أنـزل الله عـز وجـل ﴿**يَقُولُـونَ لَـوْ كَـانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا**﴾ لقول معتب . رواه ابن أبي حـاتم . وقـال مجـاهد عن جابر بن عبدالله : نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي ، يعني أنه هو قال ذلك .

(٣) قوله : في الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجزن ، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلـت كـذا ، لكـان كذا وكذا ، ولكن قل : قدَرُ الله وما شاء فعـل ، فإن لو تفتح عمل الشيطان**"* . =

---

* رواه مسلم برقم (٢٦٦٤) ، وابن ماجة برقم (٧٩) .

....

= اختصر المصنف هذا الحديث وتمامه "**المؤمن القوي خير وأحب إلى ا لله من المؤمن الضعيف ، وفي كلٍ خير**" إلى آخره "**احرص على ما ينفعك**" أي في دنياك وأخراك ، وخص ما ينفع دون ما ليس كذلك ، لما فيه ضرر أو عدم نفع ، وذلك لا يخرج عن الواجب والمستحب والمباح إذا كان نافعاً . قوله "**واستعن با لله**" بانه لا يحصل له ذلك إلا إذا كان مستعيناً با لله . قوله "**ولا تعجزن**" نهاه عن العجز لأنه مما يذم به عقلاً وشرعاً وما أكثر ذلك في الناس ، فكم فوت الإنسان على نفسه من الخير وهو يقدر عليه ، أما إذا رغب واستعان با لله فإنه يحصل ولا حول ولا قوة إلا با لله قوله "**وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا ، ولكن قل : قَدَّر ا لله**" لأن ما قدر يكون فيجب الإيمان بالقدر والتسليم ، وأرشده إلى أن يقول "**قَدَّر ا لله**" أي هذا قدر ا لله والمبتدأ محذوف وتقديره " **هذا قَدَّر ا لله وما شاء فعل**" لأن أفعاله تعالى إنما تصدر عن حكمة وعلم وفضل وعدل ﴿**وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**﴾ [الكهف :٤٩] . قوله "**فإن لو تفتح عمل الشيطان**" أي لما فيها من التأسف على ما فات والحزن فيأثم في ذلك ، وذلك من عمل الشيطان .

***

﴿٥٨﴾ باب

النهي عن سبّ الريح

عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تسبّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنّا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به**". صححه الترمذي [1].

---

[1] قوله: باب **النهي عن سب الريح** عن أبيّ بن كعب رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "**لا تسبُّوا الريح، فإذا رأيتم ما تكرهون فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح، وخير ما فيها، وخير ما أُمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح، وشر ما فيها، وشر ما أُمرت به**". صححه الترمذي*. لأن الريح خلق من خلق الله مدبر، وإنما تهب بمشيئة الله وقدرته، فيرجع السبّ إلى من خلقها وسخرها. وأرشد النبي صلى الله عليه وسلم أمته أن يقولوا ما ذكر في الحديث، وهو سؤاله تعالى من خيرها وخير ما فيها، والاستعاذة به من شرها، وشر ما فيها، وقد شرع الله لعباده أن يسألوه ما ينفعهم، ويستعيذوا به من شر ما يضرهم، وأن يكون ذلك منهم عبودية لله وحده وطاعة له، وإيماناً به، وهذه حال أهل التوحيد والإيمان خلافاً لحال أهل الشرك والبدع.

***

---

* رواه الترمذي برقم (٢٢٥٣)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (٧١٩) وإسناده صحيح، انظر: تخريج المشكاة (١٥١٨)، وصحيح الجامع برقم (٧٣١٥)، وتحقيق الطحاوية. ط.المكتب الإسلامي.

﴿٥٩﴾ باب

قول الله تعالى : ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾(1) الآية [آل عمران :١٥٤] .

وقوله : ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾(2) الآية [الفتح :٦] .

---

(1) قوله : باب قول الله تعالى : ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ . وهذه الآية ذكرها الله تعالى في سياق قوله في ذكر وقعة أحد : ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُعَاسًا يَغْشَى طَائِفَةً مِنْكُمْ﴾ يعني أهل الإيمان والثبات والتوكل الصادق ، وهم الجازمون بأن الله تعالى ينصر رسوله صلى الله عليه وسلم وينجز له مأموله ولهذا قال : ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾ يعني لا يغشاهم النعاس من القلق والجزع والخوف ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ كما قال تعالى : ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح :١٢] وهكذا هؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة ظنوا أنها الفيصلة ، وأن الإسلام قد باد وأهله ، وهذا شأن أهل الريب والشك إذا حصل أمر من الأمور تحصل لهم هذه الأمور الشنيعة .

قال ابن القيم رحمه الله : وقد فُسِّر هذا الظن الذي لا يليق بالله سبحانه بأنه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحل ، وفُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففُسِّر بإنكار الحكمة وإنكار القدر وإنكار أن يتم أمر رسوله وأن يظهره على الدين كله ، هذا هو ظن السوء ﴿عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ .

(2) قوله ﴿الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾ . قال ابن جرير في تفسيره ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي الظانين بالله أنه لن ينصرك وأهل الإيمان بك على أعدائك ، ولن يظهر كلمته فيجعلها العليا على كلمة الكافرين به ، وذلك كان السوء من ظنونهم التي ذكرها الله في هذا الموضع .

وقال ابن كثير : ﴿ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ أي : يتهمون الله في حكمه ، ويظنون بالرسول =

قال ابن القيم في الآية الأولى : فسّر هذا الظن بأنه سبحانه لا ينصر رسوله ، وأن أمره سيضمحِل ، وفُسِّر بظنهم أن ما أصابهم لم يكن بقدر الله وحكمته ، ففُسِّر بإنكار الحكمة ، وإنكار القدر ، وإنكار أن يتم أمر رسوله الله صلى الله عليه وسلم وأن يظهره على الدين كله ، وهذا هو ظنّ السّوء لأنه ظنّ غير ما يليق به سبحانه ، وما يليق بحكمته وحده ووعده الصادق ، فمن ظنّ أنه يديل الباطل على الحق ، أو أنكر أن يكون قدره بحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فكذلك ظنّ الذين كفروا ، فويل للذين كفروا من النار ، وأكثر الناس يظنّون بالله ظنّ السوء فيما يخص بهم وفيما يفعله بغيرهم ، ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسمائه وصفاته وموجب حكمته وحمده ، فليعتن اللبيب والناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنّه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك ، هل أنت سالم ؟ .

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْج مِنْ ذِى عَظِيمَةٍ وَإِلاّ فإنّي لا إِخَالُك نَاجِيَاً

= صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن يقتلوا ويذهبوا بالكلية ، ولهذا قال تعالى :﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾وهذا هو الذي ظنه المنافقون والمشركون في سورة الفتح ، وإنما كان هذا ظن السوء لأنه ظن غير ما يليق به سبحانه وما يليق بحكمته وحمده ووعده الصادق ، فمن ظن أنه يديل الباطل على الحق إدالة مستقرة يضمحل معها الحق ، أو أنكر أن يكون قدره لحكمة بالغة يستحق عليها الحمد ، بل زعم أن ذلك لمشيئة مجردة ، فذلك ظن الذين كفروا ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾ [ص :٢٧] ، وأكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم وفيما يفعله بغيرهم ولا يسلم من ذلك إلا من عرف الله وأسماءه وصفاته وموجب حكمته وحمده ، فليعتن اللبيب الناصح لنفسه بهذا ، وليتب إلى الله ويستغفره من ظنّه بربه ظن السوء ، ولو فتشت من فتشت لرأيت عنده تعنتاً على القدر وملامة له ، وأنه كان ينبغي أن يكون كذا وكذا ، فمستقل ومستكثر ، وفتش نفسك ، هل أنت سالم ؟ .

فَإِنْ تَنْجُ مِنْهَا تَنْج مِنْ ذِى عَظِيمَةٍ وَإِلاّ فإنّي لا إِخَالُك نَاجِيَاً

﴿٦٠﴾ باب

ما جاء في منكري القدر

وقال ابن عمر : والذي نفس ابن عمر بيده ، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله الله حتى يؤمن بالقدر ، ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم : " **الإيمان أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره** " . رواه مسلم[1] .

---

[1] قوله "باب **ما جاء في منكري القدر**" . أي من الوعيد . قوله "وقال ابن عمر والذي نفس ابن عمر بيده"* . حديث ابن عمر هذا أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة عن يحي بن يعمر قال : كان أول من تكلم في القدر معبد الجهني ، فانطلقت أنا وحميد بن عبدالرحمن الحميري حاجين - أو معتمرين - فقلنا : لو لقينا أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عما يقول هؤلاء في القدر ، فوفق الله لنا عبدالله بن عمر داخلاً المسجد ، فاكتنفته أنا وصاحبي ، فظننت أنا صاحبي سيكِلُ الكلام إلي ، فقلت : أبا عبدالرحمن ، إنه ظهر قبلنا أناس يقرأون القرآن ويتقفرون العلم ، يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أُنُف . فقال : إذا لقيت أولئك فأخبرهم أني بريء منهم وأنهم بُرآء مني ، والذي يحلف به عبدالله بن عمر لو أن لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ، ما قبله الله منه حتى يؤمن بالقدر ثم قال : حدثني عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : كنا جلوساً عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب ، شديد سواد الشعر ، لا يُرى عليه أثر السفر ، ولا يعرفه منا أحد ، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال : يا محمد ، أخبرني عن الإسلام . قال " **الإسلام أن تشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسو ل الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وأن تحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً** " قال : صدقت . فعجبنا له ، يسأله =

---

* رواه مسلم برقم (٨) ، وأبوداود برقم (٤٦٩٥) ، والترمذي برقم (٢٦١٣) ، النسائي برقم (٩٧١٨) وابن ماجة برقم (٦٣) .

وعن عبادة بن الصامت أنه قال لابنه : يا بُني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : "**إن أول ما خلق ا لله القلم ، فقال له : اكتب . فقال : ربي ماذا أكتب؟ ، قال : اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة** " . يا بني سمعت رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم يقول : "**من مات على غير هذا فليس مني** ".

وفي رواية لأحمد : "**إن أول ماخلق ا لله تعالى القلم ، فقال له : اكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة** " . وفي رواية لابن وهب : قال رسول ا لله صلى ا لله عليه وسلم : "**فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره أحرقه ا لله بالنار**"[1] .

= ويصدقه قال : فأخبرني عن الإيمان ، قال : "**الإيمان أن تؤمن با لله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره** " قال : صدقت قال : فأخبرني عن الإحسان ، قال : "**أن تعبد ا لله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**" قال : صدقت ، قال : فأخبرني عن الساعة قال : "**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**" قال : فأخبرني عن أماراتها . قال : "**أن تلد الأمه ربتها ، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان** " . قال : فانطلق فلبثنا ملياً ، ثم قال : "**يا عمر أتدري من السائل**" ؟ قلت : ا لله ورسوله أعلم ، قال : "**إنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم**" .

[1] قوله "عبادة بن الصامت" حديثه هذا رواه أبو داود ورواه الإمام أحمد بكماله* ، قال : حدثنا الحسن بن سوار حدثنا ليث عن معاوية عن أيوب بن زياد حدثني عبادة بن الوليد بن عبادة حدثني أبي قال : دخلت على عبادة وهو مريض أتخايل فيه الموت ، فقلت : يا أبتاه أوصني واجتهد لي . قال : أجلسوني . ثم قال : يا بني ، إنك لن تجد طعم الإيمان ولن تبلغ حقيقة العلم با لله ، حتى تؤمن بالقدر خيره وشره . قلت : يا أبتاه ، وكيف أعلم ما خير القدر وشره؟ قال : أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، سمعت =

---

* سبق تخريجه ص : .

وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي قال : أتيت أبيّ بن كعب فقلت : في نفسي شيء من القدر ، فحدثني بشيء لعل الله يذهبه من قلبي ، فقال : لو أنفقت مثل أُحُدٍ ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مِتَّ على غير هذا لكنت من أهل النار ، قال : فأتيت عبدالله بن مسعود وحذيفة بن اليمان وزيد بن ثابت ، فكلهم حدثني بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم . حديث صحيح . رواه الحاكم في صحيحه[1] .

= رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : **"إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : أكتب ، فجرى في تلك الساعة بما هو كائن إلى يوم القيامة"** يا بني إن متَّ ولستَ على ذلك دخلتَ النار . رواه الترمذي بسند متصل إلى عطاء بن أبي رباح .

وفي هذا الحديث بيان شمول علم الله وإحاطته بما كان ويكون كما في قوله تعالى **﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾** [الطلاق :١٢] ، والآيات في إثبات القدر كثيرة ، وقد استدل العلماء على إثبات القدر بشمول القدرة والعلم كما في الآية .

قال الإمام أحمد : القدر قدرة الرحمن . وقال بعض الأئمة في نفاة القدر : ناظرهم بالعلم ، فإن أقروا به خُصموا ، وإن جحدوا كفروا .

[1] قوله "وفي المسند والسنن عن ابن الديلمي" . هو أبو يسر - بالسين المهملة والباء المضمومة ، وقال أبو بشر بالشين المعجمة وكسر الباء ، وبعضهم صحح الأول - واسمه عبدالله ابن فيروز ، ولفظ أبي داود قال : لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه ، لعذبهم وهو غير ظالم لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحداً ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر ، و تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وما أخطأك لم يكن ليصيبك ، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار . فأتيت عبدالله بن مسعود فقال مثل ذلك ، ثم أتيت حذيفة ابن اليمان فقال مثل ذلك، قال : ثم أتيت زيد بن ثابت ، قال : فحدثني عن النبي -

....

= صلى الله عليه وسلم مثل ذلك* . وأخرجه ابن ماجة .

وهذه الأحاديث وما في معناها حجة على نفاة القدر من المعتزلة وغيرهم ، ومن مذهبهم تخليد أهل المعاصي في النار ، وهذا الذي اعتقدوه من أكبر الكبائر وأعظم البدع ، وكثير منهم وافقوا الجهمية في نفي صفات الرب تعالى وتقدس .

***

* رواه أبوداود برقم (٤٦٩٩) ، وابن ماجة برقم (٧٧) وإسناده صحيح ، انظر : صحيح سنن أبي داود برقم (٢٦٩٩) ، وصحيح سنن ابن ماجة برقم (٧٧)

﴿٦١﴾ باب[1]

ما جاء في المصورين

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **قال الله تعالى : ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا ذرّة ، أو ليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة** " . أخرجاه* .

ولهما عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "**أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله**"** .

ولهما عن ابن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "**كل مصور في النار ، يُجعل له بكل صورة صورها نفس يُعذب بها في جهنم**"*** .

ولهما عنه مرفوعاً : "**من صور صورة في الدنيا كلّف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ** "**** .

ولمسلم عن أبي الهياج قال قال لي علي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : "**ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً**

---

[1] قوله " باب **ما جاء في المصورين** " أي من الوعيد .

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم العلّة ، وهي المضاهاة بخلق الله ، لأن الله تعالى له الخلق والأمر ، فلا يجوز أن يشبه بشيء من خلقه سبحانه ، لما فيه من المضاهاة بخلق الله .

---

* رواه البخاري برقم (٥٩٥٣) ، ومسلم برقم (٢١١١) .

** رواه البخاري برقم (٢٤٧٩) ، ومسلم برقم (٢١٠٧) .

*** رواه البخاري برقم (٢٢٢٥) ، ومسلم برقم (٢١١٠) .

**** رواه البخاري برقم (٥٩٦٣) ، ومسلم برقم (٢١١٠) .

إلا سويته"[1] *.

---

[1] قوله "ولمسلم عن أبي الهياج قال قال لي علي :ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم " **ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفا إلا سويته**".

قوله "عن أبي الهياج" هو الأسدي حيان بن حصين ، وعلي هو أمير المؤمنين . قوله "ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**ألا تدع صورة إلا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته**" فهذا ما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم من إنكار هذه الأمور وإزالتها **﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ﴾** [البقرة :٥٩] ، فأكثروا التصوير واستعملوه ، وأكثروا البناء على القبور وزخرفوها وجعلوها أوثاناً ، وزعموا ديناً ، وهو من أعظم المنكرات وأكبر السيئات تعظيماً للأموات وغلواً ، وعبادة لغيرا لله بأنواع العبادة التي هي حق الله على عباده ، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى : ومن جمع بين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في القبور وما نهى وما كان عليه أصحابه وبين ما عليه أكثر الناس يوم رأى أحدهما مضاداً للآخر مناقضاً له بحيث لا يجتمعان أبداً .

***

---

* رواه مسلم برقم (٩٦٩) ، وأبوداود برقم (٣٢١٨) .

﴿٦٢﴾ باب

ما جاء في كثرة الحلف

وقول الله تعالى : ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾[١] عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " **الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب** " . أخرجاه[٢] .

وعن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه** " . رواه الطبراني بسند صحيح[٣] .

---

[١] قوله "باب **ما جاء في كثرة الحلف** " أي من النهي عنه والوعيد . وقول الله تعالى ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾ . قال ابن جرير : أي لا تتركوها بغير تكفير . وذكر غيره عن ابن عباس : يريد لا تحلفوا ، وقال آخرون ﴿**وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ**﴾ : عن الحنث فلا تحنثوا ، والمعنى يعم القولين .

[٢] قوله : عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **الحلف منفقة للسلعة ، ممحقة للكسب**" أخرجاه* . أي البخاري ومسلم .وأخرجه أبو داود والنسائي . والمعنى أنه قد يحلف على ثمن السلعة بزيادة على ما اشتريت به أو سيمت به ، فيأخذها المشتري لظنه أنه صدق . وهذا وإن كان فيه زيادة فهو يمحق البركة كما جاء في الحديث . والواقع يشهد بصحته ، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته ، وإن تزخرفت الدنيا للعاصي فعاقبتها اضمحلال وذهاب .

[٣] قوله : وعن سلمان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : أشيمط زان ، وعائل مستكبر ، ورجل جعل الله بضاعته ، لا يشتري إلا بيمينه ، ولا يبيع إلا بيمينه** " . رواه الطبراني بسند صحيح** . وسلمان لعله سلمان الفارسي أبو عبدالله ، أسلم مقدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة وشهد الخندق ، روى عنه أبو عثمان النهدي وشرحبيل بن السمط وغيرهما ، قال النبي صلى الله عليه وسلم =

---

* رواه البخاري برقم (٢٠٨٧) ، ومسلم برقم (١٦٠٦) ، وأبوداود برقم (٣٣٣٥) .

** رواه الطبراني وإسناده صحيح ، انظر : مجمع الزوائد ٤/٧٨ .

وفي الصحيح (1) عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم** " **قال عمران : فلا**

= "**سلمان منا أهل البيت ، إن الله يحب من أصحابي أربعة علياً وأبا ذر وسلمان والمقداد**"* . أخرجه الترمذي . توفي سلمان في خلافة عثمان . ويحتمل أنه سلمان بن عامر بن أوس الضبي . قوله "**لا يكلمهم الله**" هذا وعيد شديد في حقهم لأنه قد تواتر أنه يكلم أهل الإيمان ويكلمونه في عرصات القيامة ، والأدلة على ذلك في الكتاب والسنة أظهر شيء وأبينه ، وفيه الرد على الجهمية والأشاعرة نفاة الكلام** . قوله "**ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم**" هذا من تمام العقوبة عليهم ، وفي هذا الوعيد الشديد ما يزجر من له عقل عن هذه الأعمال السيئة ونحوها . قوله "**أشيمط زان**" صغره تحقيراً له ، وذلك لأن داعي المعصية ضعف في حقه فدلّ على أن الحامل له على الزنا محبته المعصية والفجور وعدم خشيته لله . وكذلك العائل المستكبر ليس له ما يحمله على الكبر فدل على أنه خُلق له ، فعظمت العقوبة في حقه لعدم الداعي إلى هذا الخلق الذميم الذي هو من أكبر المعاصي . قوله "**ورجل جعل الله بضاعته**" بنصب الاسم الشريف ، يعني اليمين بالله عز وجل جعله بضاعة له لكثرة استعماله .

(1) قوله "وفي الصحيح " أي صحيح مسلم ، وأخرجه أبو داود والترمذي ورواه البخاري بلفظ "**خيركم**" . قوله "عن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"**خير أمتي قرني ، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم**" قال عمران : فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ؟ "**ثم إن بعدكم قوم يشهدون ، ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السِّمَن**"*** .

قوله "**خير أمتي قرني**" لكثرة الخير فيهم وقلة الشر وشدة الإنكار على من خالف الحق =

---

* إسناده ضعيف ، انظر ضعيف الجامع برقم (٣٢٧٢) .

** مقالة الأشاعرة في القرآن غير مقالة الجهمية ولكنها ليست مقالة السلف فليتنبه .

*** رواه البخاري برقم (٢٦٥١) ، ومسلم برقم (٢٥٣٥) ، والترمذي برقم (٢٢٢٢) ، وأبوداود برقم (٤٦٥٧).

أدري أذكر بعد قرنه مرتين أو ثلاثاً ؟ ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يستشهدون ، ويخونون ولا يؤتمنون ، وينذرون ولا يوفون ، ويظهر فيهم السِّمَن " .

وفيه[1] عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**خير الناس قرني ، ثم**

= وابتدع كالخوارج والقدرية والجهمية ونحوهم "**ثم الذين يلونهم**" فضلوا على من بعدهم لظهور الإسلام فيهم وكثرة العلم والعلماء ، وأما القرن الثالث فظهرت فيهم البدع لكن أنكرها العلماء ، وتصدى كثير منهم لإنكارها والرد على من قالها وهم كثيرون . قوله "فلا أدري أذكر بعد قرنه مرتين أوثلاثاً" هذا شك من راوي الحديث عمران بن حصين ، ثم ذكر ما وقع بعد الثلاثة من الجفاء في الدين وكثرة الأهواء فقال : "**ثم إن بعدكم قوم يشهدون ولا يُستشهدون**" لاستخفافهم بأمر الشهادة وعدم تحريهم الصدق ، وذلك لقلة دينهم وضعف إسلامهم . قوله "**ويخونون ولا يؤتمنون**" يدل على أن الخيانة قد غلبت على كثير منهم أو أكثرهم ، " **وينذرون ولا يوفون** " أي لا يؤدون ما وجب عليهم ، فظهور هذه الأعمال الذميمة يدل على ضعف إسلامهم وعدم إيمانهم ، قوله "**ويظهر فيهم السِّمن**" لرغبتهم في الدنيا وشهواتهم وقلة الإيمان باليوم الآخر . وفي حديث أنس "**لا يأتي على الناس زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم**"* قال أنس : سمعته من نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فما زال الشر يزيد في الأمة حتى ظهر الشرك والبدع في كثير منهم ، حتى فيمن انتسب الى العلم ويتصدر للتعليم والتصنيف ، فحدث التفرق والاختلاف في الدين ، وحدث الغلو في أهل البيت من بني بويه في المشرق لما كان لهم دولة وبنوا المساجد على القبور وغلوا في أربابها وظهرت دولة القرامطة وظهر فيهم الكفر والإلحاد في شرائع الدين ، ومذهبهم معروف وظهر فيهم البدع ما يطول عده ، وكثر الاختلاف والخوض في أصول الدين ، وما زال أهل السنة على الحق ولكن كثرت البدع والأهواء ، حتى عاد المعروف منكراً والمنكر معروفاً ، نشأ على هذا الصغير وهرم عليه الكبير .

[1] قوله "وفيه عن ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "**خير الناس قرني ،** =

---

* رواه البخاري برقم (٧٠٦٨) .

الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم ، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ، ويمينه شهادته"* وقال ابراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار .

- **ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم"** . في هذا الحديث أن خير القرون ثلاثة من غير شك . قوله **"ثم يجيء قوم"** الخ وذلك لضعف الإيمان والرغبة في الدنيا وأخذها بالقلوب وكثرة المعاصي والذنوب . قوله " قال إبراهيم : كانوا يضربوننا على الشهادة والعهد ونحن صغار" هكذا حال السلف الصالح محافظة منهم على الدين الذي أكرمهم الله به ، فلا يتركون شيئاً مما يكره إلا أنكروه . وفيه تمرين الصغار على دينهم بالتعليم .

***

* رواه البخاري برقم (٢٦٥٢) ، ومسلم برقم (٢٥٣٣) .

﴿٦٣﴾ باب [1]

ما جاء في ذمة الله وذمة نبيه

وقول الله تعلى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ لآية [النحل : ٩١] .

عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً فقال :" **اغزوا بسم الله في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أوخلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام ، فإن أجابوا فاقبل منهم ، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ، فإن أبوا أن يتحولوا فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجري عليهم حكم الله تعالى ، ولا يكون لهم في الغنيمة والفيء شيء ، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا فاسألهم الجزية ، فإن هم أجابوك فأقبل منهم وكف عنهم ، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم . وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فإنكم أن تخفروا ذممكم وذمة أصحابكم أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة نبيه ، وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم**

---

[1] قوله : باب ما جاء في ذم الله وذم نبيه ، وقول الله تعالى ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ الآية . قال العماد ابن كثير : وهذا مما يأمر الله تعالى به ، وهو الوفاء بالعهود والمواثيق والمحافظة على الأيمان ، ولهذا قال ﴿وَلاَ تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾ وهذه الأيمان المراد بها الداخلة في العهود والمواثيق ، لا الأيمان الواردة على حث وضع قوله ﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ تهديد ووعيد .

على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لا تدري أتصيب فيهم حكم الله أم لا ؟" رواه مسلم[1] .

---

[1] قوله "عن بريدة"* هو ابن الحصيب الأسلمي ، وهذا الحديث من رواية ابنه سليمان عنه . قوله " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أمّر أميراً على جيش أو سرية أوصاه بتقوى الله تعالى " ، فيه من الفقه تأمير الأمراء ووصيتهم قال الحربي : السرية الخيل تبلغ أربعمائة ونحوها ، والجيش ما كان أكثر من ذلك . وتقوى الله والتحرز من عقوبته بطاعته . قوله "ومن معه من المسلمين خيراً" أي ووصاه بمن معه أن يفعل معهم خيراً ، من الرفق بهم والاحسان اليهم وخفض الجناح لهم وترك التعاظم عليهم . قوله "**اغزوا باسم الله**" أي اشرعوا في الغزو مستعينين بالله مخلصين له ، فتكون الباء في "**بسم الله**" للاستعانة بالله والتوكل عليه هنا . قوله " **قاتلوا من كفر بالله**" هذا العموم يشمل جميع أهل الكفر المحاربين من أهل الكتاب وغيرهم ، واستثنى منهم من له عهد ، وكذلك الذراري والأولاد والنساء والرهبان فلا يقتلون . قوله "**ولا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا** " الغلول الأخذ من الغنيمة من غير قسمتها قال تعالى ﴿**وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران :١٦١]، والغدر نقض العهد ، والتمثيل هنا التشويه بالقتل كقطع أنفه وأذنه والعبث به . قوله " **وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال – أوخلال** " الرواية بأو التي هي للشك ، والمعنى واحد . قوله " **فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم** " منصوب بأجابوا . قوله " **ثم ادعهم الى الإسلام** " كذا وقعت الرواية في جميع نسخ كتاب مسلم " **ثم ادعهم** " بزيادة "ثم" . قوله "**ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين** " يعني المدينة إذ ذاك وهذا يدل على أن الهجرة واجبة على كل من آمن ، وهو في بلد الشرك ، وكذلك إذا ظهرت المعاصي في بلدة ، نص عليها الفقهاء في كتبهم . قوله " **فإن هم أبوا أن يتحولوا منها** " يعني أن من أسلم و لم يجاهد و لم يهاجر من البداوة لم يعط له من الخمس ولا من الفيء شيء . =

---

* رواه مسلم برقم (١٧٣١) ، وأبوداود برقم (٢٦١٢) .

....

= قوله "**فإن هم أبوا فاسألهم الجزية** " فيه حجة لمالك وأصحابه والأوزاعي في أخذ الجزية من كل كافر عربياً كان أو غيره ، كتابياً كان أو غيره . وقد اختلف في القدر المفروض من الجزية ، فقال مالك أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهماً على اهل الورق . وقال الشافعي : دينار على الغني والفقير ، وقال أبوحنيفة : على الغني ثمانية وأربعون درهماً ، والوسط أربعة وعشرون درهماً ، والفقير اثنا عشر درهماً . وهو قول أحمد بن حنبل . وعند مالك وكافة العلماء على الرجال الأحرار البالغين دون غيرهم ، وإنما تؤخذ ممن كان تحت قهر المسلمين لا ممن نأى بداره ، ويجب تحويل النائي إلى بلاد المسلمين أو حربهم . قوله " **وإذا حاصرت أهل حصن** .. الخ " فيه حجة لمن يقول من الفقهاء وأهل الأصول : إن المصيب في مسائل الاجتهاد واحد ، وهو المعروف من مذهب مالك وغيره . قوله " **وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه** " الذمة : العهد ، وتخفر : تنقض ، يقال أخفرت الرجل : نقضت عهده ، وخفرته : أجرته ، لأنه لا يؤمن على من أعطاء ذمة أن يخفرها ، فخفر ذمته أهون من أن يخفر ذمة الله تعالى .

***

﴿٦٤﴾ باب

ما جاء في الإقسام على الله

عن جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألّى علي أن لا أغفر لفلان ؟ ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك** "رواه مسلم[1] .

وفي حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد ، قال أبوهريرة : **"تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته "**[2] .

---

[1] قوله **"ما جاء في الإقسام على الله"**ذكر المصنف فيه حديث جندب بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **قال رجل : والله لا يغفر الله لفلان ، فقال الله عز وجل : من ذا الذي يتألّى علي أن لا أغفر لفلان ؟ ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك** " . رواه مسلم* . قوله **"يتألى"** أي يحلف ، والألية بالتشديد الحلف . وصح من حديث أبي هريرة ورواه أبو داود عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول " **كان رجلان في بني إسرائيل متواخيين ، وكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة ، فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول : أقصر . فوجده يوماً على ذنب فقال له : أقصر، فقال : خلني وربي ، أبعثت علي رقيباً؟ فقال : والله لا يغفر الله لك ، ولا يدخلك الجنة . فقُبضت أرواحهما ، فاجتمعا عند رب العالمين ، فقال لهذا المجتهد : أكنت بي عالماً ، أو على ما في يدي قادراً ؟ وقال للمذنب : اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر : اذهبوا به إلى النار"**** .

[2] قوله " في حديث أبي هريرة أن القائل رجل عابد" يشير إلى قوله في هذا الحديث : إن أحدهما مجتهد في العبادة ، وفيه معنى قوله صلى الله عليه وسلم **"إن الرجل ليتكلم بالكلمة** =

---

* رواه مسلم برقم (٢٦٢١) .

** رواه أبوداود وإسناده صحيح ، انظر : صحيح سنن أبي داود (٤٩٠١) ، والمشكاة (٢٣٤٧)

....

= ما يظن أن تبلغ ما بلغت ، يكتب الله له بها سخطه الى يوم يلقاه"* .

* رواه ابن ماجة برقم (٤٠٤٠) وإسناده صحيح ، انظر : الصحيحة برقم (٨٨٨) ، والتعليق على الترغيب ١٥٢/٣-١٥١ ، وصحيح سنن ابن ماجة برقم (٣٢٢٠) .

﴿٦٥﴾ باب

لا يستشفع بالله على خلقه

عن جبير بن مطعم قال : جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله ، نُهِكت الأنفس ، وجاع العيال ، وهلكت الأموال ، فاستسق لنا ربك ، فإنا نستشفع بالله عليك ، وبك على الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "**سبحان الله ، سبحان الله**" فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه " ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم "**ويحك أتدري ما الله ؟ إن شأن الله أعظم من ذلك ، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**" وذكر الحديث . رواه أبو داود[1] .

---

[1] قوله " باب **لا يستشفع بالله على خلقه**" وذكر الحديث ، وسياق أبي داود أتم مما ذكره المصنف ، ولفظه* : عن جبير بن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه عن جده قال :أتى النبي صلى الله عليه وسلم أعرابي فقال : يا رسول الله ، جهدت الأنفس ، وضاعت العيال ، ونهكت الأنفس ، وهلكت الأنعام ، فاستسق الله لنا ، فإنا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : **ويحك أتدري ماتقول ؟**" ، وسبح رسول الله صلى الله عليه وسلم فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجوه أصحابه ثم قال : "**ويحك ، إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه ، شأن الله أعظم من ذلك . ويحك ، أتدري ما الله ، إن عرشه على سماواته هكذا – وقال باصابعه مثل القبة – عليه وإنه ليئط به أطيط الرحل الراكب**" قال ابن بشار في حديثه "**إن الله فوق عرشه ، وعرشه فوق سماواته**" . "**قوله ويحك**" كلمة تقال للزجر . قوله "**أتدري ما الله**"؟ فيه إشارة إلى قلة علمه بعظمة الله وجلاله ، قوله "**إنه لا يستشفع بالله على أحد من خلقه**" أن الأمر بيده تعالى ، ليس في يد المخلوق منه شيء ، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع تعالى وتقدس ، وفي هذا =

---

* رواه أبوداود برقم (٤٧٢٦) وإسناده ضعيف ، انظر ضعيف سنن أبي داود برقم (٤٧٢٦) ، وظلال الجنة برقم (٥٧٥) ، والمشكاة برقم (٥٧٢٧) ، وضعيف الجامع برقم (٦١٥٠) .

....

= الحديث الرد على الجهمية وإثبات العلو ، وهذا الحديث رواه أبـو داود ورضيـه علـى عادتـه فيما كان عنده صحيحاً أو حسناً وسكت عليه .

وأمـا الاستشـفاع بالرســول في حياتـه فإنمـا هـو بدعائـه صلـى ا الله عليـه وسـلم ودعــاؤه مستجــاب ، وأما بعد وفــاته فلا يجوز الاستشفاع به كما تقدم تقريره في بـاب الشـفاعة ومـا قبله ، وا الله تعالى نهى عن اتخاذ الشفعاء في مواضع كثيرة من القرآن ، ونفاها في حق من سـألها من غير ا الله .

***

﴿٦٦﴾ باب

ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسدّه طرق الشرك[١]

عن عبدالله بن الشخير قال : انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلنا : أنت سيدنا ، فقال : "**السيد الله تبارك وتعالى**" . قلنا : وأفضلنا فضلاً ، وأعظمنا طَولاً ، فقال : "**قولوا بقولكم ، أو بعض قولكم ، ولا يستجرينّكم الشيطان**" . رواه أبوداود بسند جيد .

وعن أنس رضي الله عنه أن ناساً قال : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : "**يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد عبدالله ورسوله ، ما أحبُّ أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل**" . رواه النسائي بسند جيد[٢] .

---

[١] قوله "**باب ما جاء في حماية النبي صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد وسدّه طرق الشرك** " . حمايته صلى الله عليه وسلم حمى التوحيد عما يشوبه من الأقوال والأعمال التي يضحمل معها التوحيد أو ينقص ، وقد اشتمل هذا الكتاب – على اختصاره – على أكثر ذلك ، والنهي عما ينافي التوحيد أو يضعفه ، يعرف ذلك من تدبره وعرف ما تضمنه باباً باباً .

[٢] قوله في حديث أنس أن ناساً قال : يا رسول الله ، يا خيرنا وابن خيرنا ، وسيدنا وابن سيدنا ، فقال : "**يا أيها الناس ، قولوا بقولكم ، ولا يستهوينكم الشيطان**"* ، كره ذلك لئلا يكون وسيلة إلى الغلو فيه والإطراء كما تقدم في قوله "**لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، إنما أنا عبد فقولوا : عبدالله ورسوله**" وهذا من كمال نصحه للأمة وشفقته عليهم حذرهم مما يكون ذريعة إلى الغلو فيه ، وقوله "**أنا محمد عبدالله ورسوله**"** . فأعلى مراتب –

---

* رواه أبوداود برقم (٤٨٠٦) وإسناده صحيح .

** رواه أحمد برقم (١٢٥٧٩) وإسناده صحيح .

....

= العبد هاتان الصفتان : العبودية الخاصة ، والرسالة ، وللنبي صلى الله عليه وسلم أكملهما ، وقد أخبر تعالى أنه وملائكته يصلون عليه ، وأمر أمته أن يصلوا عليه ، وأثنى عليه بأحسن ثناء وأبلغه ، وشرح له صدره ، ووضع عنه وزره ، ورفع له ذكره ، فلا يذكر في الأذان والتشهد والخطب إلا ذكر معه صلوات الله وسلامه عليه . وأما إطلاق "السيد" فقد ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى في "بدائع الفوائد" ما نصه : اختلف العلماء في جواز إطلاق السيد على البشر ، فمنعه قوم ونقل عن مالك واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم لما قيل له أنت سيدنا ، قال "السيد الله" ، وجوزه قوم واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم للأنصار "قوموا إلى سيدكم" وهذا أصح من الحديث الأول ، قال هؤلاء : السيد أحد ما يضاف إليه ، فلا يقال للتميمي سيد كندة ، ولا يقال للملك سيد البشر ، قال : وعلى هذا فلا يجوز أن يطلق على الله هذا الاسم ، وفي هذا نظر فإن السيد إذا أطلق عليه تعالى فهو في منزلة الملك والمولى والرب لا بمعنى الذي يطلق على المخلوق . انتهى .

قلت : فقد صح عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى قول الله تعالى ﴿الله الصمد﴾ : أنه السيد الذي كمل فيه جميع أنواع السؤدد ، وقال أبو وائل : هو السيد الذي انتهى سؤدده .

***

﴿٦٧﴾ باب

ما جاء في قول الله تعالى : ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾[1] الآية [الزمر :٦٧] .

عن ابن مسعود[2] رضي الله عنه قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله

---

[1] قوله "ما جاء في قول الله تعالى : ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ الآية . أي من الأحاديث والآثار في معنى هذه الآية . قال العماد ابن كثير رحمه الله تعالى : ما قدر المشركون الله حق قدره حتى عبدوا معه غيره ، وهو العظيم الذي لا أعظم منه ، القادر على كل شيء ، المالك لكل شيء ، وكل شيء تحت قهره وقدرته .

قال السُّدي : ما عظّموه حق عظمته . وقال محمد بن كعب لو قدره حق قدره ما كذبوه . وقد وردت أحاديث كثيرة تتعلق بهذه الآية ، الطريق فيها وفي أمثالها مذهب السلف وهو إمرارها كما جاءت من غير تكييف ولا تحريف .

[2] قوله : عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا محمد إنّا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحَبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾ الآية* . وهكذا رواه البخاري ومسلم والنسائي من طرق عن الأعمش به ، وقال البخاري : حدثنا سعيد بن عفير قال : حدثنا الليث حدثني عبدالرحمن بن خالد بن مسافر عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبدالرحمن عن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "**يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه فيقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض؟**" تفرد به من هذا الوجه .

---

* رواه البخاري برقم (٤٨١١) ، ومسلم برقم (٢٧٨٦) .

عليه وسلم فقال : يا محمد ، إنّا نجد أن الله يجعل السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والشجر على إصبع ، والماء على إصبع ، والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع ، فيقول : أنا الملك . فضحك النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿**وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**﴾الآية . وفي رواية لمسلم " **والجبال والشجر على إصبع ، ثم يهزّهنّ فيقول : أنا الملك ، أنا الله** " . وفي رواية للبخاري :"يجعل السماوات على إصبع ، والماء والثرى على إصبع ، وسائر الخلق على إصبع " . أخرجاه .

ولمسلم[1] عن ابن عمر مرفوعاً : " **يطوي الله السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ ، أين المتكبرون ؟ ، ثم يطوي**

---

[1] قوله : ولمسلم عن ابن عمر مرفوعاً : " **يطوي الله السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ ، أين المتكبرون ؟ ، ثم يطوي الأرض بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ ، أين المتكبرون ؟**"* . كذا في رواية مسلم ، قال الحميدي : وهي أتم . قلت : وهذه الأحاديث وما في معناها - وهي كثيرة جداً - تدل على عظمة الله وكماله وعظيم قدرته ، وفيها الرد على الجهمية والأشاعرة ونحوهم أيضاً ، وكل ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله يدل على كماله وعظمته وجلاله ، وأن العبادة لا تصلح إلا له سبحانه وبحمده ، لا يصلح منها شيء لملك مقرب ولا نبي مرسل ولا من دونهما .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : وهذا كتاب الله من أوله إلى آخره ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والتابعين وكلام سائر الأئمة مملوء بما هو نص أو ظاهر أن الله تعالى فوق كل شيء ، وأنه فوق العرش فوق السماوات مستو على عرشه ، وذكر ما يدل على ذلك من الكتاب والسنة . وقال الأوزاعي : كنا والتابعون متوافرون =

---

* رواه مسلم برقم (٢٧٨٨) .

الأرضين السبع ، ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ؟ ، أين المتكبرون ؟" .

ورُوي عن ابن عباس قال : ما السماوات السبع والأرضون السبع في كف الرحمن إلا كخردلة في يد أحدكم .

وقال ابن جرير : حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال : قال ابن زيد حدثني أبي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " **ما السماوات السبع في الكرسي إلا كدراهم سبعة أُلقيت في ترُس**" ، قال : وقال أبوذر : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

= نقول : إن الله تعالى ذكره فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة . وقال أبوعمر الطلمنكي في كتاب الأصول : أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله تعالى مستوٍ على عرشه بذاته ، ذكره الذهبي في كتاب العلو ، وقال أبو عمر الطلمنكي في هذا الكتاب أيضاً : أجمع المسلمون أن الله استوى على عرشه بالحقيقة لا على المجاز . ثم قال في هذا الكتاب : أجمع المسلمون من أهل السنة أن معنى قوله ﴿**وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ**﴾ ونحو ذلك من القرآن أن ذلك علمه ، وأن الله فوق السماوات بذاته مستوا على عرشه كيف شاء . هذا لفظه في كتابه . وقال الحافظ الذهبي : وأول مقالة سمعت مقالة من أنكر أن الله تعالى فوق العرش هو الجعد بن درهم ، وكذلك أنكر جميع الصفات فقتله خالد بن عبدالله القسري وقصته مشهورة ، وأخذ هذه المقالة عنه الجهم بن صفوان إمام الجهمية فأظهرها واحتج لها بالشبهات ، وكان ذلك في آخر عصر التابعين ، فأنكر مقالته أئمة ذلك العصر مثل الأوزاعي وأبي حنيفة ومالك والليث بن سعد والثوري وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن المبارك ، ومن بعدهم من أئمة الهدى كالإمام أحمد وخلق من أهل السنة .

قال الإمام الشافعي : لله أسماء وصفات لا يسع أحداً ردها ، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه كفر ، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل ، ونثبت هذه الصفات وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه فقال : ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ اهـ . من فتح الباري .

يقول : **"ما الكرسي في العـــرش إلا كحلقـة مـن حديـد أُلقيـت بـين ظهـري فـلاة مـن الأرض"** .

وعن ابن مسعود قال : بين السماء الدنيا والتي تليها خمسمائة عام ، وبين كل سماء وسماء خمسمائة عام ، وبين السماء السابعة والكرسي خمسمائة عام ، وبين الكرسي والماء خمسمائة عام ، والعرش فوق الماء ، والله فوق العرش ، لا يخفى عليه شيء من أعمالكم . أخرجه ابن مهدي عن حمّاد بن سلمة عن عاصم عن زرّ بن عبدالله ، ورواه بنحوه المسعودي عن عاصم عن أبي وائل عن عبدالله قاله الحافظ الذهبي رحمه الله تعالى ، قال : وله طرق .

وعن العباس بن عبدالمطلب قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : **"هل تدرون كم بين السماء والأرض؟"** قلنا : الله ورسوله أعلم . قال : **"بينهما مسيرة خمسمائة سنة ومن كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وكِثَفُ كلّ سماء مسيرة خمسمائة سنة ، وبين السماء السابعة والعرش بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ، والله سبحانه وتعالى فوق ذلك ، وليس يخفى عليه شيء من أعمال بني آدم"** . أخرجه أبوداود وغيره[1] .

---

[1] قوله " وعن العباس بن عبدالمطلب .."* ساقه المصنف مختصراً ، والذي في سنن أبي داود عن العباس بن عبدالمطلب قال : كنت في البطحاء في عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرت بهم سحابة ، فنظر إليها فقال : **"ما تسمون هذه؟"** قالوا : السحاب ، قال : **"والمزن"** ، قالوا : والمزن ، قال : **"والعنان"** ، قالوا : والعنان . قال أبوداود : لم أتقن العنان جيداً ، قال : **"هل تدرون ما بُعد بين السماء والأرض؟"** قالوا : لا ندري ، قال : **" إن بُعد ما بينهما إما واحدة أو ثنتان أو ثلاث وسبعون سنة ، ثم السماء فوقها كذلك – حتى =**

---

* رواه أبوداود وإسناده ضعيف ، انظر : ضعيف سنن ابن ماجة برقم (٢٤) ، وضعيف أبي داود برقم (١٠١٤) ، وضعيف سنن الترمذي برقم (٦٥٤) .

= **عدد سبع سماوات - ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم فوق ذلك ثمانية أو عال بين أظلافهم وركبهم مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء ، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك"** . قال الحافظ الذهبي رواه أبوداود بإسناد حسن .

وروى الترمذي نحوه من حديث أبي هريرة وفيه **"بُعد ما بين سماء إلى سماء خمسمائة عام"** قال ولا منافاة بينهما لأن تقدير ذلك بخمسمائة عام هو على سير القافلة مثلاً ، ونيف وسبعون سنة على سير البريد .

قلت : وهذا الحديث له شواهد في الصحيحين وغيرهما مع ما يدل عليه صريح القرآن فلا عبرة بقول من ضعفه .

وقد ابتدأ المصنف رحمه الله تعالى هذا المصنف العظيم ببيان توحيد الإلهية ؛ لأن أكثر الأمة ممن تأخر قد جهلوا هذا التوحيد ، وأتوا بما ينافيه من الشرك والتنديد ، فقام هذا الشيخ ببيان التوحيد الذي دعت إليه الرسل ونهوهم عما كانوا عليه من الشرك المنافي لهذا التوحيد ، فالدعوة إلى ذلك هي أهم الأمور وأوجبها لمن وفقه الله لفهمه وأعطاه القدرة على الدعوة إليه والجهاد لمن خالفه ممن أشرك بالله في عبادته ، فقرر هذا التوحيد كما ترى في هذه الأبواب ، ثم ختم كتابه بتوحيد الأسماء والصفات ، لأن أكثر العامة لم يكن لهم التفات إلى هذا العلم الذي خاض فيه من ينتسب إلى العلم ، وأما من ينتسب إلى العلم فهو أخذوا عمن خاض في هذه العلوم وأحسنوا الظن بأهل الكلام ، وظنوا أنهم على شيء فقبلوا مذهبهم وما وجدوه عنهم فقرروا مذهب الجهمية وألحدوا في توحيد الأسماء والصفات ، وخالفوا ما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة وأئمة الحديث والتفسير من المتقدمين ، وما زال أهل السنة متمسكين بذلك لكنهم قلوا ، فهدى الله هذا الإمام إلى معرفة أنواع التوحيد فقررها بأدلتها ، فلله الحمد على توفيقه وهدايته إلى الحق حين اشتدت غربة الإسلام فضلّ عنه من ضلّ من أهل القرى والأمصار وغيرهم ، وبالله التوفيق .

فقد اجتمع في هذا المصنف أنواع التوحيد الثلاثة التي أشار إليها العلاّمة ابن القيم رحمه =

= الله تعالى في نونيته :

والعُلُومُ أقسَامٌ ثلاثٌ مَا لها ... منْ رَابعٍ والحقُّ ذو تِبيَانِ

عِلْمٌ بأوصَافِ الإلهِ وفِعلِهِ ... وكَذلكَ الأسماء للرحمنِ

والأمرُ والنهيُ الذي هو دينُه ... وجَزاؤُه يوم المعَادِ الثَاني

وصلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

تمّ كتاب التوحيد

وشرحه

قرّة عيون الموحدين

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات



الفهرس

